د. عبد العزيز المقالح



عبد الناصر واليمن

فصول من تاريخ الثورة اليمنية

طبعة جديدة مزيدة ومنقحة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

﴿ وتحسبهم أيقاظاً وهم رقــود ونقلّبهم ذات اليمـين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، لو اطلعت عليهم لولّيت منهم فراراً ولملئتَ منهم رعباً ﴾ .

صدق الله العظيم

(سورة الكهف ـ الجزء ١٥ الآية ١٧)

لم تكن تلك صورة أهل الكهف وحسب ، وإنما كانت أيضاً صـورة أهل اليمن السعيـد قبـل الثـورة . ولا ريب أن أيـة محـاولـة لتصوير وضع البشر في يمن الأئمـة ما كـان ليكون دقيقاً وأميناً بمثـل الصورة التي رسمها القرآن الكريم لأهل الكهف .

وبما أن اليمنيين قد تمكنوا منذ عشرين عاماً من تحطيم جدران الكهف ، ومن الخروج من ظلماته إلى الدخول في صخب العصر ، فإن اخوتهم خارج اليمن يتلهفون لسماع أخبار ذلك الخروج ، وإلى قراءة فصول من سفر ذلك الخروج الدامي .

والله ولي التوفيق

د . عبد العزيز المقالح

الفصل الأول

عبد الناصر واليمن

فاتحة :

بعد عامين من رحيل المناضل العربي البارز الرئيس جمال عبد الناصر ، رأت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي أن تكلف - في نطاق الاحتفالات بالذكرى الثانية - عدداً من الكتاب غير المصريين باعداد دراسات عن علاقات عبد الناصر بأقطارهم وبخاصة اليمن والجزائر وفلسطين ، وهي الأقطار العربية التي حظيت أكثر من غيرها باهتمام الرئيس جمال عبد الناصر ورعايته ، على أن تقوم وزارة الاعلام والثقافة في مصر بالتعاون مع لجنة الدعوة والفكر في اللجنة المركزية على طبع هذه الدراسات في كتيبات منفردة مع ترجمات لها باللغتين الانجليزية والفرنسية . وكان لي الشرف بأن يقع عليّ الاختيار لكتابة الدراسة عن عبد الناصر واليمن . . بالرغم من أن محاولاتي الأولى في الكتابة كانت مقصورة على الكتابات الأدبية دون السياسية ، وكنت يومئذ طالباً جامعياً في السنة النهائية ، ومحاصراً إلى جانب المحاضرات الكثيرة بكمية هائلة من الأمراض والمواجع المادية والنفسية . لذلك فقد اعددت دراستي عن ذلك الزعيم الخالد - رغم احتشادي لها عاطفياً ونفسياً - فجاءت

أقل مما كنت ارجو وأتمنى . وبالرغم من ذلك الاحساس فقد بعثت بما كتبته إلى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي استجابة للطلب ، وانتظرت أن تبدي اسفها لما كتبته لكنها تقلبته قبولاً حسناً ، وكانت هذه المحاولة من أولى الدراسات التي تم طبعها وتوزيعها .

والآن بعد مرور ثماني سنوات على كتابة تلك الدراسة المتواضعة اعود اليها لا لكي ألقي نظرة فاحصة وناقدة ، ولا لكي أصحح ما اشعر انه قد حدث فيها من قصور . فذلك ما قد يغريني باعادة صياغتها كاملة ، ولكن لكي أرى إلى أي حد هي ما تزال صالحة للنشر دون تعديل أو تغيير ، فكل الكتابات ـ في حالة قوتها أو ضعفها ـ جزء من تاريخ الأديب أو الكاتب ، وصورة من صور تفكيره في مرحلة ما من مراحل حياته الأدبية والفكرية .

لقد احببت عبد الناصر كما أحبه غيري من ابناء الشعب العربي ، احببته عاطفياً ثم احببته عقلياً ، وفي الحب العقلي لا مكان للتعصب الاعمى أو الاعجاب المنفعل كنت أحبه عاطفياً وأمامي قصائد الشعراء امثال سليمان العيسى القائل :

من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر
لبيك عبد الناصر

وصرت أحبه بعد ذلك عقلياً وأمامي آراء وأقوال خصومه وخصومنا، أمثال هذا الرأي الخطير لـ «دافيد بن غوريون» رئيس الوزراء الأسبق لدويلة اسرائيل (اكثر ما يؤرقني هو خروج رجل يوحد العرب لأن وجودنا يرتبط بضعفهم وانقسامهم) وكان جمال

عبد الناصر هو ذلك الرجل الذي اختاره القدر لتلك المهمة الصعبة إلا أننا بأخطائنا بضعفنا وانقسامنا قد أضعفناه كما أضعفنا الوحدة .

وعن عبد الناصر ذلك القائد الـذي انتقدناه وننتقده كـل يوم كتبت سـطور هذه الـدراسة التي أعيـد نشـرهـا في هـذه الأيـام التي نحتفل فيها بمناسبة بهيجة ، هي بلوغ ثورته وثورتنا العظيمة ، ثورة ٢٦ سبتمبر عامهـا الثامن عشـر ، وهي تحية عـاجزة وعـابرة لـرجل عظيم ساعد بلادنـا في أصعب الظروف ، وحـاول الارتقاء بـالوطن العـربي وبالمـواطن العـربي ، وحـاول قهـر طـوفـان التخلف المحيط بالأرض والانسان وكشأن كل الرجال العظام نجح عبـد الناصـر في تحقيق بعض المـطامح وعجـز عن تحقيق البعض الآخر ليتكفـل بهـا تلاميذه وأنصاره في القادم من الزمن فإلى الدراسة .

من صلاح الدين إلى عبد الناصر

(اليمن ليس بالجديد على الثورة لأنه كان دائماً اليمن الثائر من اجل حريته ومن اجل عزته ومن اجل كرامته . . ان الثورات لم تنقطع دائماً من أرض هذا البلد الطاهر) .

جمال عبد الناصر

(ان بريطانيا التي تنظر الى ثورتكم بكراهية وحقد يجب ان تحمل عصاها على كتفها وترحل من عدن)

جمال عبد الناصر

منذ اختفى صلاح الدين الأيوبي ، وعلى مر العصور التي أعقبت ظهور ذلك القائد العظيم لم تشهد الأمة العربية قائداً في مثل مكانة جمال عبد الناصر ولا بطلاً قومياً في مثل شهرته وايمانه بالوحدة العربية . .

وعلى مدى الأعوام السبعة عشرة التي أمضاها عبد الناصر

حاكماً لمصر ومجسداً لآمال العرب في امكانية تحقيق الوحدة - على مدى هذه الأعوام القليلة الكثيرة - استطاعت الأمة العربية في مختلف اقطارها - حتى النائية منها - استطاعت ان تستشرف صورة قريبة من الكمال للمستقبل المنشود ، وتمكنت في ظل هذا الأمل من استعادة جانب كبير من حريتها المسلوبة كما استطاعت أيضاً أن تجسد - ولو لفترات قليلة - بعضاً من آمالها في الوحدة القومية المنتظرة . .

وإذا كانت المنية قد اختطفت البطل القائد قبل أن تكتمل المسيرة وتتحقق كل الآمال فإن القائد الراحل قد خلف وراءه لجيله وجيلنا وللأجيال القادمة زاداً لا ينفد ، ومعيناً لا ينضب من التجارب والمثل والأفكار ، وهذه التجارب والمثل والأفكار كفيلة بأن تجعله حياً بيننا نتمثله بقامته الفارعة وصوته العميق كفارس أسطوري يقاتل في جبال اليمن فلول المرتزقة ، ويصارع في عدن والخليج أخطبوط الاستعمار البريطاني ، وفي الجزائر كذلك نتمثله وهو يشارك في تنظيف ارضها العربية من المستعمرين وجيوش الاحتلال ، وسوف نتمثله ونظل نتمثله وهو يهب الروح على أرض فلسطين دفاعاً عن الأهل وتحريراً للأرض وقرباناً في سبيل وحدة فصائل المقاومة الامل الجديد للتحرير . .

وفي كل قطر عربي ، في سوريا ، في العراق ، في ليبيا ، في الأردن ، في تونس ، في المغرب ، في كل هذه الأقطار وفي غيرها سوف يبقى الفارس الراحل جمال عبد الناصر فكراً عربياً مفتوحاً

لكـل التجارب التقـدميـة الاصيلة واحتمـالاً ثـوريـاً يهـدد ويشجب أحلام الاقطاع والرأسمالية والتجزئة .

وإذا كان الانسان العربي المعاصر قد انتظر طويلاً فوق أرضـه الممتدة من الخليج العـربي شرقـاً إلى المحيط غربـاً مولـد قائـد كعبد الناصر يعيد إليه ثقتـه بنفسه وبـوحدة التـراب والمصير فـإن الإنسان العربي في اليمن قد كان نتيجة اوضاعه المتخلفة جداً والعجيبـة جداً أكثر انتظاراً وشوقاً لظهور مثل هذا البطل القومي ، وحين جاء هذا البطل ، متجسداً في جمال عبد الناصر ، لم يبخل هذا الإنسان بأغلى وأثمن التضحيـات ، ولم يـدفن رأسـه في كـرسي السلطة ثم يقـول كبقيـة الحكـام العرب الجبنـاء منذ عشـرين عامـاً (كـل ذئب مسؤ ول عن قـطيعه) . لقـد كان عبـد الناصـر انسانـاً ولم يكن ذئباً لـذلك فقـد تساقطت في عهده أقنعة كثير من الذئاب وعروش الذئاب .

إن عبـد الناصـر واحدٌ من الـرجـال القـلائـل الـذين شغلوا العصر بأفكارهم ومواقفهم . وعن أفكار عبدْ الناصر، وعن مواقفه مع الشعوب كتب الكاتبون بالأمس وسوف يكتبون اليوم وغداً عشرات بل مئات الكتب، وأعترف مقدماً أن ما سوف أكتبه هنا في هذه الدراسـة القصيرة المتواضعـة عن اللقاء القـدري والمصيري بـين عبد النـاصر المنـاضل ، واليمن الشعب والجمـاهير ، أعتـرف أن ما سـوف أكتبه عن هذا اللقاء لا يزيد عن كونه اشارات عابرة ، وعناوين صغيرة لما يمكن أن يكتب في المستقبــل القـريب أو البعيــد عن اليمن وعبــد

الناصر . . اليمن السعيد وعبد الناصر الخالد . .

قبل ميلاد المناضل عبد الناصر بما يزيد قليلاً عن ثلاثة أرباع القرن، أي في عام ١٨٣٩ كانت بريطانيا «بقوات احتلالها» تضع لأول مرة أقدامها الثقيلة الغريبة على ميناء عدن الباب المفتوح على البحر العربي والمحيط الهندي والعاصمة الجنوبية لليمن ، ولم تلبث أقدام الاستعماريين الجدد أن تخطت الميناء إلى بقية المناطق المجاورة مستغلة جهل المواطنين وسذاجة وخيانة السلاطين أو مشائخ القبائل ، وغياب السلطة المركزية . وبمرور الزمن توسع نشاط الاستعماريين أكثر فأكثر حتى مكن بريطانيا على مدى نصف قرن من أن تحتل النصف الجنوبي لليمن (عدن ، لحج ، حضرموت ، والسلطنات ، والمشيخات الشمالية) . .

وفي هذا الوقت الذي كان فيه جزء كبير من اليمن يضيع وكانت بريطانيا خلاله مشغولة بتثبيت نفوذها في جنوب اليمن ابتداء بميناء عدن ، وانتهاء بالضالع كان شمال اليمن مسرحاً لصراع عجيب بين الأئمة من جهة فيما بينهم ، وبين منافسيهم من جهة أخرى حيث ظهر في هذه الفترة ١٨٢٩ وما تلاها من سنوات اكثر من إمام وأكثر من مطالب بالحكم وانتهى هذا الصراع مؤقتاً كما يذكر المؤرخون باستدعاء احد هؤلاء الأئمة[١] لقوات من الباب

---

(١) (المهدي) راجع كتاب (الواسعي) ص ١٧٥ .

العالي « تركيا العثمانية » لاحتلال اليمن وتم الاحتلال فعلاً عام ١٨٧٠ .

وفي بداية العقد الثاني من القرن العشرين قامت الحرب العالمية الأولى وعادت البقية الباقية من جنود تركيا العثمانية إلى الاستانة ليتوطد بذلك مركز الاحتلال البريطاني في الجنوب ، ولكي يقوم في الشمال حكم أسرة حميد الدين ، الأسرة التي ركبت موجة النضال الشعبي ضد الاتراك وتمكنت بذكاء نادر ان تسلب من القيادات الوطنية ثمرات النصر . .

هكذا سقطت اليمن أو على الأرجح الجزء الشمالي منها في وضع عجيب ، وفي قبضة نظام حكم من الصعب تعريفه فلم يكن بالجديد ولا بالقديم لا هو ملكية ولا امارة ، ليس بالمستقل ولا بالمستعمر « بفتح الميم » انه وضع شديد الغرابة حقاً، لا هو بالحي ولا بالميت يتحرك نحو القرن العشرين بسرعة السلحفاة وإلى القرون الوسطى بسرعة الصواريخ الموجهة . .

وفي اواخر الثلاثينات وبداية الأربعينات من هذا القرن شهد الانسان المعاصر حرباً ثانية ولم تسمع اليمن بهذه الحرب ، وإذا كانت قد سمعت بها فإنما كما يسمع سكان الأرض عن سكان النجوم ، ثم انتهت الحرب العالمية الثانية ، ووسط مخلفاتها ولدت الجامعة العربية كنواة لجمع شمل العرب المتنافرين والموزعين تحت الاحتلال والانتداب والاستقلال الصوري والمزيف .

وخلال الاجتماعات الأولى لهذه الجامعة الجديدة خرج من

تحت عباءة الإمام يحي واحد من أبناء اليمن وسمع الناس في القاهرة ثم في بقية العواصم العربية عن الكبسي الصامت الذي يسمع ولا يقول . .

نطق هذا الصامت في انقلاب ١٩٤٨ وكان وزير خارجية حكومة الثورة وأعدم بعد فشل الانقلاب . . .

وبدأ الشعب في اليمن يدرك أبعاد التخلف الذي يعاني منه ، وبدأ يسخر علنا من دعاوى الحاكمين الحرص على الاستقلال خاصة بعد أن زال شبح الاستعمار وبدأت الشعوب عهد تقرير المصير وبعد أن شهد اليمنيون انفسهم كيف اطاحت الامامة باستقلال اليمن حين تركت الجزء الجنوبي للاستعمار البريطاني مسجلة خيانتها في اتفاقية ١٩٣٤ ثم حين تركت أجزاء من الشمال بعد الحرب السعودية اليمنية كان لا بد وأن تتغير الأمور في اليمن فقد بدأت الطلائع الشابة تهاجر إلى الخارج ثم تعود محملة بأفكار الثورة وطموح التغيير. وكأنما اكتشفت هذه الطلائع أن شعبها يعيش خارج العصر حيث لا توجد ابسط وسائل ومقومات الحياة الجديدة ، ولا أبسط القوانين والانظمة التي ترعى شؤون المواطنين وتحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم ثم بين المحكومين انفسهم وبين شعب اليمن وبقية شعوب العالم . . لا تعليم ، ولا اقتصاد ، ولا مواصلات ، لا دولة ، لا جهاز دولة ، وما كان أشد شبه ذلك الشيء المدعو تجاوزاً (بحكومة اليمن) بعصابة منتخبة من متحجري القرون الوسطى للاشراف على تنفيذ الحكم الصادر من الآلهة الشريرة على الشعب في اليمن بالانقراض البطيء والموت بالتخلف والفقر . . .

وإزاء هذا الواقع الأليم لم تقف الطلائع الجديدة مكتوفة الأيدي فقد حاولت بأساليب مختلفة ومتعددة من التغيير وقام حزب الأحرار اليمني وبدأ رجال هذا الحزب باستنجاد الحكام العرب ، والمنظمات والاحزاب كافة متوسلين في ذلك بكل مقدسات الاسلام ، وبكل روابط العروبة ، وبكل مشاعر الانسانية ولكن بلا جدوى. فالحكام الذين كانوا يجلدون ظهور أبناء شعب اليمن كانوا اخوة لهم ورفاق تعذيب يجلدون بدورهم بقية الظهور العربية بسياطهم حيناً وبسياط المستعمرين والدخلاء احياناً اخرى . .

لم يتراجع الإمام يحي عن اساليب حكمه التقليدية العتيقة واستمر في فرض العزلة من حول الشعب والابتعاد به عن طريق العصر وأمعن في التنكيل بالقوى الجديدة وفجأة في فبراير ١٩٤٨ سقط هذا الإمام قتيلاً ، وسمع العالم في ذلك الحين عن اليمن ، وعن انقلاب في صنعاء ، وعن ثورة تجتاح ذلك القطر النائي المعزول ، وسمع الشعب في اليمن أيضاً عن الثورة ، الدستور ، ومجلس الشورى ، وعن رئاسة الوزراء ومجلس الوزراء الخ . .

وكان امراً محتوماً أن يمنى الانقلاب بالفشل لا لأنه لا يمثل رغبة شعبية جارفة ، ولا لأن الانقلاب كان سابقاً لأوانه ، وإنما لأن انظمة عربية رجعية وخاضعة للاستعمار كان يهمها أن يظل اليمن في سباته العميق ، وأن تظل شعوبها بعيدة عن رياح الثورة وأنباء التغيير ، ثم لأن المناضل عبد الناصر لم يكن قد ظهر بعد ، لذلك كله فقد سقط الانقلاب مضرجاً بدماء أبطاله ، وسقطت صنعاء

تحت أقدام البرابرة من آل حميد الدين وقامت القبـائل الجـائعة بنهب المدن واستباحة الحرمات والاعراض والأموال والدماء . .

وفي اعقاب فشل الانقلاب شهدت صنعاء وحجة وتعـز نهاية حزينة للمناضلين الذين حاولوا الانقلاب فكان نصيب محاولتهم الأولى الفشل ، وكان نصيبهم ان ماتوا ذبحـاً بالسيف كـما تذبـح النعاج ، وبعد هذه المذبحة ، أو على الأصح في اثنائها كان الإمام أحمد بن الامام يحـي قد اعتلى على عرش اليمن وأعاد التاريخ نفسـه مستفيداً من فشل الثوار فخوراً بصيحات الاعجاب القادمة من خارج الوطن عن طـريق انـظمـة الحكم العفنـة التي شـارك بعضهـا في تصفيـة الانقلاب ، وبعد اربع سنوات من سقوط الانقلاب الأول في اليمن حدثت المعجزة في القاهرة ، قامت ثورة ٢٣ يوليو المجيدة . .

٢٣ يوليو « اليوم والأمل »

ليس الحـديث الآن عن الاثر العميق والحـاسم الذي تـركتـه ثورة ٢٣ يوليو في حياة اليمن واليمنيين ولكنه مجرد إشارة عابرة للصدى الواسع لظهور يوم ٢٣ يوليو في تاريخ العرب المعاصر عامـة وفي اليمن بوجه خاص . .

إن اقصـاء طاغيـة مثل فـاروق عن العـرش وهـو ملك مصـر (والسـودان) وراعي الازهر الشـريف ، والحـاكم الـذي تستضيف بلاده جامعة الدول العربية ، وتمتلك اشهر وأقوى الكفاءات العلمية والثقافية ، وأعلى الأصوات في مجال الكلمة المطبوعـة والمذاعـة . ان

اقصـاء طاغيـة في بلد له مثـل كل هـذه الامكانيـات لا تقـل أهميـة بالنسبة للمواطنين العرب عن اعدام لويس السادس عشر في عنفوان الثورة الفرنسية ، وفي اليمن كان اكثر الناس احتفاء بهذا اليوم - يوم اقصاء فاروق عن العـرش - هم طلائـع الشعب من شباب مثقفين ومعتقلين سياسيين ثم سرت موجـة الفرحـة للشعب في نفس الوقت الذي كان فيه القصر يستقبـل أنباء مـا يحدث في القـاهرة بمـزيد من القلق والخوف المكشوف . .

وبالرغم من أن اسم جمال عبد الناصر لم يكن قد ظهر بعد ، ولم تكن هوية الثورة قد اتضحت كاملة فإن الاحساس الثوري لدى الجماهير قد جعل الإنسان العربي العادي في اليمن يتصور مـا سوف يعكسه ذلك اليوم على واقعـه السياسي والاجتمـاعي الجامـد وصار يعتقـد أن مـا سيكـون قـد كـان فعـلاً ، وبخـاصـة بعـد أن التقط التعليقـات الأولى لصدى مـا حـدث في القـاهـرة وذلـك من خـلال عبارتين تسربت اولاهما من القصر وعبرت الاخرى أسوار السجن ، تقول عبارة القصـر (يجب أن يعود فـاروق إلى العرش وسـوف يعود مهما كان الثمن) ، وتقول عبارة السجن (لقـد انتهى فاروق ، انها بداية النهاية للحكم الامامي في اليمن)[1] .

وكانت عبارة السجن هذه كما اثبتت الاحـداث فيما بعـد اكثر صدقاً وقدرة على سبر أغوار المستقبـل وتصور مـا سوف يحـدث على أرض اليمن بعد ظهور ذلك اليوم المجيد من يوليو ١٩٥٢ فقد كـان

---

(١) مقدمة « اليمن داؤ ها ودواؤ ها » للاستاذ محمد عبد الله الفسيل تحت الطبع .

فعلاً بداية النهاية ليس لحكم الإمامة فحسب وإنما ايضاً لكثير من العروش وأنظمة الحكم البعيدة عن الشعب .

المعطيات الأولى لثورة ٢٣ يوليو

لم يكن قد مضى سوى عام واحد من عمر الثورة التي فجرًها الضباط الاحرار في مصر العربية بقيادة المناضل جمال عبد الناصر حتى كان وجه هذه الثورة العربي والقومي قد بدأ في التحدد والوضوح وبدأت انعكاساته تظهر على المستويين المحلي والقومي ثم على المستوى العالمي . فعلى المستوى المحلي قامت الثورة بالغاء النظام الملكي واقامة الجمهورية كما شرعت بتقليم أظافر الاقطاع ، وأعلنت قانون الاصلاح الزراعي ، وبدأت في نسف وتصفية قواعد الاحتلال البريطاني على ضفتي القنال . .

وعلى المستوى العربي سارعت الثورة بحل مشكلة السودان كما قامت باجراء مسح عاجل لقضايا الشعب العربي ودراسة أوضاعه المختلفة وأرسلت عدداً من الوفود إلى الأقطار المختلفة للتعرف على الأوضاع واستطلاع آراء الحكام في بعض القضايا القومية كما اهتمت ثورة يوليو أيضاً بتنشيط فعالية دور الجامعة العربية وطرح وتبني ما سمي بمشروع (التضامن الجماعي) . .

وفي مايو ١٩٥٣ انشأت الثورة صوت العرب الاذاعة العربية التي تتحدث كل يوم من القاهرة باسم كل العرب من المحيط إلى

الخليج ، وقد بدأت هذه الاذاعة في أول الأمر محدودة النشاط مركزة اغلب اهتمامها على المناطق المحتلة في الوطن العربي مثل شمال افريقيا (تونس ، الجزائر ، المغرب) وجنوب الجزيرة العربية وعمان ومنطقة الخليج، ثم امتد نشاط هذا الصوت وأتسع حتى شمل الأقطار العربية كافة ولعب دوراً بارزاً في الأحداث العربية وفي توعية الجماهير وتحريضها على الخلاص من قبضة الاحتلال الاجنبي والسيطرة الاستعمارية وأسهم إسهاماً لن ينسى في شرح وتوضيح مفاهيم الوحدة والقومية العربية . .

أما على المستوى العالمي فقد تخطت ثورة يوليو منطقتها وأصبحت في مستوى الاحداث العالمية الكبيرة القادرة على شد انتباه الانسان المناضل خاصة في شعوب ومستعمرات العالم الثالث حيث كانت القوى الجديدة المناوئة للاستعمار والنفوذ الاجنبي تنمو وتتجمع وتبحث في عالمها الواسع عن بارقة أمل لسند مخلص شريف . .

ومن المعطيات الأولى لثورة يوليو كان نصيب الشعب العربي في اليمن الكثير ، فقد رفعت مستوى الوعي الشعبي بالثورة الى حد الانفجار، وفي عام ١٩٥٤ قام المرحوم صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة بزيارة كل من صنعاء وتعز ورأى بعين ثورة يوليو مقدار التخلف والبؤس اللذين يعاني منهما الشعب هناك وقد أسفرت هذه الزيارة الخاطفة عن عروض بمساعدات سخية في المجالات العسكرية والثقافية ، وقد تم تقديم عرض المساعدات بحذر تحاشياً من اثارة مخاوف الإمام ، ولعل انشاء كلية ضباط الشرطة في تعز

بمساعدات وخبرات عربية من مصر كـان أحـدى هـذه المساعـدات فقـد أسهم خـريجو هـذه الكلية ـ وهي الأولى من نـوعها في اليمن ـ بدور ما في حركة ١٩٥٥ كما لعب معظمهم أدواراً رئيسية في التغييرات الأخيرة بعد ثورة سبتمبر ١٩٦٢ . .

ولم تقف معطيات ثورة يوليو في هذه الفترة عند هذا الحد بـل لقـد فتحت ابـواب القـاهـرة لاستقبـال وايـواء المنـاضلين المشـردين والمنفيين أمثال أبي الاحرار اليمنيين الشاعر محمد محمود الزبيري .

كـان الزبيـري قبل يـوليو منفيـاً في الباكستـان ومحكومـاً عليـه بـالاعـدام ، وكـان نشـاط الاحـرار خـارج اليمن معـدومـاً أو شبـه معدوم ، وحين انتقـل الزبيـري في عام ١٩٥٣ إلى القـاهرة تحـولت هذه العاصمة العربية الى ساحة نضال من اجل اليمن المنتظر ، وفي القـاهرة التقى من جـديـد أحـرار اليمن الشيـوخ والشبـاب وتـألف الاتحاد اليمني ، وهو الحزب السياسي الذي كان مقدراً له أن يلعب دوراً اسـاسيـاً وحـاسمـاً في حـركة الكفـاح الشعبي عـلى أرض اليمن بشـطريه المستعمـر (الجنوبي) و(والمستعبـد) الشمالي إلا أن بعض المخلفات والرواسب التي كانت ولا تزال تؤثـر في التكوين الـداخلي للمواطن العربي المعاصر وتتحكم في نفسية الحاكم والمحكوم ، تجعل بينهـما ـ رغم التناقض الكبيـر ـ أرضية مشتـركـة تتجـلى في الفـرديـة والاستسلام للطموحات غير المشروعة ـ هذه المخلفات بالاضافـة الى الجمـود النظري والـوقوف عنـد خط معين من الفكـر والأسلوب في العمل ـ قد اضاع من الاتحاد اليمني فرصته الذهبية . .

وفي ذلك الحين لم تبخل القاهرة - بادىء الأمر - على هؤلاء المناضلين بشيء قد يساعد على نشر وتوضيح قضيتهم التي كانت في نفس الوقت واحدة من قضايا الثورة في القاهرة ولعلها احسنت صنعاً حين فتحت امامهم صوت العرب ليلتفوا من خلاله بالمواطن اليمني عن طريق الراديو الذي انتشر في اليمن خلال هذه الفترة بشكل يسترعي الانتباه . . وبذلك مارست الكلمة المذاعة دورها العميق والحيوي في تطوير درجة الوعي لدى المواطنين خاصة في عدن حيث كانت حركة عمالية نشطة تنشأ وتفتح الطريق لانشاء حركة نسائية وأخرى سياسية شاملة .

ومثلما فتحت ثورة يوليو أبواب القاهرة للمناضلين السياسيين من ابناء اليمن فقد فتحتها أيضاً وبلا حدود أمام أفواج من الطلاب الهاربين اليها طلباً للعلم وسرعان ما جعلوا منها قاعدة ومنطلقاً الى بعض الأقطار العربية ومعظم دول العالم خاصة روسيا وبقية الدول الاشتراكية .

حركة ١٩٥٥

كان الوضع السياسي العام في اليمن منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ يغلي ولكن في صمت ، وكان الناس في اليمن يتابعون أنباء القاهرة والذين في القاهرة باهتمام وترقب وأمل ، وبعد ثلاث سنوات من التغيير الذي حدث في القاهرة ، وبالرغم من كونها فترة قصيرة فقد كانت كافية لتجسيد الأمل القومي وزرع الثقة في نفس المواطن العربي بقدرته على تخطي الواقع الفاسد الذي يعيشه رغم

أنفه إلى مستقبل أكثر استقراراً ونظافة .

وكان الثائر عبد الناصر خلال هذه المرحلة قد صاغ نظريته الأولى عن الثورة في كتابه (فلسفة الثورة) وفي هذا الكتاب حدد المناضل عبد الناصر - من واقع التجربة - مفهوم الثورة الحقيقي ووضع علامات بارزة من حول الدوائر الثلاث التي كانت مثار اهتمام ثورة يوليو وقائدها المناضل ، وكما وقفت الدوائر الاستعمارية والرجعية خائفة وقلقة عند هذه الدوائر الثلاث فقد وقف الثوار والمناضلون العرب في أرجاء الوطن العربي ، بل وغير العرب في أماكن اخرى ، وقفوا عند هذه الدوائر يتلمسون بين سطورها سنداً مباشراً للتغيير وأملاً لم يكن متوقعاً في مد يد العون والاسناد غير المشروط وغير الطامع .

ولأن الجيش في ثورة يوليو قد تصدى لعملية التغيير ومن بين قياداته الصغيرة والشابة تكونت الطليعة الثورية التي تحملت الامانة فإن عدداً غير قليل من شباب القوات المسلحة وبالأخص في الدول العربية قد اكتشفوا - عن بعد - نوع العلاقة التي تربط بينهم وبين الطليعة الثورية في مصر ، وما تنتظره بلادهم منهم على المدى القريب أو البعيد ، ولعل اليمن تكاد تكون - رغم تخلفها المادي عن بقية الأقطار العربية - أكثر هذه الأقطار تأثراً بالاحداث القومية وأقربها ايماناً وانفعالاً بما يتم حولها من متغيرات جذرية . .

لهذا لم يكن غريباً أن تأتي الاصداء الأولى لثورة يوليو العربية من اليمن بالذات ومن صفوف القوات المسلحة اليمنية على وجه

التحديد ، فقد تحركت في الخامس والعشرين من مارس ١٩٥٥ قوة عسكرية يمنية بقيادة المقدم احمد يحي الثلايا وقامت بمحاصرة قصر الامام وطلبت اليه التنازل عن العرش لاخيه الأمير عبد الله .

والمتتبع لاحداث هذا الانقلاب ـ مهما قيل عن صلته بالأمير عبد الله وأمريكا ـ لا يستطيع أن ينكر دوره في تطور الوعي السياسي وتشكيل حلقة هامة في سلسلة الانتفاضات الوطنية في وجه الحكم الرجعي في اليمن .

كما أن المتتبع أيضاً لا يعجز عن وجود وجه شبه بين ما تم في القاهرة في ٢٣ يوليو وما تم في تعز في ٢٥ مارس لقد اكتفى ثوار القاهرة مؤقتاً بقبول تنازل الملك فاروق واكتفى الثوار في تعز بنفس القدر غير أن النتيجة كانت مختلفة تماماً لا لشيء إلا لأن القاهرة وجيشها وظروفها كانت بالتأكيد غير تعز وجيشها وظروفها .

ولعل اسوأ وأحسن ما كشفت عنه هذه الانتفاضة هو الفراغ التنظيمي الخطير في صفوف الاحرار اليمنيين حيث بدا الاتحاد اليمني وهو التنظيم السياسي الوحيد ، منقسماً على نفسه . فالغالبية الساحقة من اعضائه في عدن يؤيدون الانقلاب والغالبية الساحقة من اعضائه في القاهرة تعارض هذا الانقلاب . ثم لم تمر سوى بضعة شهور حتى تغيرت وجهة نظر الاتحاد كلها فقد اجمعت على أن الانقلاب كان فرصة ثمينة للخلاص من الطاغية احمد ، وان المراهنة على أحصنة الامراء هي التي صنعت الفشل .

وقد وقفت القاهرة نتيجة تصرف الاحرار اليمنيين ازاء الانقلاب في حيرة وظهرت في بعض المواقف كما لو كانت تؤيد الإمام ضد الثوار ، ولعل هذه المواقف بالذات قد أسهمت إلى حد ما في تشكيل العلاقات القادمة بين عبد الناصر وحركة الاحرار اليمنيين ، فقد جعلته يقف منها بعد ذلك موقف الحذر ووصل به الأمر بعد سنوات إلى اعتبارها حركة تقليدية قد لا يشك في اخلاصها وحسن نواياها تجاه القضية الوطنية ولكنها عاجزة عن التطور واستيعاب متطلبات المرحلة النضالية بمختلف أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وربما أنه بعد هذه المرحلة مباشرة بدأت النقلة النوعية في الحركة الوطنية اليمنية ، وبدأ البحث عن وجوه أخرى تشكل حركة شابة ، وبدأ التطلع إلى جيل جديد من الثوار يرفض أسلوب الصراع بين الأمراء كحل وحيد لتحريك الأحداث وإلى الاعتماد على استراتيجية ثورية ثابتة ، وأسلوب صراع أفضل ، يبحث عن الحل الجذري الذي يذهب بكل الاسرة ، وبكل الامراء وقد تعثر الطريق وطال بحثاً عن مثل هذه الحركة وحدثت أخطاء في الاختيار في نفس الوقت الذي كانت فيه القاهرة . . تتابع الحوار مع الإمام وتسعى إلى احراجه بمختلف الوسائل وفي محاولات مستمرة لاخراج نظام حكمه الخرافي من مناطق القرون الأولى ، إلى حدود القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر إن أمكن، وبما كان ما يسمى بالحلف الثلاثي ثم باتحاد الدول العربية في مقدمة هذه المحاولات وأحفلها بالمعطيات الايجابية والسلبية أيضاً .

من الحلف الثلاثي إلى اتحاد الدول العربية :

لم تكن الانجازات الأولى التي حققها عبد الناصر للثورة العربية في المجالين المحلي والقومي نهاية أشواط هذه الثورة ، فالجلاء الذي حققه لمصر لم يكن سوى بداية الجلاء الكامل عن بقية المناطق والأقطار العربية المحتلة ، والجيش الذي اراده عبد الناصر قوياً في القاهرة كان لا يزال غير مستكمل لاداة قوته كي يصبح النموذج المثال لبقية جيوش الأمة العربية ، والدور الذي ينتظر أن تقوم به القاهرة على الأراضي العربية كان في نظر المناضل عبد الناصر ـ وهذا هو الأهم ـ لم يبدأ بعد. فالقوى الرجعية التقليدية تتحكم في مقدرات الأمة العربية وشعوبها ، والاستعمار عن طريق هذه القوى يتحكم في مقدرات وحريات كل الشعوب والقوى في المنطقة .

ولم يكن الاستعمار غافلاً عما يجري في القاهرة فقد كان هو وحلفاؤ ه من الحكام الرجعيين يعتبرون ما تحقق حتى ذلك الوقت ١٩٥٥ داخل مصر وخارجها أمراً لا يتحمل السكوت والانتظار، لذلك فقد بدأ الاتفاق بين الطرفين ـ الاستعمار والرجعية ـ ومن ورائهما ومعهما الصهيونية على ضرب ثورة يوليو والاطاحة بنظام عبد الناصر واحباط حركة المد التحرري الوطني التي بدأ يقودها من القاهرة .

وكان موضوع حرمان الجيش العربي في مصر من التسليح هو الصخرة الأولى على طريق عبد الناصر ، ولكن عبد الناصر تمكن من تحطيم هذه الصخرة واستطاع بعد فترة قصيرة ان يوفر لقواته السلاح المطلوب من مكان لم يكن في حساب العرب ولا في حساب

اعدائهم المستعمرين ، وكانت الضربة البارعة التي عرفت فيما بعد بمعركة (كسر احتكار السلاح) وهي معركة لم يقتصر أثرها على تسليح القوات العربية في مصر بل فتحت الباب واسعاً أمام الجيوش العربية والحكومات الراغبة في الحصول على السلاح لحماية أمنها وكيانها الوطني ، وكانت اليمن وقد ارادها الرئيس عبد الناصر أن تكون في حالة مواجهة مع الاستعمار البريطاني في الجنوب اليمني المحتل آنذاك - كانت القطر العربي الثاني الذي سارع إلى استيراد السلاح من الشرق بعد إعلان الحلف الثلاثي بين القاهرة - جدة - صنعاء - وان كان هذا السلاح قد ظل مخزوناً ومكدساً في قصور ومخازن الإمام ، إلا أن الرئيس عبد الناصر قد حاول بعقد اتفاق حلف جدة الثلاثي ، ثم بعقد اتفاق (اتحاد الدول العربية) حاول أن يحرك هذه الاسلحة من اماكنها وأن يجعل الشطر المستقل من اليمن أو الذي يقال عنه مستقل يشارك في تحرر الشطر الواقع تحت سيطرة الاحتلال .

فما هو اذن اتفاق جدة الثلاثي ؟ وما هو اتحاد الدول العربية ؟ وقبل الاجابة على السؤال الأول لا بد من الاشارة أولاً إلى الدور الذي كان الاستعمار يقوم به في ذلك الحين حفاظاً على مصالحه في الوطن العربي وذلك من خلال تشتيته للقوى العربية ، ومن محاولات سافرة لتنظيم جبهة الدول الرجعية في وجه المد الثوري القادم من القاهرة ، وكان حلف بغداد الخطيرة الاستعمارية التي اقامها الاستعمار لاستقطاب جميع الدول المعادية للقاهرة ولحركة التحرر الوطني ، وقد تولت بريطانيا ومن ورائها أمريكا الدعوة لهذا الحلف

الاستعماري ، وأدركت القاهرة بحسها القومي خطورة هذا الحلف على وحدة الأمة العربية ومستقبلها وما سوف يجره عليها في حالتي السلم والحرب من كوارث لا مبرر لها سوى خيانة بعض الحكام العرب لشعوبهم أولاً وعمالتهم وانقيادهم الأعمى ثانياً للسادة المستعمرين في لندن وواشنطن .

وفي ظل مبادىء القومية العربية وشعار الحياد الايجابي وعدم الانحياز تصدت القاهرة لفضح حلف بغداد المشبوه ، ووجهت كل طاقاتها الاعلامية لشرح اهداف وخطورة هذا الحلف ومدى ما يقدمه للمصالح الاستعمارية في المنطقة من خدمات ، ولم يقتصر دور القاهرة في مجابهة الحلف الاستعماري على الفضح الاعلامي بل لقد قامت بما هو اكثر من عمل مضاد من ذلك ما حاولته من خلال لقاءات الجامعة العربية ومن خلال اللقاءات الثنائية مع الدول العربية الاخرى ومنها اليمن لايجاد الحلف البديل الذي وان كان لا يجدي في واقع الأمر شيئاً مع هذه الدول بالذات إلا أنه على الأقل سوف يمنع بعضها من الانحراف وراء بغداد « نوري السعيد » .

وفي ٢٨ ابريل ١٩٥٦ وقع كل من الرئيس جمال عبد الناصر والملك سعود والإمام احمد ميثاق جدة كخطوة أولى - كما قيل - للم شعوب البلدان العربية ، وقد اشتمل ميثاق هذا الحلف على عدة نقاط منها ما جاء في المادة الثانية :

« تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلح على أية دولة منها اعتداء عليها وتلتزم باتخاذ التدابير اللازمة على الفور وتستخدم جميع

ما لديها من وسائل لاعادة الأمن والسلام الى نصابها . . »

وكان الرئيس جمال عبد الناصر وهو يوقع على هذا الميثاق وعلى هذه المادة بالذات كان ينظر لا إلى حلف بغداد الاستعماري وإنما إلى ما تشكو منه الدولتان المشاركتان في الميثاق من استمرار العدوان عليهما من الاستعمار البريطاني في واحة البريمي (في الجنوب من اليمن) .

ورغم أن هذا الحلف ظل حبراً على ورق بل انه لم يمنع واحداً من الاعضاء الموقعين عليه وهو الإمام احمد من اظهار الفرح والسرور بالعدوان الثلاثي على مصر الذي وقع في نفس العام - رغم ذلك كله فقد خرجت اليمن من هذا الحلف بما يلي :

أولاً : منع حكومة الإمام من الوقوع في شبكة الاحلاف .
ثانياً : فتح احتمالاً جديداً لمساعدة القاهرة الثقافية والاقتصادية والعسكرية وأسهم في عقد صفقة الاسلحة الروسية . .

ثالثاً : حاولت به القيادة الثورية في مصر أن تبرهن للقوى الرجعية انها لا تؤمن بتصدير الانقلابات ، وأنها لا تطمع في مرحلة التحرر الوطني بأكثر من تغيير مواقف الحكومات تجاه شعوبها ودفع هذه الحكومات للوقوف في وجه الاستعمار والصهيونية . .

رابعاً : كان الاشتراك في هذا الحلف السند الشرعي الذي بموجبه ارسلت القاهرة بقواتها إلى اليمن فيما بعد دفاعاً عنها ضد الغزو الاستعماري الرجعي ، وحفاظاً على مكاسب الشعب التي تحققت بقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ . .

أما عن اتحاد الدول العربية فقد ظهر هذا الاتحاد إلى الوجـود بعد أيام قليلة من قيام الوحدة بين مصر وسوريا، أول حلم عربي معاصر تجسد في واقع النكبة والتمزق، وقصة هذا الاتحاد تبدأ كما تذكر رسالة الامام أحمد[1]. وكما تحدث عنها بعد ذلك الرئيس جمال عبد الناصر، تبدأ باستشارة الإمام للنجوم ثم ما أكدته هذه الاستشارة من ضرورة الوحدة وصلابة عودها في وجـه الاعداء وتنتهي الـرسالـة بمطالبـة الإمام الرئيس جمـال عبد النـاصر بـانضمام اليمن إلى الـوحدة بـأي اسلوب وبأية كيفيـة يتم الاتفاق عليهـا ، وقد كـانت صيغة الاتحـاد هي الكيفية التي ارتضاها الطرفان ، ونجحت خدعة الإمام[2] وظهر مرة اخرى بعد الحلف الثلاثي المهمل اتحاد الـدول العربيـة ، وعقد هذا الاتحاد اجتماعه الأول في ٨ مارس ١٩٥٨ ونشأ بمقتضـاه مجلس الدول العربية ، ويتألف ميثاق الاتحاد من ٣٢ مادة نذكـر منها المـواد التالية كدليل ثان على محـاولة الثـورة العربيـة في القاهـرة طرق كـل الأبـواب الممكنة للحصـول على مـا يمكن الحصول عليـه من التطور الاجتمـاعي لشعب اليمن القابـع بعيـداً عن سيـرة الـزمن وحتميـة التاريخ وهذه بعض تلك المواد :

المادة الثالثة : مواطـنو الاتحاد متساوون في الحقوق والواجبات العامة .

---

(١) انظر خطاب الرئيـس جمال عبد الناصر في ٢١ ديسمبر ١٩٦١ بور سعيد .

(٢) الخدعة الكبرى للاستاذ محمد محمود الزبيري .

المادة الرابعة : لكل مواطن في الاتحاد حق العمل وتولي الوظائف العامة في البلاد المتحدة دون تفرقة في حدود القانون . .

المادة الخامسة : تتبع الدول الاعضاء السياسة الخارجية الموحدة التي يضعها الاتحاد . .

المادة السادسة : حرية التنقل في الاتحاد مكفولة في حدود القانون . .

المادة الثامنة : يكون للاتحاد قوات مسلحة موحدة . .

المادة التاسعة : تنظم الشؤون الاقتصادية للاتحاد وفقاً لخطط مرسومة تهدف إلى تنمية الانتاج واستغلال موارد الثروة الطبيعية وتنسيق النشاط الاقتصادي . .

المادة العاشرة : ينظم القانون شؤون النقد في الاتحاد[١] .

كانت تلك المواد الذي تضمنها ميثاق اتحاد الدول العربية . لقد كان هذا الاتحاد ومع الإمام احمد نفسه غلطة كبيرة ، وأملاً في غير محله ، ولكن هل كان امام الثورة العربية أي بديل ؟

الانفصال وقصائد الشعر الرجعية :

كانت فرحة المواطن العربي بقيام الوحدة بين مصر وسوريا غير ذات حدود ، لأنها أعطته الثقة الكبيرة بالمستقبل ومنحته أملاً بقيام الوطن الكبير، وقربت إلى ذهنه صورة ذلك اليوم الذي

(١) اليمن مجموعة كتب سياسية .

يرى فيه نفسه وقد أصبح مواطناً مرموقاً في وطن كبير يمتد من المحيط إلى الخليج . .

وعندما وقعت جريمة الانفصال كان حزنه - أي المواطن العربي - كبيراً وعميقاً فقد رأى كل الآمال تتبخر فجأة ورأى يوم الوحدة الكبرى يبعد ويتلاشى ، وكان يوم الانفصال بحق من الأيام العصيبة السوداء على كل العرب ، ومع ذلك فقد وجد داخل هذا الوطن ومن بين هؤلاء العرب من اعتبر هذا اليوم عيداً ولعل الإمام احمد وبقية أفراد الاسرة الملكية وأعوانها في اليمن في مقدمة من أسعدهم هذا اليوم المشؤوم خاصة بعد ان اختفت اعيادهم الحقيقية منذ ظهر على المسرح العربي جمال عبد الناصر . .

وقد ادارت الفرحة بالانفصال رؤوس العصابة الحاكمة في اليمن فترك معظم افرادها تحفظاتهم جانباً وتناسوا ان مملكتهم المهزيلة عضو في اتحاد الدول العربية الذي يضم كلا من مصر وسوريا ، وان هذا الاتحاد قد جاء نتيجة للوحدة التي ضربها الانفصال والتي ألحق المتآمرون بضربها اعظم الخسائر في حق الأمة العربية حاضراً ومستقبلاً . .

لقد ابتلع الإمام احمد كلماته الطيبة عن الوحدة ، وخرج على الناس في ظل نكسة الانفصال بقصيدة طويلة من الشعر السقيم يهاجم فيها الاشتراكية والوحدة ويمتدح فيها رجعيته ، ويدعو بقية الحكام الرجعيين من أمثاله الى الوقوف صفاً واحداً في وجه مبادىء العدالة الهدامة : المبادىء التي تسعى إلى ايجاد المساواة بين الناس

وازالة الفوارق الطبقية والطائفية والعنصرية التي لا تقوم الحياة في نظر الإمام احمد إلا بها . .

وزادت الحملة الاستعمارية والرجعية خارج اليمن من نشاطات الإمام العدائية ضد حركة الثورة العربية ولم تجد القاهرة بدأ من حل اتحادها مع اليمن وأصدرت بذلك بياناً في ٢٧ ديسمبر ١٩٦١ ضمنته اسباب فصم الاتحاد ، وهذه هي الأسباب :

أولاً : انه لا يوجد في طبيعة أي من الحكومتين ما يجعل قيام مثل هذا الاتحاد كأداة سياسية فعالة قادرة على الاسهام الايجابي في تطور النضال ، ومن هذا الاختلاف في الطبيعة تختلف نظرة كل منهما للأمور ومع أن هذا حق ثابت لكل من الحكومتين الا انه من المتعين مواجهة هذا الاختلاف بعد سنوات حاسمة من التجربة خصوصاً وان الجمهورية العربية المتحدة تشعر بالتزامها امام حركة الجماهير العربية سعياً للوصول الى الحل الاجتماعي .

ثانياً : إن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تجد لزاماً عليها ان تحدد موقفها من قضايا الوحدة والاتحاد في جلاء لا يلابسه شك ، وموقف الجمهورية العربية المتحدة من قضية الوحدة والاتحاد لا يمكن أن يقوم على أسس صحيحة ما لم يكن هناك توافق بينها وبين الاطراف التي يعنيها الأمر على حلول مشاكل التطور الاجتماعي . وإذا كانت حكومة الجمهورية العربية المتحدة تعتقد في ايمان راسخ بأن الاشتراكية هي الحل الصحيح لمشاكل الواقع العربي ، فإنها في نفس الوقت . . وبكل ايمانها الذي لا يتزعزع

بحتمية الوحدة ـ ترى أن توافق النظرة الاجتماعية حيوية لانجاح تجربة الوحدة . .

ثالثاً : أن الجمهورية العربية المتحدة اقبلت على خطوة اقامة الاتحاد العربي تملؤها الآمال بأن تستطيع هذه الخطوة أن تكون اداة في خدمة الشعب اليمني وخدمة قضاياه العادلة . ولكن تجارب السنوات الماضية أكدت بما لا يقبل مجالاً للشك أن الشعب اليمني لم يستفد من التجربة ، وان حكومة ج.ع.م وهي تقدم على هذه الخطوة تتمنى باخلاص لو ادركت حكومة اليمن الموقف الذي دفعها إلى ذلك .

هكذا انتهى اتحاد الدول العربية ، وكان حل هذا الاتحاد ضربة قاضية بالنسبة لحكم الإمام على الرغم من انه ـ اي الإمام ـ لم يتبين ابعاد هذه الضربة إلا فيما بعد حين ادرك ان اعلان فصم الاتحاد كان بمثابة اعلان للشعب بالحقيقة المرة ، ودعوة غير مباشرة لقواه الوطنية بأن تتحرك من الداخل بعد أن فشلت كل الجهود الخارجية لاصلاح أوضاع اليمن عن طريق التطور السياسي . .

وفي ظل المخاوف والتوقعات المختلفة بدأ الإمام احمد في الارتماء في أحضان الرجعية العربية كما سارع في منح الولايات المتحدة الامريكية امتيازات واسعة المدى ومجالاً للتحركات المشبوهة من خلال النقطة الرابعة وبعض المشاريع الموهومة . وبدأت السفارة الامريكية في تعز تستقطب العملاء وتجاهد في خلق طبقة جديدة من كبار موظفي الدولة لتختار من بينهم فيما بعد جهازاً لحكم عمالتها

المنتظر . وكادت هذه المحاولة الامامية ـ الامريكية تنجح ، إلا أن الشعب سدد قبضته القوية في الوقت المناسب وأطاح بالامامة . وحين شعر الشعب بأنه قد تحرر منها ـ أي من الامامة ـ شعر أيضاً بأنه قد حرر نفسه من كل الارتباطات وانه يضع أقدامه لأول مرة على بداية الطريق الصحيح . .

ثورة سبتمبر ١٩٦٢ :

ما أكثر الاسئلة التي طرحت عند قيام الثورة اليمنية . والسؤال الوحيد الذي لعله لم يطرح لأن الاجابة عليه معروفة سلفاً كان هو لماذا قامت الثورة ؟ لأن الثورة في الحقيقة لم تقم إلا بعد أن امتلأ المكان والزمان بالسؤال الخالد وهو لماذا لا تقوم ثورة في اليمن ؟ وحين قامت الثورة كان حتى ألد خصومها يخجلون من طرح مثل هذا السؤال : لماذا قامت الثورة ؟؟ . .

لذلك فقد احتارت الاسئلة واضطربت في قضايا وموضوعات اخرى ، ومن بينها كان هذان السؤالان :

ما سر التوافق بين ذكرى الانفصال وقيام الثورة في اليمن ؟

لماذا ذهب عبد الناصر الى اليمن ؟

وللرد على السؤال الأول لا بد من العودة إلى الماضي إلى عام ١٩٤٨ عندما قام أول انقلاب في الوطن العربي ممثلاً في « ثورة الدستور اليمنية » الثورة التي أسقطت عرشاً وذهبت بالإمام يحي وبعدد من بنيه وأحفاده وكادت تختصر زمن المحنة اليمنية . وبالرغم من

أن هذا الانقلاب قد مني لعدة اسباب بالفشل كما سبقت الاشارة الى ذلك من قبل فانه قد نجح في اختيار الحل الصحيح لمشاكل التخلف في اليمن عن طريق الثورة . وكان هذا الانقلاب الفاشل خميرة كل الاحداث التي شهدتها اليمن بعد ذلك ابتداء بعام ١٩٥٥ وانتهاء بهذا الحدث الكبير . . الثورة .

وإذا كانت المصادفة الطيبة قد جعلت ثورة سبتمبر يسبق قيامها ذكرى الانفصال بيومين اثنين وجعلت من قيامها رداً حاسماً على جريمة الانفصال فإن ذلك لا ينفي كونها قد نبعت اساساً من الظروف والشروط الموضوعية والمحلية بالدرجة الأولى ، وان موعدها قد تحدد من داخل اليمن نفسه وكان يمكن لهذا الموعد أن يتقدم أو يتأخر بحسب ظروف البلاد وحسابات وظروف الثوار اليمنيين انفسهم . وإذا كانت الثورة ايضاً قد انتفعت بتجارب الماضي مستفيدة بما حدث في عامي ٤٨ ، ٥٥ فمدت يدها - فيما بعد - إلى القاهرة فإن ذلك ليس دليل غربتها بل هو دليل اصالتها الواعي بوحدة النضال والمصير العربي . وقد أحسن الثوار الى انفسهم ثم إلى الثورة حين جعلوها في أول يوم لا مجرد قضية اليمنيين انفسهم ولا قضية قطر عربي هو مصر بل قضية الأمة العربية بمجموعة أقطارها ، فالمعركة الدائرة بين الأمة العربية والاستعمار والصهيونية والرجعية العربية تجعل من ضعف وتخلف قطر عربي معين ضعفاً وتخلفاً لبقية الأقطار وهذا ما أكدته حقيقة النكسة الاخيرة في ١٩٦٧ . .

تلك حقيقة لا تقبل الجدال - حقيقة ان الثورة نبتت وتحدد

موعدها في اليمن - وهي أيضاً حقيقة تؤكد ولا تنفي ان عبد الناصر بما يمثله من ثقل وطني وقومي وبايمانه الصادق بالقومية العربية والوحدة قد كان موجوداً في مشاعر كل ضباط الثورة وفي حساباتهم وهم يعدون للثورة ثم وهم ينطلقون على ظهور دباباتهم في ليل صنعاء الخريفي القارس مساء ٢٦ سبتمبر . كانوا جميعاً يتمثلون الموقف الشجاع من ثورة ١٤ تموز في العراق . . الموقف الذي جعل الأسطول السادس يتراجع كثيراً ليلقي بأحلام واشنطن في عرض البحر الأبيض المتوسط . .

من داخل اليمن إذاً كانت الخطوة الأولى ، وكان يمكن للثورة ان تعيش بدون حاجة الى عون عسكري وأن تكتفي من القاهرة فقط بجيش من المدرسين والمهندسين والاطباء . فقد حظيت الثورة من اول يوم بتأييد شعبي لا نظير له . ولكن الرجعية الخائفة على مصيرها والاستعمار الخائف على مناطق نفوذه ما كانا ليتركا لشعب اليمن حرية اختيار طريق المستقبل والخلاص من الفقر والتخلف والقهر . .

وهنا يأتي دور السؤال الثاني . . لماذا ذهب عبد الناصر إلى اليمن ؟ وقد اجاب الرئيس القائد الخالد على مثل هذا السؤال في اكثر من مكان ، وفي اكثر من خطاب من خطاباته التي القاها بعد قيام الثورة في اليمن مباشرة ثم بعد ذلك على مدى خمس سنوات وقد حاول كاتب عربي وسياسي معروف[1] تصوير المعاني المتمثلة في ارسال القوات العربية المصرية الى اليمن بالمعاني التالية :

---

(١) عودة بطرس عودة « جمال عبد الناصر » في النضال العربي ص ٢٢٧ .

أولاً : إن ارسال هذه القوات بعد عام واحد من الانفصال أكد ان جمال عبد الناصر ببصيرته الثورية ازداد بعد الانفصال ادراكاً بأن حرية مصر كانت وستبقى جزءاً لا يتجزأ من حرية الوطن العربي ، وإن أكبر خطأ يمكن الوقوع فيه ، اذ بعده ينتهي كل شيء ، هو التراجع امام قوى الاستعمار والرجعية والانكماش داخل حدود مصر . إذ معنى ذلك تمكين القوى المعادية من أحكام حصارها حول مصر والبدء في تضييق الخناق عليها وعزلها تماماً عن الأمة العربية والقضاء ان عاجلاً أم آجلاً على حكمها الثوري . .

ثانياً : إن ارسال هذه القوات أكد أن جمال عبد الناصر بقي متحملاً لمسؤولياته القومية كقائد للنضال القومي العربي والثورة العربية ، وكانت مسؤوليات هذه القيادة تحتم تقديم العون العسكري لثورة اليمن ، لأن أي عون آخر يعني التخلي عن هذه الثورة وتركها وجهاً لوجه امام قوى الاستعمار والرجعية وهي اكبر بكثير من قدرتها على مواجهتها . .

ثالثاً : إن ارسال هذه القوات أكد أن الجمهورية العربية المتحدة التي صنعتها ثورة ٢٣ يوليو بقيادة جمال عبد الناصر استمرت رغم نكسة الانفصال تتحمل مسؤولياتها القومية قاعدة للثورة العربية ، تقدم العون اللازم لكل تفجر ثوري وكل حركة نضالية في أي جزء من أجزاء هذا الوطن .

رابعاً : إن ارسال هذه القوات أكد أن الجمهورية العربية المتحدة بقيادة جمال عبد الناصر آمنت بوحدة الخطر ووحدة المصير

ووحدة الثورة . . ومارست هذا الايمان عملياً وميدانياً ، هي بـذلك أكدت للجماهير العربية انها تلتزم بـالشعارات التي تـرفعها ، إذا لا قيمة لأي شعار بدون التزام صادق نحوه .

وإلى جانب هذه المعـاني المتمثلة في قرار الـرئيس عبد النـاصر ارسال قواته إلى اليمن وهو القرار التاريخي الـذي ما كـان احد غـير عبد الناصر يصدره وما كان غير الشعب العربي في مصـر بقادر عـلى تنفيـذه ، إلى جـانب تلك المعـاني تمثلت معـان واحتمـالات اخـرى منها :

أولاً : توسيع رقعة ارض الثورة العـربية بـاضافـة اليمن إليها بعد اخراج شعبها من ظلام القرون الوسطى . .

ثانياً : كسر حدة الحصار الرجعي الاستعمـاري المفروض من حول العرب بعد انهيار الوحدة وتطلع اعداء الثورة المستمر للهجـوم عليها في عقر دارها . .

ثالثاً : اعطاء ثورة الجزائر التي كانت تمر بمنعطف خـطر مـدداً جديداً وثقة بقدرة الثورة العربيـة على التحـرك السريـع والمتمكن في مختلف الجهات وإلى ابعد المسافات .

رابعاً : اجلاء الوجود الاستعماري عن جنوب اليمن وتحويل الشمال الثائر الى قاعدة حقيقية لتحرير الجنوب بعد فشل المحاولات المتكررة مع الإمام ، وبالتالي اعادة البحر الأحمر إلى ما كان عليـه أو ما يجب أن يكون عليه بحيرة عربية منفذها الأول في عدن والآخر في قناة السويس .

خامساً : نقل اكبر قدر من المؤثرات الحضارية إلى اليمن على امل أن تهب الرياح يوماً ما من اعالي جبال اليمن إلى بقية المناطق المجاورة والتي تعاني كثيراً من التخلف وكثيراً من القهر والسيطرة الاجنبية .

ولم تكد تمضي سوى بضعة شهور منذ تفجرت الثورة في اليمن حتى صارت احتمالاتها حقائق . وإذا بالهجوم الاستعماري - الرجعي يتحول إلى دفاع خاسر وإذا بالحكم الانعزالي في العراق يختفي ثم يعقبه سقوط حكم الانفصال في سوريا ، وبعد فترة من الحيرة والقلق والتعثر تجد ثورة الجزائر طريقها الواضح ، وبذلك تستقبل الثورة العربية أسعد وأزهر أيامها . .

القوات العربية المصرية في اليمن ، الدور والنتيجة :

قبل ثورة عبد الناصر كان الاستعمار قد نجح في تمزيق الوحدة القومية للوطن العربي ، وأفلح إلى حد كبير في اثارة النعرات الاقليمية ، وخلق كثير من الكيانات الصغيرة . وتحت وطأة هذا الهجوم الاستعماري انكمش الاحساس القومي وأصبح من طموح كل محافظة أو قرية البحث عن استقلال كيانها الصغير المزعوم ضاربة عرض الحائط بقضية استقلال الكيان القومي والوطن الاكبر ، وصار أي دعم أو تقارب يتم بين بلد عربي وبلد عربي آخر موضع تساؤلات ومثاراً للشكوك والاتهامات ، وصار اولئك الذين يدرسون في جامعاتهم العلمية تاريخ تكوين الدول الحديثة ونضالات نابليون وبسمارك وغاريبالدي وما خاضه هذان الاخيران

من حروب في سبيل توحيد كل من المانيا وايطاليا ، صار هؤلاء الموضوعيون الكبار اطفالاً عاطفيين تجاه الوطن العربي وتجاه آمال ابنائه في الوحدة . .

لذلك فقد كان مجرد أن تعبر قوة عربية من مصر إلى بلد عربي كاليمن كان هذا في نظر هؤلاء العلماء المنطقيين عملاً غير مقبول لا تتحمله عقولهم ولا الدوائر الاستعمارية والصحافة الاجنبية التي تحركهم . كان الموقف مشابهاً تماماً لما حدث في ظل الوحدة المصرية السورية المذبوحة . وربما كان أخطر دلالة ومغزى وكيف يصح في نظرهم - لبلد نام صغير نسبياً - كمصر يواجه الصهيونية ويصارع الحصار الاقتصادي والتآمر السياسي ، كيف يصح له أن يعبر بقواته البحر لتحارب على بعد الفين من الكيلومترات ، وبلا مقابل وبلا أطماع سوى حنين الدم العربي ونداء الواجب القومي « انها جريمة ولا شك لتدعيم جريمة اكبر هي ثورة اليمن » !!. .

لقد قامت على أرض اليمن إذاً ثورتان الأولى من اجل تصحيح الأوضاع المقلوبة في اليمن واخراج شعبها من كهوف العزلة والتخلف والكهنوت ، والثانية من اجل وحدة المصير والشعور القومي . وقد تمت الثورة الثانية بمجرد مجيء القوات العربية من مصر إلى اليمن . فلم تأت هذه القوات غازية ولا مستعمرة . وحين نزلت أرض اليمن لم تحتل المدن والمصانع التي خلفها حكم الامام ، ولكنها ذهبت نحو الجبال . . في الحدود لتساعد على تنفيذ ارادة ومشيئة الشعب في اليمن ، ان يكون له وطن حر ، وحكم وطني ، وحياة كريمة . ذلك هو الدور في أبسط صورة له . اما النتيجة فقد

كانت التمكين لشعب اليمن من فرض ارادته تحت اقسى الظروف وبكثير جداً من الضحايا العزيزة الغالية وبكثير جداً من الصمود الشاق . وإذا كان الاستعمار والانتهازية المحلية والعربية قد حاولوا طمس بعض المعالم المشرفة بسبب بعض الاخطاء الصغيرة والكبيرة فإن وجود القوات العربية المصرية في اليمن كان ولا يزال أنبل ما تمخض عنه حاضر العرب من مواقف البطولة والاخوة والفداء . .

ثورة سبتمبر في خطابات الرئيس جمال عبد الناصر :

كان واضحاً من أول يوم أن ثورة سبتمبر في اليمن قد وجدت لتبقى ، فان مشاعر الشعب وايمانه وتضحياته كلها كانت تقول ذلك . وجاء الدعم العربي من القاهرة بعد فترة من قيام الثورة ليعزز ويؤكد هذه الحقيقة . وباللقاء الذي تم بين ثورتي يوليو وسبتمبر على ساحة القتال ، وبدماء المناضلين من ابناء الشعبين الشقيقين ذهبت حملات الغزو المنظمة ضد الثورة اليمنية أدراج الرياح ، وكان مصير هذه الثورة والحفاظ عليها شغل عبد الناصر الشاغل في الأيام والسنوات التي تلت قيامها . .

وكما رأيناه يدافع عنها بالدم والمال وبالسلاح ، فقد رأيناه ايضاً وسمعناه يدافع عنها بالكلمة . وكان في السنوات الأولى من عمر هذه الثورة لا يلقي خطاباً ولا يدلي بحديث للنشر إلا كانت ثورة اليمن جوهر ذلك الخطاب أو هذا الحديث أو جزءاً هاماً فيه ولعله يكون من الصعب تتبع كل ما جاء في خطابات وأحاديث

الرئيس عبد الناصر عن هـذه الثورة . وسـوف نكتفي بتقديم بعض الفقرات الصغيرة الدالة على مشاعر القائـد الخالـد تجاه هـذه الثورة التي ساهمت ـ على حد تعبيره ـ في تغيير مجرى التـاريخ خـاصة بعـد الانفصال الذي حدث عام ١٩٦١ . . يقول الرئيس الخالد :

« في ١٠ أكتوبر ، حوالي عشرة اكتوبر شعرنا ان الثورة اليمنية ثورة الشعب اليمني تتعرض لعدوان خارجي يهدف إلى القضاء عـلى هذه الثورة وكـان علينا واجب كبـير . . علينا واجب ان نـدافع عن حق الشعب اليمني في الحياة ، ان ندافع عن حق الشعب اليمني في الثورة . .

احنا هنا شعب الجمهورية العربية المتحـدة اللي وجـد الفرص ان ينتصر كان علينا ـ أيها الأخوة ـ في هذا أن نتمشى مع مبادئنا مع اهـدافنا ونتمشى مـع طبيعتنا وأن نتعـاون مع الشعب اليمني الثـائر الشعب اليمني اللي وقف معانا في جميع معاركنا ، علينـا واجب كبير لا نمن به بأي حال من الأحوال ، ما بنقولش أنه مساعدة بنقول انـه واجب في رقابنا تجاه الشعب العربي في جميع انحاء الأمة العربيـة ان نؤكد له معوناتنا وأن نساعد في تدعيم حقه .

وكان علينا أن نساعد الشعب اليمني في تدعيم حقه في الثورة ضد العدوان الخـارجي ،وبهذا تـوجهت الى اليمن طليعة من قـواتنا المسلحـة تـدافـع عن المبـادىء التي آمنتم بهـا ، عن المبـادىء الـلي اعلنتوها ، طليعة من ابنائنا طليعة من اخواننا علشان تقاتـل بتقاتـل من اجـل حق الشعب اليمني في الثورة ، بتقـاتـل ضـد العـدوان ،

تقاتل ايضاً لحماية معركتنا ، معركتنا الطويلة اللي كسبناها واللي احنا بندعمها .

معـركتنـا في اليمن النهـارده تـأييـد للشعب اليمني هي تثبيت لاستقـلالنـا هي تـدعيم لانتصـاراتنـا هي تثبيت لانتصـارات الأمـة العربية كلها ، هي دفع لـلأمة العـربية كلهـا حتى ترفـع رأسها عن السيطرة القديمة ومناطق النفوذ ، وحتى تتجه إلى مستقبل خالص لها من اراداتهـا من نفسهـا ، ومن روحهـا مستقبـل تشعـر فيـه انها تحررت ، وحررت قوتها الذاتية وبهذا نشعر بأننا نزداد قوة . .

كـان واجبنا ان نؤ يـد ثورة اليمن ، واحنـا مـا نعـرفش مـين الناس اللي قامو بثورة اليمن . . انا أيـدت ثورة اليمن وأعلنت هنـا في اول يوم بعد ثورة اليمن . . يوم ٢٧ سبتمبـر أن أحنا نؤ يـد هذه الثورة . . بعدما سمعنا البيان الاولاني ، . . . ماكناش بنعرف اسماء قادة الثورة ، وماكانوش اعلنوا حكـومة ، كـان التوقيـع على البيـان القيـادة العليـا للثـورة ، واحنـا إذا أيـدنـا مبـادىء ، واحنـا ايـدنـا اهداف . .

أيـدنا ثـورة اليمن ، وكنا بهـذا نؤ يـد المبـادىء التي آمنـا بهـا ونجحت ثـورة اليمن من اول يوم . . من اول يـوم الثـورة نجحت وكـان فيه تـأييد كـامل ليهـا من جميع أرجـاء اليمن ، من اول يـوم الثورة نجحت ومكانش فيـه أي مقاومـة للثورة والشعب اليمني كله أيد الثورة . . »[١] .

---

(١) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر القسم الرابع .

إنه لا يساعد ولكنه يؤدي واجباً . . هو لا يقدم ديناً للشعب في اليمن ولكنه يرد ديناً سابقاً . . هو لا يؤيد اشخاصاً وأتباعاً ولكنه يؤيد مبادىء وأهدافاً . . بمثل هذا النقاء والصفاء الثوري وبمثل هذا اليقين والصدق القيادي والايمان بوحدة مصير الثورة العربية . . بمثل هذا كله كان يتحدث عبد الناصر الى الجماهير . .

عبد الناصر في صنعاء :

لم يكن غريباً أن تتعرض مسيرة الثورة في اليمن لما تعرضت له من عدوان وأن ينقسم العالم ازاءها إلى معسكرين ، الأول المعسكر التقدمي ويضم كل القوى المؤمنة بحق الشعوب في التطور والحرية والكرامة والمعسكر الأخر ويضم كل القوى الاستعمارية والامبريالية الضالعة في امتصاص دماء الشعوب والسيطرة على مناطق النفوذ ومصادر الثروات . .

وعلى مدى عامين اثنين استطاعت الثورة في اليمن أن تثبت أقدامها وأن تتخطى خلالها كثيراً من العقبات والصعاب . . وكل انتصار احرزته هذه الثورة إنما تم إلى جانب اصرار الشعب على الصمود بفضل الدعم الأخوي غير المحدود من قبل الشقيقة الكبرى لليمن : الجمهورية العربية المتحدة ، وبفضل ايمان وصلابة القائد المناضل جمال عبد الناصر . ويتجلى صدق هذا العون وصلابة هذه القيادة خلال عام ٦٣ ، ٦٤ حين اتسع نطاق التدخل الاجنبي من حول اليمن واستشرى إلى حد صار ما تواجهه اليمن حرباً حقيقية وغزواً من جميع الجهات ، ووصل اليأس بالمتشائمين الى حد

تصوروا معه أن القاهرة سوف تجد نفسها خارج الالتزام الذي قطعته على نفسها تجاه الثورة ولكن عبد الناصر الشجاع كان واثقاً بالنصر وبالثورة معاً . .

وحين زار اليمن لأول مرة في ٢٢ ابريل عام ١٩٦٤ ورأى بعينيه آثار الزمن الغابر على وجوه اليمنيين زاد تصميمه على الصمود ، وزاد يقينه بانتصار الثورة ، وآمن ان ذلك الذي حدث في اليمن قد كان معجزة ولم يكن ثورة فحسب . وعندما وقف الرئيس عبد الناصر اثناء هذه الزيارة ليتحدث إلى الضباط والجنود من أحد المواقع المتقدمة على الحدود اليمنية لم ينس هذه الحقيقة ، ولم ينس أن يذكر جنوده وضباطه الأبطال بمهمتهم الحضارية على أرض اليمن وبالواقع المتخلف لضحايا الإمامة ، لقد قال لهم بالحرف الواحد :

« انكم ترون هنا الشعب اليمني قد فاتته الظروف وفي التاريخ قفلت عليه الأبواب ليفرض عليه التأخر ، وهذا الشعب إذ فك عنه هذا التأخر فإنه يستطيع التعاون مع الشعوب العربية الاخرى وأن يعمل الشيء الكثير » . . .

وفي صنعاء التقى عبد الناصر وجهاً لوجه بجماهير الشعب ، والقبائل ، والعلماء ، والموظفين ، والتجار ، والضباط ، والجنود ، والشباب . كعادته تحدث عبد الناصر اليهم مفتوح القلب والوجدان وذكرهم بماضيهم البعيد حين « كانت اليمن معين الثورة ضد الطغيان وضد الاستبداد وضد الحكم وضد السيطرة ، فبعد الثورة

الاسلامية الكبرى سارت اليمن في هذا الطريق ونشرت الإسلام في ربوع اسيا وفي كل بلاد أسيا وحينما كنت أزور اسيا منذ عدة سنوات وكنت التقي بالمسلمين كانوا يقولون ان الإسلام وصل إلى هنا بواسطة ابناء اليمن » .

« كانت هذه أيها الأخوة رسالتكم وشعب اليمن الحر . . شعب اليمن الثائر الذي تثقف رسالة محمد بن عبد الله وسار بها بين مشارق الأرض ومغاربها لينشر من اجل الدين وليعمل من أجل الدين فينجح في رفع راية الدين ، ونجح في رفع راية الإسلام . . حتى أتت فترة من الزمان تحكمت فيها في هذه البلاد فئة من الطغاة أرادوا أن يحولوا حريتكم إلى اذلال ، وأرادوا أن يحولوا كرامتكم وعزتكم الى تكبيل بالحديد فقاومتم . . » .

ولم ينس عبد الناصر وهو في اليمن يلتقي بأبنائها ويتحدث إلى جماهيرها ، لم ينس ذلك العدو الرابض في الجنوب ، « بريطانيا » . . ثم انه يعاهد الله على طرد هذا العدو من كل جزء من الوطن العربي « ان بريطانيا لا بد أن تجلو عن عدن . . ان كلا من عدن والجنوب ارض عربية وأنه من المستحيل تماماً على بريطانيا تفرق عرب عن عرب او يمنيين عن يمنيين » . .

« إننا لن نسمح للاستعمار بأن يبقى في جزء من الوطن العربي ، لقد كنا جادين عندما قررنا الحصول على حريتنا التي بذلنا من اجلها الدماء وضحينا من اجلها بالأرواح ، وسنرد العدوان بالقوة ولن نترك الاستعمار يبقى في جزء من الجزيرة العربية » . .

« إن بريطانيا التي تنظر إلى ثورتكم بكراهية وحقد يجب أن تحمل عصاها على كتفها وترحل من عدن . أننا نعاهد الله على هذه الأرض المقدسة أن نطرد بريطانيا من كل جزء من الوطن العربي ولقد بذلنا الدماء وضحينا بالأرواح وحققنا النصر وسنبذل الدماء ونضحي بالأرواح ونحقق النصر كما حققناه في مصر واليمن[1] . .

وقد صدق عبد الناصر ، وأوفى ما عاهد الله عليه ، وخرجت بريطانيا من الجنوب ثم من الخليج وبقيت بعض الجيوب الصغيرة سوف يتكفل عبد الناصر وتلاميذه بتصفيتها إلى النهاية . .

اليمن بعد رحيل القوات العربية المصرية :

لم يعد خافياً بعد أن العدوان الامبريالي ـ الصهيوني الذي الحق بأمتنا العربية أثر نكبة حزيران ١٩٦٧ كان يستهدف أولاً وقبل كل شيء ضرب كل الانظمة التقدمية في الوطن العربي وكان نظام عبد الناصر القاعدة الرئيسية لهذه الانظمة ، وكان الهدف الاساسي للعدوان . ولم تكن ثورة اليمن بأبعادها المحتملة وبما احدثه قيامها من انقسام عربي وعالمي واسع المدى لم تكن هذه الثورة بمعزل عن تصورات . . المعتدين وهم يضعون اللمسات الاولى والاخيرة لعدوانهم . .

لقد كان هؤلاء المعتدون يعلمون سلفاً اعتماد الثورة في اليمن على القوات المصرية ، وقد وضعوا خطتهم بادىء الأمر على أن تستمر الحرب في اليمن أطول وقت ممكن لاستنزاف قوى الثورة في

(١) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر القسم الرابع .

مصر وخلق ثغرات في القيادة السياسية هناك حتى تسقط الثورتان كلتاهما ـ أي يسقط العون والمستعين ـ ولكن الثورة العربية كانت على وعي بما يحاك لها وما كادت تكشف وجه هذا المخطط حتى سارعت فأعادت توزيع قواتها في اليمن ونظمت تحركاتها في ظل شعار (النفس الطويل) وبذلك مني المخطط الامبريالي ـ الصهيوني بالفشل .

وعاد المعتدون من جديد إلى تصور آخر وهو أنه إذا ما تعرضت اجزاء من اراضي الجمهورية العربية المتحدة أو أي أرض عربية اخرى للعدوان من جانب اسرائيل فإن ذلك سوف يدفع القيادة في مصر إلى سحب قواتها من اليمن لمواجهة الخطر القريب وبذلك تترك الثورة في اليمن للقوى المعادية المحيطة بها ويسهل على هذه القوى بعد ذلك الانفراد بها . . . وتمت الضربة وفي اذهان المعتدين هذا التصور ، وقد حدث فعلاً بعض ما تصوره اولئك الاعداء . فقد سارعت الجمهورية العربية المتحدة في أعقاب العدوان إلى سحب قواتها في اليمن ، ولكن بقية تصورات المعتدين خابت تماماً فلم تسقط ثورة اليمن كما أن أياً من الأنظمة الثورية الأخرى لم يسقط أيضاً ، بل لقد كسبت هذه الأنظمة في ظل العدوان مواقع ثورية جديدة . وقبل أيام فقط من عودة القوات العربية من اليمن إلى القاهرة كان آخر جندي بريطاني قد رحل من عدن إلى غير رجعة وأصبح في جنوب اليمن واحد من الأنظمة التقدمية بل والمشاغبة على حد تعبير الدوائر الامبريالية .

وحين ظنت الولايات المتحدة الامريكية أن فراغاً في اليمن قد

نشأ نتيجة عودة القوات العربية إلى مصر فقد حاولت كشأنها أيضاً ملء الفراغ فأرسلت خبراءها العسكريين واستأجرت عشرات الآلاف من الجنود والمرتزقة وأنفقت في ثلاثة أشهر ما قدرته صحيفة امريكية بـ ٣٠٠ مليون دولار . ولكن الشعب في اليمن بطلائعه الشابة ، بقواته المسلحة استطاع أن يثبت لامريكا أن الفراغ موجود فقط في ضميرها ، وفي تقديرات ساستها للأمور ، وأدرك الشعب في اليمن أن واجبه القومي في تلك المرحلة يحتم عليه أن يصمد إلى النهاية حتى لا يتحقق من المخطط الامبريالي ـ الصهيوني شيء على الاطلاق . .

وحدث في اليمن ما انتظرته وتوقعته الأمة العربية ، فقد كانت حرب السبعين يوماً إسهاماً جاداً من قوى الثورة اليمنية في رفع معنوية قوى الثورة العربية ، وشهدت (صنعاء) وما حولها ابشع هزيمة للاستعمار وعملائه . وبعد أن كانت الدوائر الاستعمارية والرجعية تمني نفسها وتصرح بأن النظام الجمهوري سوف يسقط بعد ساعات أو أيام إذا بها تصاب بخيبة امل غير متوقعة وإذا بالعالم كله يتحدث عن صمود صنعاء وعن الوضع الجديد في عدن . .

ويستطيع المراقب المحايد الآن وبعد مرور أكثر من خمس سنوات على ما حدث أن يعزو جزءاً كبيراً من هذا الانتصار إلى التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تمت في اليمن خلال هذه السنوات الخمس فقد نشأت علاقات جديدة داخل المجتمع اليمني جعلت من الصعب على أية قوة مهما تعاظمت امكانياتها إعادة

الأمور إلى سابق عهدها وحتى عندما حدث اخيراً ما يسمى بالمصالحة الوطنية فقد تم ذلك كما يقرر الطرفان المتصالحان في نطاق المنجزات الشعبية ، وعلى ضوء العلاقات الجديدة ، في ظل النظام الجمهوري الثابت وهذا كله يجعل من رحيل القوات العربية - رغم كونه تم تحت ضغط العدوان - تجربة فريدة لاكتشاف الذات ومحاولة يمنية للاعتماد على النفس . وقد نجحت التجربة فعلاً وإن كان قد حدث بعد ذلك ما شكك في قيمة التجربة فليس المسؤول عنه رحيل القوات العربية ، ولا تجمعات ذوي الانياب الزرقاء من قوى الاقطاع والرجعية المحلية ، ولكن المسؤول بالدرجة الاولى هو ذلك الصراع الزائف وغير الموضوعي الذي احتدم في ساعات النصر الاولى بين فصائل قوى الثورة الجديدة حين اعتقدت أن كل شيء قد انتهى . .

اليمن بعد رحيل عبد الناصر :

بعد رحيل القوات العربية المصرية من اليمن وقبل وفاة جمال عبد الناصر بفترة ليست قصيرة ، كانت الصحافة الاستعمارية والرجعية تروج لاشاعة مغرضة مؤداها أن الشعب في اليمن صار يضيق بعبد الناصر وأن الشعبية التي حصل عليها اثناء وجود القوات العربية في اليمن قد تلاشت تماماً ، ولم يكن من الصعب كشف مصدر هذه الاشاعة ومخالفتها للواقع .

وكان الشعب في اليمن ينتظر حدثاً عربياً كبيراً ليعبر من خلاله عن مشاعره الحقيقية تجاه عبد الناصر بمظاهرة شعبية شاملة

كتلك التي جرت في يومي ٩ و١٠ يونيو في أعقاب نكسة حزيران حين خرجت الجماهير في اليمن وفي كل الأقطار العربية صارخة تطالب القائد الخالد ان يظل مكانه حتى النصر وتؤكد له وللعالم باصرار أن الأمم التي لا تعرف الهزيمة لم توجد بعد فالحرب سجال ، ومن يخسر معركة لا يخسر الحرب إلى آخر شعارات الجماهير في يومي الصمود العظيم . اقول كانت الجماهير في اليمن تنتظر هذه المناسبة وقد جاءت المناسبة ولكنها ويا للأسف العميق كانت مناسبة وداع الراحل الخالد جمال عبد الناصر في يومي ٢٩ و٣٠ سبتمبر وما تلاهما من أيام داكنة فقد خرجت جماهير الشعب العربي في اليمن هائمة على وجوهها ـ على حد تعبير وكالات الانباء ـ واستطاعت في تلك الأيام ان تعبر عن عظيم ما كانت تكنه للقائد الراحل من محبة وعرفان بالجميل أليس هو الذي حمى ثورتها ودافع عن ارادتها الحرة تحت اقسى الظروف ؟؟؟

والآن رغم مرور عامين[1] على رحيل عبد الناصر عن عالمنا فإن الوقت لا يزال مبكراً لمعرفة مدى ما سيتركه رحيله المفاجىء على الواقع العربي بصفة عامة وعلى واقع اليمن بصفة خاصة . أن حضور عبد الناصر في الأحداث التي عرفتها اليمن خلال العشرين عاماً الماضية ليس في حاجة إلى دليل ، وفي امكان الباحث ـ أي باحث ـ أن يجد بصمات عبد الناصر على كل جديد في اليمن ، وليس في مقدور أي مكابر ـ وما اكثرهم ـ أن يغفل الدور الايجابي

---

(١) تم كتابة هذه الدراسة عام ١٩٧٢م .

الذي اضطلع به عبد الناصر في اليمن سواء بسحر شخصيته أو بالدعم العسكري للثورة أو بالمساعدات الثقافية والاقتصادية التي تعد اسهاماً حقيقياً من جانب الشعب العربي في مصر نحو اليمن الشقيق المتخلف الفقير . .

وإن كثيراً من الذين وضعتهم ظروفهم أو دفعتهم طموحاتهم إلى الوقوف في الجانب المضاد للدعم العربي في اليمن لا يقللون ولا يستطيعون التقليل من أهمية وجود ذلك الدعم الذي بغيره ما كانت اليمن لتصل إلى ما وصلت اليه في كثير من المجالات التي قد تعتبر في غير اليمن من ابجديات العصر كنظام المواصلات ، وأنظمة التربية والتعليم ، ونظامي النقد والعمل ، على سبيل المثال .

ويقيني الذي لا يعتريه شك أن اسم عبد الناصر في اليمن سوف يبقى علامة فاصلة بين عهدين : الماضي بما يعيش بين جوانبه من تخلف وفوضى وارهاب ، والحاضر بما يحفل به من احتمالات التقدم والأمل ، وان عملية الدعم العسكري للثورة العربية في اليمن رغم ما رافقها من أخطاء بعض العناصر الانتهازية والتي لا يخلو من مثلها بلد ولا نظام - أن عملية الدعم هذه ، سوف تظل أشرف عمل عربي تم في عصرنا حتى الآن . .

وقبل ذلك ، وبعد ذلك سوف يظل دور عبد الناصر في اليمن رمزاً حياً ليقظة الضمير العربي الحديث بكل ما يبشر به من صحوة الأخوة القومية ، ومن شجاعة التضحية ، وشرف النجدة ، ونبل العطاء .

القاهرة ٢٧ سبتمبر ١٩٧٢

- ٢ -

عبدالناصر واليمن

فاتحة أخرى :

راجعت بقدر من القلق والانفعال نص الدراسة التي وضعتها منذ ثمانية أعوام عن الزعيم العربي الخالد جمال عبد الناصر . وأحسست بعد الانتهاء من مراجعة تلك الدراسة انني مطالب بالتعقيب ـ ولو في نطاق محدود ـ على بعض الملاحظات الواردة فيها ، نظراً لما جد بعد كتابتها من آراء وأحداث ، وما تم نشره هنا وهناك من تشكيك حول مواقف ذلك القائد الخالد ليس في اليمن فحسب وإنما في القاهرة ، عن قناة السويس ، والسد العالي حيث اعتبر كل انجاز عظيم خيانة أو جريمة أو خطأ وكان ذلك في احسن احوال الادانة .

وقبل ان ادخل في صميم التعقيب ومنه إلى صميم الاستدراك تشدني الذكريات العنيفة إلى أن أسترجع باختصار ذكرى رحيل ذلك القائد الذي حاول أن يلج الواقع العربي الآسن باندفاع صاخب ، وأن يزيل عن عيون أبنائه غشاوة التقليد والخضوع والاستسلام .

كان ذلك في مساء يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م كنت عاكفاً كالعادة على القراءة ، لا أتذكر اسم الكتاب ولا موضوعه ، لكنني ما زلت أتذكر جيداً انني كنت مشغولاً به عن متابعة برامج أي من التلفزيون أو الأذاعة . وفجأة سمعت باب الشقة يضرب بعنف .

ذهبت لأفتح الباب وأتبين هوية الطارق العنيف وإذا به جاري ابن الاسكندرية الوديع ، كان ينظر إليَّ مذعوراً وهو يقول لي افتح التلفزيون فوراً ، هناك حدث ما ، انهم يقرأون تلاوات من القرآن ، ذهبت إلى التلفزيون وفتحته بسرعة وكان جاري ما يزال واقفاً عند الباب وكأن قدميه قد تخشبتا. دعوته إلى الدخول فسحب قدميه في عناء وبعد قليل ظهر أنور السادات على الشاشة وكأنه صورة مرسومة بالفحم الحجري . كانت عيناه زائغتين ، وشفتاه لا تقدران على الانفراج ، صرخ صديقي وكأنه على علم بما سيقوله صاحب الصورة : انها الكارثة ، ويل لمصر . ونطقت الصورة المرسومة بالفحم الحجري ، معلنة النبأ الفاجع ومقدمة له بالآية الكريمة ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ . . . أية نفس مطمئنة تلك التي رجعت إلى ربها في هذا اليوم الحزين ؟ أنها نفس عبد الناصر ، أنها اذن الكارثة كما قال صديقي .

ويل لمصر حقاً ، وويل للعرب ، لقد خسرت مصر ، وخسر العرب قائداً محنكاً ، وسياسياً نقياً ، نضجت تجربته السياسية على لهب المعارك والصراع الدائر بين الأمة العربية وأعدائها من كل الألوان والأجناس ، ويل لمصر بعد غياب القائد الذي تمكن من احلال النظام الانساني بين ابنائها محل النظام الطبقي الجائر نظام الخمسة في المائة من المترفين على حساب الخمسة والتسعين في المائة من البؤساء والمحرومين ، وويل للعرب من اعدائهم الذين يتربصون بهم ويتربصون بهم الدوائر ، ويسعون إلى تمزيق أحلامهم في

الوحدة والحياة الكريمة .

كنت في القاهرة أيضاً عندما وقعت هزيمة حزيران ، وفي نفس الساعة من المساء رأيت عبد الناصر على شاشة التلفزيون ، وهو يعترف بالاخطاء التي قادت إلى الهزيمة وبشجاعة الرجال تحمّل المسؤولية وأعلن قراره في التنحي عن السلطة وما كاد ينهي خطابه الحزين حتى كانت الجماهير في الشارع تهز الأرض بأقدامها وبأصواتها وهي تطالب القائد أن يستمر في الامساك بدفة السفينة مهما حصل . أما في ذلك المساء المشؤوم مساء ٢٨ سبتمبر وبعد أن تنحى عبد الناصر عن الحياة فماذا سوف يصنع الشارع المصري ؟ كانت الدموع تغسل الشوارع والآهات تتصاعد كالرعود . ومرت مصر بأيام حزينة سوداء لم تشهدها في حياتها من قبل . وجاء رؤساء وملوك لوداع القائد الراحل ، ورأيت بعضهم يصاب بالانهيار والبعض يغمى عليه ، والجميع دون استثناء يبكون كالأطفال . وكنت اعتقد أن الحزن على عبد الناصر سوف يوحد العرب ويقضي على اسباب اختلافاتهم ، فالاحزان أحياناً تغسل النفوس وتنقي القلوب ، وتجعل الانسان اكثر قدرة على معانقة الآخرين وتفهم شروطهم . لكن ما حدث بعد ذلك والذي ما يزال يحدث بعد ذلك الوهم الجميل يجعل الناظر إلى الاحلام العربية وكأنه يسرح طرفه في كومة من الرماد .

التعقيب :

أشرت في الدراسة السالفة الذكر إشارة عابرة إلى السلبيات

التي رافقت الدعم العربي المصري للثورة اليمنية . . وكان من الواضح سلفاً أي حتى قبل قيام الثورة ـ ان دعماً بذلك الحجم الذي وصل قوامه إلى مائة الف جندي وإلى آلاف الخبراء والمستشارين ، وفي ظروف متخلفة وغير متجانسة ، كان من الواضح أن ينتج عن ذلك الدعم الكثير جداً من السلبيات والاخطاء غير المقصودة أو غير المحسوبة وأن تعمل الحساسيات في الجانبين دوراً غير هين في توسيع الاخطاء وتعميق الظواهر السلبية . وزاد الطين بلة وجود اطراف هنا وهناك من المتفعين بالخلافات والمستثمرين للاخطاء ونشط الجانبان عن قصد وتعمد وسبق إصرار في استغلال نقاط الضعف ، وتحويل الدعم العظيم إلى عملية توريط واستدراج وتصفية حساب مع عبد الناصر بعيداً عن القاهرة . وقد أبان غياب عبد الناصر بعض الوجوه التي لعبت جوانب من ذلك الدور العفن ، وفي الكتابات التي ظهرت بعد وفاته مباشرة وفي الكتابات التي ما تزال تظهر حتى اليوم ما يكفي لتوضيح دور اجهزة التخريب .

وفي أحدث كتب الصحفي الكبير الاستاذ محمد حسنين هيكل (وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي) ما يكشف عن الرغبة الدفينة في تشويه الدور البطولي لثورة يوليو في اليمن، وإظهار تلك المشاركة الأخوية كما لو كانت عملاً عدوانياً على البعض.

وحين يحاصر المدعي الاشتراكي الاستاذ هيكل بأسئلته المختلفة عن الأوضاع العربية في عهد عبد الناصر وعن الخلافات والهجمات الاعلامية وعن الحوار الذي وصل أحياناً إلى الاشتباكات المصرية ، يصرخ هيكل قائلاً : (انني أتصور ان المقصود بذلك هو

الخلاف بين مصر والمملكة العربية السعودية في اليمن .. وإذا كان ذلك هو المقصود فلا بد أن نضعه في اطاره التاريخي) ويسرد هيكل بعد ذلك قصة العلاقة بين البلدين منذ عهد الدولة الطولونية الى عصر عبد الناصر ، وكيف كانت العلاقة بين البلدين في عهد عبد الناصر وثيقة ومتينة إلى أن كان التحول الاشتراكي قد بدأ بقرارات يوليو الشهيرة سنة ١٩٦١م ، وكان ضيق الملك سعود منها شديداً ، يقول هيكل (أن مصر لم تدع إلى تطبيق الاشتراكية عندها ، ولكن مصر هي التي طبقت الاشتراكية عندها ، ولكن الافكار قابلة للانتشار والعدوى ، وهكذا فإن مصر في نظر الملك سعود لم تكن خصماً سياسياً فقط ، ولكنها اصبحت خصماً اجتماعياً أيضاً ، فضلاً عن حساسية الملك لتعاظم شعبية جمال عبد الناصر بين الجماهير العربية . ثم وصلت الأمور إلى درجة الانفجار عندما قامت ثورة اليمن سنة ١٩٦٢م) .

إن الرئيس انور السادات يعرف تفاصيل ما حدث في اليمن كاملاً ، فقد كان هو المسؤول السياسي عن توجيه الحرب ، في حين كان المشير عبد الحكيم عامر هو المسؤول العسكري عن ادارتها .. وكانت مسؤولية الرئيس السادات في حرب اليمن جزءاً من اختصاصه العام في مجلس الثورة المصري القديم ، فقد كان اختصاصه هو أمور شبه الجزيرة العربية كلها . انني لا اريد أن ادخل في تفاصيل كثيرة عن خبايا حرب اليمن لأني لا أريد أن انكأ جراحاً قديمة ، ولكن الوقائع تقول امامنا أن مصر كانت في موقف دفاعي عن نفسها وعن فكرة الثورة العربية . وربما اضفت ان

التـدخل المصـري لنصرة الثـورة اليمنية أدى إلى آثـار هائلة في شبـه الجزيرة العربية . .)

وما قد يهمني ويهم القارىء في بلادنـا من وقائـع التحقيق مع هيكل والمشار اليه سابقاً « المقصود » هو دلالالته الخطيرة على التعمد المستمر في تشويه أسلوب الدعم ، ثم اشـارته إلى أن الثـورة اليمنية بدأت كحدث داخلي دون تدخل مصري على الاطلاق ، ثم تـأكيده أن أنـور السـادات قد كان المسؤول السياسي عن توجيه الحرب في اليمن ، وان المشـير عبـد الحكيم عـامـر قـد اقتصـر دوره عـلى ادارتهـا ، وهو خـلاف ما يـذكره السـادات في كتـابـه « البحث عن الذات » حين يذهب إلى تبرئة نفسه من الاخطاء التي وقعت ويحاول الصاقها بزميله المرحوم المشير عبـد الحكيم عامـر ومن ثم ربطهـا في عنق الرئيس جمال عبد الناصر باعتباره كما يقول السادات في كتابه ، المسؤول الأول عن اخطاء معاونيه ومساعديه مهما كانت نواياه هو . يقول السادات « كنت أنـا المسؤول عن الجانب السيـاسي في الثورة اليمنيـة ، وكان عـامر هـو طبعاً المسؤول عن النـاحية العسكـرية ، ولكنـه كعادتـه اساء التصـرف فبدلاً من أن يجعـل من حـرب اليمن ميداناً لتدريب قواتنا على حرب العصابات وعلى تكتيكات جديدة ، انقلبت الحرب إلى تجارة ومنفعة وأصبحت مسرحاً جديداً يثبت عليه عامر أقدامه وينشـر نفوذه بحيث لا يستـطيع أحـد ان يزحـزحه عن مكانه كمركز القـوة الأول في مصر . . هـذا إلى جانب أنـه تورط في المعونة العسكـرية من لـواء إلى لوائـين إلى أن اصبح لنـا في يوم من الأيام ٧٠ ألف جندي هناك لم يتم سحبهم إلا بعد هزيمة ٦٧ عندما

اتفق الملك فيصل مع عبد الناصر في مؤتمر الخرطوم على ذلك . . » .

« البحث عن الذات ص ٢١١ »

والحقيقة التي يدركها الجاهل قبل العالم والغبي قبل الذكي أن الموقف الحربي يتوقف على التوجيه السياسي ، وأن الاخطاء التي حدثت في اليمن اثناء فترة الدعم المصري كانت سياسية بالدرجة الاولى ، وأن شرف الدعم المصري يتجلى في أنبل صوره في الجانب العسكري ، وهذا الرأي لا ينفي اخطاء بعض القيادات العسكرية المتنفعة ، والمشاركة في تمرير المخطط السياسي المغلوط ، والرامي إلى ضرب ثورة يوليو في اليمن بعد أن استحال على الاعداء ضربها في مصر ، واذكر للحقيقة وحدها وقائع جلسة ساخنة مع الرئيس جمال عبد الناصر وبعض المسؤولين اليمنيين وبعض الشخصيات اليمنية في الاسكندرية في صيف ١٩٦٤ . كان الرئيس عبد الناصر مذهولاً وهو يستمع إلى بعض التفاصيل عن الاخطاء التي يرتكبها بعض المنتفعين بالثورة اليمنية والحاقدين على ثورة يوليو وجنودها البواسل ، وكاد اللقاء يؤتي ثماره المرجوة لولا أن تدخل المسؤول السياسي عن الحرب والاخطاء فأوهم الرئيس عبد الناصر أن هؤلاء الذين التقى بهم يمثلون جماعات من التنظيمات الحزبية الخطرة والمشبوهة والطامحة في الاستيلاء على النظام ، وكان ارتياب عبد الناصر في الاحزاب والحزبية العقدة التي ينفذ منها اعداء الثورتين إلى ضرب كل العناصر الشريفة والحريصة على الثورة فأوقعها فيما يشبه الفاجعة بالمعنى التراجيدي .

والذي استطاع أن يقـول ذلك الكـلام هو نفسـه الذي كتب عن زميله بعـد سنوات من غيـابه يقـول : « في سنـة ١٩٦٥ كـانت حالة البلاد الداخليـة قد وصلت إلى مـرحلة يرثى لهـا فعليّ كـرئيس للوزراء لا يتخذ قراراً في أي شيء . . لأنه بطبعـه يخشى المسؤولية وربما لهذا السبب وقـع اختيار عبـد الناصر عليه . . فعبـد الناصر بطبيعته الديكتاتورية كـان يتطلب من رئيس وزارتـه أن يكون مجـرد مـدير مكتب ينفـذ أوامره وحسب . . وهكـذا كان عـلي صبري . . فـإذا اضفنا إلى هـذا ميله الطبيعي إلى التجسس عـلى الناس وتـدبير المؤامرات والعمل في الخفاء لادركنا سر تبرم النـاس به فمـاذا يمكن للبلد أن تستفيد من حكومة هذا شأن رئيسها » .

« البحث عن الذات ص ٢١٢ »

لقـد كان شعبنـا يدرك ومـا يزال يـدرك حتى اليوم أن ٩٩ في المائة من الاخطاء والسلبيات التي رافقت مرحلة تثبيت الثورة كـانت في الأسـاس سياسيـة ، وأن صاحب البحث عن الـذات ، وأنصاره كـانوا يبحثـون عن طريق لـلاستيـلاء عـلى السلطة في القـاهـرة من هنا . . من صنعاء ، وقد تم لهم ـ ويا للأسف ـ ما أرادوا .

استدراك

أشرت فيا سبق إلى أن الدراسة المباشرة والسريعة والمحددة الموضوع التي وضعتها عن عبد الناصر بعد وفاته بعامين اثنين لم تترك لي حرية البحث في مواقف اخرى لعبد الناصر غـير موقفـه من

قضيـة اليمن ، ولم ألمس من فكـر عبـد النـاصـر إلا مـا يتعلق بتلك القضية فلم أتجول كما كان ينبغي في الآفاق المضيئة التي خلقهـا فكر عبد الناصر التقدمي العربي ، واكتفيت من تلك الدراسـة بالحـديث الموجز عن الأقدار الوطنية والعربية التي ربطته باليمن وربطت اليمن به . وأعترف انني لم أكن سياسياً بـالقدر الكـافي الذي يجعلني أنفـذ إلى طبيعة تلك العلاقة وآثارها ، ولكني كنت صادقاً مع نفسي ومـع القارىء في توضيح أبعاد تلك الرابطة أو العلاقة بما يساعد على تبين الآثار الخالـدة والباقيـة للقاء شعبـين هما جـزء من شعب كبير ولقـاء ثورتين هما جزء من ثورة الحلم العربي الأكبر .

وفي هذا الاستدراك أحـاول أن أشير من بعيـد إلى جانب آخـر من جوانب فكر عبـد النـاصـر وهو الـذي يتبدى من خـلال علاقتـه بالمثقفين وتقديره للثقافة . وميزة فكر عبد الناصر في جوانبه المختلفة أنـه فكـر مفتـوح لا يضيق بـالجـديـد النـافـع ، وأنـه فكـر خضـع للممارسة ، أو أنه بعبارة اخرى فكر نبع من خلال الممـارسة وكـان ثمرة لها . ومن يتابع مسار الثورة العربية في مصر يدرك جيـداً أبعاد هذا التنامي والتـطور ، ويرى أن نـظام عبد النـاصر من بـين سائـر انظمة الحكام والزعامات العـربية قـد ظل مفتـوحاً للمثقفـين ، وفي فترة من الفترات كادت الحكومة تكون بكاملها من أسـاتذة الجـامعة حتى تكون قادرة على الالمام بكل أوجه النشـاط الفكري والمـادي في البـلاد وتكون الفـرصة متـاحـة لخلق الحـوار العمـلي بـين النـظريـة والتطبيق ، بين الافكار والحياة ، بين الحاضر والمستقبل ، والخـاص والعام .

وفي خطاب للرئيس جمال عبد الناصر القاه في جامعة القاهرة في منتصف عام ١٩٦٨ أي قبل وفاته بعامين ، يحدد دور المثقف ومعنى الثقافة ، ويدعو بالحاح وقوة كل المثقفين في بلاده أن يمارسوا مهمتهم القيادية وأن يقوموا بدورهم من خلال احاطتهم بمصلحة المجتمع ، ومما جاء في ذلك الخطاب قوله : « يعني ايه هو المثقف ؟ المثقف هو الذي يفكر في أحوال المجتمع ككل ، بيفكر بأي صورة من الصور في المجتمع بصرف النظر عن تفكيره قد يكون تفكيره يميني . قد يكون تفكيره يساري . . قد يكون تفكيره رجعي . . قد يكون تفكيره تقدمي ولكن هو يفكر بالنسبة للمجتمع . . على هذا الأساس نفهم المثقف ونقول أنه هو الشخص اللي بتتجاوز اختصاصاته حدود مصلحته الخاصة ، وتقدر على الاحاطة بمصلحة المجتمع ككل » .

في هذا الجزء من الخطاب يحدد عبد الناصر ملامح المثقف ، ويتركز في تحديده على أنه ذلك الذي تتجاوز اهتماماته حدود مصلحته الخاصة إلى الاهتمام بمصالح الآخرين من أبناء وطنه ، وفي الجزء الآخر من الخطاب يحدد عبد الناصر دور المثقف الجدير بذلك الوصف « المثقف ملتزم . يعني ايه ملتزم بحيث لازم نحدد دور الالتزام ودرجات الالتزام . . بالنسبة للمثقف الالتزام الوحيد هو الالتزام بالارتقاء بالمجتمع وبالارتقاء بالحياة عن طريق المشاركة في العمل والتوجيه السياسي والفكري . ولا يستطيع المثقف الملتزم أن يؤدي هذا الدور بالعزلة . . وإنما يستطيع اداء هذا الدور بالاقتراب وبالاندماج في المجتمع لا بد للمثقف أن يدرس أحوال المجتمع ،

لا بـد للمثقف أن يعـاني مـا يعـانيـه المجتمـع ، لا بـد للمثقف ان يستـوعب مشاكـل المجتمع وأمـاني المجتمـع . . لا بـد لـه أن يملك حـركاتـه واتجاهـاته وبهـذا يكـون المثقف فعـلاً يؤدي دوره كمثقف ثوري يعمل لمصلحـة الجماهـير ولمصلحة الشعب ولمصلحـة الحياة . وعـلى هـذا الأسـاس أنـا بقـول أن المثقف ملتـزم ويجب أن يكـون ملتـزم . . ملتزم مقـولش ملتزم تجـاهي ولا ملتزم تجـاه أي شيء . بقول يكون ملتزم تجاه الشعب وتجاه آمال الشعب » .

بمثـل هـذا المـوقف اختلف عبـد النـاصـر عن بقيـة الحكـام والزعماء ، وبمثـل هذه الأقـوال النابعـة من صميم الممارسـة استطاع عبـد النـاصـر أن يفـوز بحب النـاس وبثقتهم ، يقـول (ادونيس) تعقيبـاً على هـذا الجزء من خـطاب الزعيم الـراحل : « لقـد اعتـاد السيـاسيون العـرب أن يعزلـوا الثقافـة عن السياسـة والمفكرين عن المشاركة في قضايا التخطيط والتنفيذ لبناء الحياة والدولة . . كانوا في ذلك يطمسون الضوء الذي ينير تفكيرهم وعملهم على السـواء ومن هنا لم تكن الحياة العربية سوية . بل كانت مريضة ناقصة . السياسة فيها كل شيء، والثقافة هامش ضئيل معزول. . والسياسة دون ثقافة جزئية باهتة، تخبط ولا ترى. ترتجل ولا تخطط. وما عسى أن تكون الدولة التي تسودها مثل هـذه السياسـة ؟ أنها لن تكون اكـثر من مجمـوعة كـراسي ومصارف ونيـاشين . . إن كـلام الرئيس عبـد الناصر ، بما يحمله من سلطة الوضـوح ، لا يدين السيـاسة العـربية وحـدها ، وإنمـا هو كـذلك حكم عـلى المثقفين العـرب جميعاً ، ممن

يدرس مواقفهم من الثقافة ومعناها ، والشعب ومشكلاته ، والحرية وأبعادها ويدرس نظرة بعضهم إلى بعض ، ومستوى تفكيرهم ومناقشاتهم ، يتجلى له أن ما نسميه النشاط الثقافي العربي إنما هو صورة سوداء ، ويا للأسف في معظم اجزائها » .

« فاتحة لنهايات القرن ص ١٨١ »

وحتى لا يقول البعض ، وقد يقولون ، أن خطاب عبد الناصر جاء متأخراً ، وأن هذه العناية بالثقافة والمثقفين قد جاءت بعد الهزيمة وقبل وفاته بفترة قصيرة فإننا لا نعدم الجواب الصحيح ، ولن نعود إلى ما قبل ذلك الخطاب بأعوام ولكننا سنعود إلى بداية ظهور عبد الناصر في السلطة المصرية ، وكثير منا قرأوا ولا شك عن موقفه من توفيق الحكيم ، فقد طلبت حكومة الثورة في بداية عهدها من جميع الوزراء تصفية الأجهزة الادارية من العابثين والمهملين وكان توفيق الحكيم الكاتب المعروف واحداً من العاملين المهملين في وزارة التربية والتعليم ، وكان اسمه على رأس قائمة الموظفين المبعدين عن الوزارة ، وعندما بلغ الأمر إلى جمال عبد الناصر ثار وأمر بابعاد الوزير فوراً والابقاء على توفيق الحكيم في عمله تقديراً للثقافة ، وخسرت وزارة التربية والتعليم رجلاً من اكفأ الرجال هو الوزير الاستاذ اسماعيل القباني احد رجال التربية القلائل في الوطن العربي لكي يبقى الحكيم المثقف المهمل !

وإذا كان توفيق الحكيم قد حرص على أن يرد الجميل بشكل مغاير وبطريقة تتنافى مع أخلاقية المثقف ، فإن ذلك من شأنه هو ،

أما موقف عبد الناصر منه فهـو يثبت الأسلوب الأمثل الـذي اختاره للتعامل مع المثقفين ويؤكد حرصه الشديد على أن يشاركوا في عملية الأرتقاء بالمجتمع ، والارتقاء بالحياة.

الفصل الثاني

أصوات .. وأصداء
الدور المصري في اليمن

ليس أهم الكتب هو ذلك الذي يقدم الحقائق الجديدة فقط ، بل قد يكون من أهم الكتب أيضاً ذلك الكتاب الـذي يستطيـع أن يلقي اضواء جديدة على الحقـائق القديمـة والمعروفـة من قبل وأهميـة مثـل هذا الكتـاب تنبثق من قـدرة كـاتبـه عـلى استخـدام اسـاليب التحليـل والتفسير واستقـراء الوقـائع والاحـداث القـديمـة أو إعـادة تشكيلهـا للكشف عن رؤ ية جـديدة ، وهـذا مـا أعتقـد أن كتـاب « الدور المصري في اليمن » للدكتور احمد يوسف احمد قد اضطلع به ليس في الكتـاب جا.يـد عن الثورة اليمنيـة ، وليس فيه جـديد عن الدور المصري في اليمن ، لكن المنظور الجديد الذي حـاول المؤلف أن ينظر من خلالـه إلى الثورة اليمنيـة وإلى الدور المصـري واستقراء انعكاس لقائهما على الواقع المحلي والعربي والدولي هو الجديد ، وهو الذي يمكن تسميته بالرؤ يـة الجديـدة لذلـك اللقاء وأبعـاده المختلفة على مستوى الوطن العربي والعالم .

وقبل أن نتحدث عن محتويات هذا الكتاب نريد أن نشير بشيء من الأختصار إلى نماذج من تحليلاته، وفي ظل المنظور إياه

الـذي لا يتجاوز جـذور الرؤ يـة للواقع إلى مـا يمكن اعتباره خلفيـة محليـة ، أو تصـوراً محليـاً للدور المصـري في اليمن ، فقـد اختلطت الأمور ، وغامت الرؤ ية في العديد من الكتـابات ولم يسلم الكتـاب الذي بين أيدينا من تأثير هذا الخلط ، وفي البحث الأولّ من الفصل الأول منه بخاصة ، حيث تركز البحث على دراسة موضـوع (الأمن القومي المصري) وتبـدت الثورة اليمنيـة في هذا المبحث ـ للقارىء المتسرع على وجـه الخصوص ـ وكـأنها جزء من النشـاط النـاتـج عن معـايير الأمن القـومي المصـري ، وحمـايـة الأمن المبـاشـر لمصـر من التهديدات الخارجية وقـد جاء قـرار الدور المصـري أو « التدخـل » الأخير من خلال الشواهد التـاريخية ابتـداء من العصر الفـاطمي الى عهد محمد عـلي تطبيقـاً وانسجامـاً مع الـدوافع الاستـراتيجية (التي ترتبط بصورة أو بأخرى بمفهوم الأمن القومي) .

وبـادىء ذي بـدء تجـدر الاشـارة إلى أنـه لا يمكن بحـال من الأحوال انكار أهمية « المصالـح الوطنيـة » ودورها في صنـع أي قرار لكن هذه المصالـح ليست كل شيء في العـلاقات بـين الشعوب ولم تكن في مثل واقع الدور المصري الأخير في اليمن بمثل هذا الوضوح والتضخم الـذي صوّرتـه الكتابـات الاجنبيـة والكتـابـات العـربيـة المغرضة . وحاولت تحويله من دعم أخوي ومن التزام قومي وثوري يلعب فيه المبدأ الاخلاقي دوراً بارزاً إلى عمليـة غزو واحتـواء ، ولا يقف خطر هذا التصور وتضليله عند تشويه الدور المصري في اليمن وحسب وإنما يتعداه إلى تشويه الثورة اليمنية وإظهارها كما لو كـانت قد تمت بايحاء غريب وتحقيقاً لدوافع خارجية مبررها الوحيد الدخول

في المخاطر السياسية والعسكرية للمحافظة على أمنها القومي وحماية هذا الأمن من المخاطر الكبرى !

لقد ظهرت كتابات كثيرة أجنبية وعربية وكلها يستهدف كيان الثورة اليمنية ، ويسعى إلى اظهار الدور المصري في اليمن كما لو انه بداية مخطط الطموح الناصري لتكوين « امبراطورية مصرية » تسعى إلى السيطرة على بترول المنطقة وتبدأ من التحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر . والتضليل في هذه الكتابات واضح حتى لا يكاد ينطلي سوى على السذج من الناس الذين لم يعرفوا اليمن ، ولم يقرأوا شيئاً عن تاريخه المعاصر ، ولم يسمعوا شيئاً عن الحركة الوطنية اليمنية التي تكونت في الأربعينات . إن التزوير التاريخي لا يقف عند عبد الناصر - كما أسلفت القول - لكنه يهدف إلى ضرب عصفورين بحجر ، والعصفوران هما الثورة اليمنية والدور المصري في اليمن . صحيح أن الدعم المصري قد ساعد على حماية الثورة اليمنية وأن عبد الناصر قد وقف إلى جانب الثورة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً ، لكن مصر لم تصنع ثورة اليمن ، وعبد الناصر نفسه لم يخطط لدور الاستعانة .

الثورة في اليمن قائمة قبل ٢٣ يوليو ، وقضية الاستعانة قائمة قبل ظهور نظام عبد الناصر ، لكن الثورة اليمنية وجدت في ٢٣ يوليو سنداً قوياً وفي عبد الناصر ثائراً قومياً .

ونستطيع فيما يلي أن نورد طرفاً من رسالة اثبتها الاستاذ محمد محمود الزبيري في مذكراته وكان قد توجه بها إلى مفتي فلسطين

سماحة امين الحسيني الذي طاف أرجاء العالم الاسلامي لشرح قضية فلسطين راجياً من سماحته أن يطلب من إمام اليمن زيارة بلاده لكي يرى بأم عينيه ما يعاني منه شعبها . ولكي يستطيع بعد ذلك أن يطرح محنة اليمن على الدول العربية كفلسطين اخرى لعل هذه الدول تسارع في انقاذها قبل أن يدركها مصير فلسطين . كتب الزبيري رسالته تلك في أواخر الاربعينات وفي عام ١٩٤٩ على وجه التحديد ، وبعد عام واحد من سقوط حركة اليمنيين الثورية الاولى التي اطاحت بالإمام يحيى ، وأقامت دولة دستورية لم يكتب لها النجاح . تقول بعض فقرات رسالة الاستاذ الزبيري : (**بالرغم من انها توجد الأسباب التي تحمل المتتبع لسير السياسة العربية العامة فيما يتعلق بموضوع اليمن أن ينهج في تفكيره بهذا الصدد نهجاً شاذاً يخالف كل قضايا المنطق فإني لا استطيع أن أظن بأن زعماء العرب جميعاً قد وضعوا بينهم معاهدة سرية تقضي على كل فرد منهم أن لا يزور اليمن ، ولا يذكرها ، ولا يهتم بها . أو أقسم كل منهم ان يغمض عينيه عن هذا الوطن المضيع ريثما يقع في الكارثة التي ليس لها حل ولا أظن أيضاً أن حكومة اليمن الحالية قد وضعت قانوناً بانزال العقوبة الصارمة على كل زعيم عربي يصل الى اليمن ولكن مع عجزي التام عن أن أظن شيئاً من تلك الاحتمالات فإني لأشعر بعجز أشد من ذلك حينما أبحث عن احتمالات اخرى**) .

إننا معشر اليمانيين بما فينا « حكومتنا الموقرة » لم نبلغ ولله الحمد من النضوج الوطني بحيث نستطيع أن نفهم أو نستسيغ

القداسة الرائعة التي حملتها الثقافة الغربية وأضفتها على فكرة الحدود الـزائفة بـين الأقطار العـربيـة وجعلت منهـا هـوة تفصـل بـين هـذه الشعوب المتآخيـة . لهذا فـإنه يبـدو لنا ولحكـومتنا المـوقرة أيضـاً أن مقاطعة الشعوب العربيـة لهذا الشعب أعجـوبة فـذة تشبه اعـاجيب السحر والشعوذة وخوارق العادات وحينـما وقعت الحوادث المؤسفـة في اليمن ظهـر بوضـوح أن ستار الـظلام قد ارتفـع فجأة وظهـر أن وراءه شعباً ، ولكن هذا الستار العنيد سـرعان مـا عاد وأسـدل على هذه الحقيقة الكبرى مرة اخرى ، وإذا بالاشباح السحرية تفغر فاها لكل زعيم عربي يفكر في زيارة اليمن أو يمد بصره اليها .

لقد عودنا زعماء العرب في تجارب كثيرة جداً بأنهم لا يؤمنون بأن المريض مريض إلا بعد أن يموت ، ولا بأن العضو جزء منهم إلا بعد أن تختطفه كف عفريت ، ولا بـأن الواجب واجب إلا بعـد أن ينتهي وقت أدائـه ، كأننـا معشر العـرب أمة لا نحسن إلا رثـاء من مات والبكاء عـلى من ذهب ، وإعلان اللوعـة والغرام عـلى كل من واراه الرغام ، وكأني بكل وطن منكوب ينشدنا من قبره هـذا البيت الساخر :

أراك تـبـكـي عـلى قـبـري وتـنـدبـني
وفي حـيـاتي مـا زودتـني زادي

أو هذا البيت :

اتـت وحـيـاض المـوت بـيـني وبـينهـا
وجـادت بـوصـل حيث لا ينفـع الـوصـل

ولقد تذكرون أن مجموعة الأقطار العربية التي أنفقت في سبيل علاج مشكلة فلسطين عشرات الملايين من النقود وآلاف الأرواح من الجنود كانت تستطيع في وقت ما أن تعالج هذه الكارثة بثمن بخس دراهم معدودات . وأنني لأشعر بأن اليمن سعيدة الحظ حيث تستطيع أن تبسط يد الضراعة اليوم إلى من يمثل الضمير العربي النبيل . . الضمير الذي تجرع مرارة الاعراض ومرارة المقاطعة وعدم الاهتمام ، ورأى بعينه مصير بلاده وبلادنا جميعاً من جراء ذلك الموقف الشاذ الذي وقفته ازاء حكومات شقيقة كان يعلق عليها أكبر الأمال .

إن اليمن لسعيدة حقاً لو أن الأقدار وهبتها الضمير الحي الذي صهرته محنة فلسطين ، وكشفت له أسرار السياسة المدمرة التي تستهدف القضاء على العرب جميعاً ، وسعيدة حقاً لو أنها تستطيع الاستفادة من العقل الكبير الذي تجمعت فيه تجارب كثيرة وعبر جمة ، وسعيدة حقاً لو أنها تكسب القلب الذي عرف أهمية النصرة في حينها وقيمة النجدة في ساعتها وضرورة الدواء في وقت الألم والكرب .

أنتم خير من يعرف يا صاحب السماحة أن العرب جميعاً يتمنون لو يبذلون مئات الملايين من الجنيهات في سبيل تحويل ساعة الدهر إلى العهد الذي كان من الممكن فيه انقاذ فلسطين بأيدي اشخاص معدودين . وها أنذا أتقدم أجيال اليمن القادمة وأؤكد لسماحتكم أن اليمن في مثل ذلك الوضع القديم الذي كانت فيه

فلسطين قبل عشرات السنين ، وأن شخصاً واحداً مثل سماحتكم يفهم منطق الكارثة لو قرر أن يتكرم ويسخو بأيام قليلة من أيام حياته الغالية في سبيل انقاذ هذا الشعب لكان جديراً أن ينجح إلى حد كبير . فإذا قدر لليمن لا سمح الله أن تحرم من كل عطف ، وأن تفلت منها هذه الفترة الغالية من الزمان فسيكون الطريف جداً في التاريخ أن يقال بأن زعيم فلسطين الأكبر الذي تآمرت ضده القوى الظالمة بأسرها وقف من فلسطين الاخرى موقف اقطاب العرب من قضيته قبل عشرات السنين ، وأثبت للاجيال تلك الحقيقة البغيضة التي تقول بأن التاريخ يعيد نفسه . . . أننا نشعر بالمرارة والخجل أن تكون اليمن وقفت في قضية فلسطين موقف العضو المشلول تقريباً في حين أنها من أغنى بلاد العرب ، وحكومتها هي من الحكومات النادرة في العالم التي تحتفظ بواردات اربعين سنة » .

(من آثار الزبيري المخطوطة)

تحمل سطور هذه الرسالة التي بعث بها الاستاذ الزبيري من منفاه في باكستان إلى سماحة مفتي فلسطين اكثر من معنى وأكثر من دلالة ، وهي تؤكد كبقية أدبيات الحركة الوطنية اليمنية أن احرار اليمن لم يكونوا يجدون غضاضة في أن يطلب الشقيق عون اخيه ومساعدته على الخروج من صحراء العزلة والتخلف ؟

وقد ظلت راحة الشعب اليمني ممتدة إلى كل اخوانه العرب

الذين ظلوا بدورهم يتفرجون على محنته ويحسبون لأسطورة الحدود الجغرافية كل حساب . حتى جاء عبد الناصر وحاول من خلال ادراكه العميق لمفهوم القومية العربية أن يحطم أسطورة الحدود بتقديم يد العون ، ولكن يد العون تلك امتدت في ظروف عربية غاية في السوء ، وفي ظروف دولية قلقة وبقيادات سياسية واجتماعية غير مؤمنة وغير واعية بالدور الطليعي الذي انتدبت مصر نفسها للقيام به فكانت الاخطاء ، وكانت المساومات . وكان فرض اشخاص على الثورة اليمنية ليس لهم بها علاقة من قريب أو بعيد ، كما تم استبعاد اشخاص كانوا في صميمها ومن قادتها . وقد لعبت الحرب المفروضة دوراً غير منكور في اعطاء بعض الأفراد من هنا وهناك أدواراً اكبر من حجمهم ، كما ساعدت على اضفاء صورة التدخل المباشر في الشؤون الداخلية والخارجية مما اعطى انطباعاً زائفاً عن الثورة فكأنها لم تكن سوى ضربة مصرية تحاول كسر نطاق العزلة الذي احاط بالنظام المصري بعد الانفصال ، وفي هذا الانطباع من الزيف والتضليل ما يكاد يسلب شعب اليمن اهم جانب حي في تاريخه الحديث ، وهو جانب مقاومة النظام الامامي الكهنوتي البريء من الانتساب الى أي نظام تاريخي ظهر على وجه الأرض من قبل .

ويمكن أن نشير في هذا المجال ـ والاشارة هنا على سبيل المثال لا الحصر ـ ودون رغبة في التجني على أحد إلى الدور الذي احتله البيضاني في الشهور الأولى من قيام الثورة ، وهو رجل فرضته المخابرات المصرية على الثورة اليمنية فرضاً، وأسندت إليه من المناصب

ما جعله هو نفسه في ذهول . وقد ألمح الكتاب الذي اصدرته منذ سنوات لجنة من تنظيم الضباط الاحرار إلى الأثر الخطير الذي ترتب على اختيار البيضاني للقيام بذلك الدور ، وقد تجنب الكتاب المذكور ايراد بعض التفاصيل الضرورية المتعلقة باتصال التنظيم بالقاهرة ومفاجأة بعض أفراد ذلك التنظيم برسالة من البيضاني رداً على محاولة جس نبض القيادة في مصر حول امكانية الاعتراف بالنظام الجديد ومد يد العون إذا استلزم الأمر ، فقد كادت رسالة البيضاني تعصف بالتنظيم لولا حكمة بعض العناصر القيادية التي حافظت على التنظيم بقطع صلته نهائياً بالقاهرة وبالسفارة المصرية في صنعاء والعمل على مفاجأة القاهرة بالثورة فإن وقفت إلى جانبها فذلك ما يتمناه التنظيم وما يتمناه كل يمني ، وأن تركتها وشأنها فلن يصيب الاحرار واليمن إلا ما كتب الله لهم .

كما انني ما زلت أتذكر جيداً الحوار الذي دار عند تشكيل اول حكومة للثورة في الأيام ٢٧ و٢٨ سبتمبر ، وكيف رفض ضباط الثورة وأعضاء مجلس القيادة الأول بالاجماع تقريباً دخول شخص كالبيضاني في الحكومة لا لأنه كشف اوراقه الطائفية والعنصرية وحسب ، وإنما لأنه الوجه الذي استطاعت المخابرات المصرية - يومئذ استقطابه كعميل وليس كثائر يمني . وقد أصر عدد من أبرز قادة الثورة الشبان منهم الشهيد علي عبد المغني والمقدم عبد اللطيف ضيف الله ، والمقدم صالح الأشول والشهيد محمد مطهر زيد ، والمقدم احمد الرحومي ، أصروا جميعاً على كتابة برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر لكي يعمل على ابعاد البيضاني عن ساحة الثورة

اليمنية الوليدة حتى لا يثير وجـوده فتنة داخـل الثوار انفسهم . وقـد رأى بعض المتعقلين أن ارسال مثل هذه البرقية قد يثير حساسية بين النـظام الجديـد والمخابـرات المصـريـة وأن تتـرك الأمـور للمستقبـل القريب لأن الاجهزة التي تضع ثقتها فيـه ستضطر إلى سحب الثقة بعد أن تكشف حجمه الحقيقي في الواقع الجـديد ، وقـد حدث مـا توقعه العقلاء تماماً ولكن بعد ان ساءت صورة الثورة في عيون كثير من المواطنين وبعد أن أطلق البيضاني الشعارات الفضفاضة الخـطرة التي اعاقت مسيرة الثورة وشكلت أخطر المصاعب التي ما نزال نعاني منها حتى الآن .

إن الـدور المصري في اليمن كـان دوراً مرسـوماً ومـطلوباً من قبل الثوار اليمنيين انفسهم نتيجة وعيهم المسبق بـالأخطار الخـارجية المحيـطة بيلادهم وفي مقـدمتها خـطر الوجـود البـريـطاني في الجـزء الجنوبي من الوطن ، وهو خطر استعماري يدرك جيداً أن تحرير أي جزء من اليمن هو تحرير لليمن بأكملها بل وتحرير لمناطق الخليج أيضاً ، وهو مـا حدث وتحقق بعـد قيام ثـورة سبتمبر . كـما أن الحركـة الوطنيـة اليمنية لم تنس وهي تضع الصيغة الجديدة للتغيير مـأساة التجـربتين السالفتين في فبراير ٤٨ وفي أبريل ١٩٥٥ عندما خسر الشعب عدداً لا يستهـان به من الـرجال نتيجـة فقدان الـدعم المادي والمعنـوي ، ونتيجـة غياب الضمـير العربي ولكـون الاستعانـة بالأشقـاء ضرورة يفرضها الأمر الواقـع في بلد يعاني من فقـر مريـع في الامكانيـات ، وهي استعانة واعية مهما طرأ عليها في بعض الظروف الاستثنائية من

ضعف ولست في حاجة لأن اقوم بتذكير القارىء بمواقف اليمنيين الرافضة من اتفاقية جدة ومن مؤتمري الكويت وحرض ، ومن اللجنة الثلاثية ، ومن مشاريع التسوية المختلفة التي رأى اليمنيون فيها إنتقاصاً لارادتهم، أو تنازلاً عن حقوقهم .

وفي ضوء هذه الصيغة الموجزة لما حدث نستطيع أن نتبين أن ثورة سبتمبر فعل يماني .

- ٢ -

في بداية هذا الجزء وهو الثاني من القراءة في كتاب (الدور المصري في اليمن) لا بد أن أعيد إلى ذهن القارىء ما سبق أن أثبته في مطلع الجزء السابق وهو أن اهم الكتب التي نقرأها في حياتنا ليس هو ذلك الذي يقدم الحقائق الجديدة وإنما قد يكون ذلك الذي يلقي أضواء جديدة على الحقائق القديمة والمعروفة ، وأضيف هنا أيضاً أن أهم كتاب هو ذلك الذي يثير من المناقشة والحوار ما يغني موضوعه ويثريه . وفي ظني أننا لو كنا نعيش في فترة صحية على المستوى القومي لأحدث ظهور مثل هذا الكتاب نقاشاً وحواراً طويلين ، ولكان من وراء ذلك معين لا ينضب من التعليقات والملاحظات والأفكار التفصيلية المتعلقة بطبيعة الموضوع الاساسي لكتاب (الدور المصري في اليمن) .

فقد ارتبط ذلك المحور بأهم مرحلة عرفها تاريخ العرب

المعاصر ، وكان تعبيراً ايجابياً عن واقع الصحوة العربية وانتصار مد التغيير الذي أعقبه هذا الانحسار الرهيب الذي ألقى بمصر بعيداً وجعل منها تابعاً ذليلاً لدويلة صغيرة ظلت على مدى ثلاثين عاماً محاصرة بالغضب العربي زاعمة انها لا تطلب شيئاً سوى العيش ـ لا أكثر ـ بأمن وسلام !! أنه الحد الفاصل بين منطق الثورة ومنطق الاستسلام ، بين قيم الفكر العربي الوطني ، وقيم الفكر الاستعماري الصهيوني وكل الاضرار التي لحقت بالمجتمع وكل الاخطار التي عانى منها في ماضيه البعيد والقريب ليست شيئاً إذا ما قورنت بما ينتظره من أضرار وأخطار بعد غياب **(الدور المصري)** وانتقاله إلى الموقف النقيض .

وإذا كانت أفكار العبث واللامعقول من نصيب الأدب ، ومن مظاهر الأعمال الفنية ، فإن السياسة العربية تعاني اليوم من هذا العبث واللامعقولية ، وأي عقل موضوعي يستطيع أن يتقبل ما حدث ، أو يسعى إلى خلق ترتيب منطقي لمسلسل التغيرات القائمة والمتوقعة . لذلك فإن مراجعة جذرية لوقائع سنوات المد الوطني العربي قد تساعدنا ـ على أقل تقدير ـ في تحليل أعراض الأزمة الراهنة ، وقد تعطينا بعض المؤشرات إلى نوع هذه الأزمة ، وما علينا إذا اختلفنا في الاجتهاد وفي التفسير لأننا في الأساس مختلفون من دون اجتهاد وتفسير .

وكتاب **(الدور المصري في اليمن)** لا يثير كل هذه الخواطر وحسب ، وإنما يعيد إلى الأذهان كذلك أصداء انتصار الثورة اليمنية ، وكيف كانت في ظروفها ايذاناً بانتصار الثورة العربية في

اكثر من قطر عربي والكتاب - في الوقت ذاته - يعيد إلى الأذهان سلسلة المغالطات التي أطلقتها القوى المعادية من حول الثورة الوليدة لايقاف امكانية نموها ، وضرب احتمالات العطاء الواعد في المهد .

لقد ظهرت عن (الثورة اليمنية) عشرات الكتب لكن أيا منها لم يكن في مستوى ذلك الحدث العظيم ، وما زالت الثورة تنتظر من يكتب مسيرتها بطريقة اكاديمية تضع حداً للكتابات الانشائية والصحفية ، وكتاب « الدور المصري في اليمن » وإن كان لا يخلو من تأثير الكتابات الانشائية والصحفية بسبب اعتماده على بعضها كمراجع اساسية إلا أنه بداية الدراسات العلمية الناجحة في هذا المجال .

وإذا كنت قد حاولت في الجزء السابق من هذه القراءة أن أتابع المؤلف في تحليلاته لعلاقة اليمن بالأمن القومي المصري ، وسجلت مخالفتي إياه فيما ذهب إليه من أن نخبة صنع القرار في مصر كانت تضع في اعتبارها هذه العلاقة وهي توقع على قرار الدعم الأخير - فإنني اعود هنا فأكرر ما ذهبت إليه من أن الكتاب وهو يختط هذا المنحى إنما كان يسعى في محاولة واضحة للرد على من يحاول من المصريين النيل من موقف الدعم ، وقد ظهر هذا الاتجاه - كما ألمحت - في كتابات كثير من المصريين من أنصار الثورة اليمنية ، ولعل آخر ما قرأته في هذا الصدد شبه بيان صحفي اصدرته الحركة الوطنية إلى الصحف العربية ونشرته بعضها بمناسبة الذكرى التاسعة والعشرين لقيام ثورة ٢٣ يوليو ، وقد أفرد جانباً كبيراً لدور الثورة

المصرية في دعم الثورة اليمنية وما أفادته مصر من مكاسب مادية ومعنوية ، ووصل به الأمر إلى التأكيد بأن مصر لم تتكبد من خلال مساندتها الأخوية أية خسارة تذكر ، وهذا جانب من ذلك البيان الذي يبدأ بالرد على السؤال التالي : هل كانت اليمن ورطة ؟ والأجابة هي . (لم تكن الثورة حدثاً افتعلته أو صنعته مصر ، فقد كانت اليمن (**حبلى**) بالثورة منذ زمن طويل . وقد قامت أكثر من انتفاضة وثورة على النظام البدائي المتخلف الذي كان قائماً (**الإمامة**) ولكنها فشلت وقمعت بوحشية بالغة . . . واستنجدت الثورة اليمنية بمصر، ولم يكن ممكناً إلاّ أن تستجيب القاهرة بحكم مبادئها وبحكم مصلحتها إن صح الأمر . وقد ارسلت مصر بعض القوات الخاصة استطاعت بسهولة أن تقضي على فلول قوات الامام وأن تساند قوى الثورة في توطيد دعائم النظام الجديد . . وتأمين الجمهورية ، وكان يمكن أن تنتهي الأمور عند هذا الحد وأن تصبح الجمهورية حقيقة واقعة يتعايش معها الآخرون . . وهي لم تكن خطراً على أحد لاستغراقها في مشاكل اليمن المزمنة . وتفتقت العقول المدبرة عن فكرة تحويل اليمن إلى ورطة ومصيدة لا يخرج عبد الناصر منها . . إلى فيتنام تستنزفه وفي النهاية تقضي عليه .

وقد كان الخلاف جوهرياً ولا وجه للمقارنة لأن عبد الناصر كان يساند قوى الثورة في اليمن . . كان يقف مع فيتنام الشمالية وليس مع القوى الموالية والعميلة . ولأن عبد الناصر لم يكن « **جونسون** » ولكن زعيم كل العرب وقائد الثورة العربية .

وتولى مغامر امريكي من رجال « **البنتاجون** » قيادة حرب

اليمن مع طاقم من الخبراء والمخططين الاميركيين والأوروبيين ، وجمعوا جيشاً من المرتزقة وافتتحوا مكاتب تطوع ، في عدد من العواصم الأوروبية ولكي لا ينقطع الامداد ، وتدفقت كل الاسلحة وأحدثها على (الملكيين) في اليمن . . ومع هذا لم تسقط الجمهورية .

وعلى العكس امتدت الثورة في الشمال إلى الجنوب لتكتسح موكب السلاطين والمشائخ الذين يزينون الشاطىء وليسقط في النهاية آخر معقل للامبراطورية . . ويغرب آخر اشعاع شمس . . وأثبتت الحرب في اليمن قدرة وقوة القوات المسلحة المصرية ، وكانت أول مناورة كبرى بالذخيرة الحية وكانت امتحاناً للكوادر والاستراتيجية والاسلحة الجديدة بعد الثورة . . وقد حاربت القوات المسلحة المصرية حرباً نظامية وغير نظامية وفي أرض بعيدة مجهولة . . وهي أصعب أرض ، واستطاعت أن تحقق الهدف الذي ذهبت من أجله ، وأن تهزم الحلف غير المتكافىء الذي تكوّن ضدها ، وسجلت بطولات وكفاءات عسكرية فذة وفريدة . . وليس صحيحاً أن حرب اليمن كانت سبباً من قريب أو بعيد في هزيمة سنة ١٩٦٧ م ، أولاً لأن هزيمة سنة ١٩٦٧ لم تكن هزيمة عسكرية لأن القوات المسلحة المصرية لم تحارب ، وهي قد انهارت لانهيار قادتها وليس لضعفها أو عجزها . ثم لأن القوات الاساسية والضاربة لم تذهب إلى اليمن ولم تشترك القوات المدرعة أو القوات الجوية إلا بقدر ضئيل تماماً في حرب اليمن واستبقيت في مصر للمواجهة مع اسرائيل . ولأن الحرب في اليمن لم تكن بحاجة لمثل هذه القوات .

وقد اتهمت حرب اليمن بأنها استنزفت اقتصاد مصر ، وتسببت في تعثر خطط التنمية ولكن على العكس تماماً استطاعت مصر وهي تحارب في اليمن أن تحقق أهم خطة تنمية شاملة في تاريخها الحديث كله ، بل وأهم خطة تنمية في العالم الثالث كما وصفتها الأمم المتحدة . وقامت ببناء السد العالي وهو أكبر مشروع من نوعه في البلاد النامية وأحد المشاريع الكبرى في العالم ، وقامت مصر بمساعدة الجزائر على التعمير والبناء وعلى اختيار استقلالها الأول الذي تحقق في تلك الفترة وساعدتها عسكرياً حينما هاجمها المغرب وأغار على حدودها ، وقامت مصر بالتزاماتها كاملة نحو الثورة الافريقية التي تمثلت في مأساة الكونغو . . وقد تنازل الاتحاد السوفييتي عن ثمن الاسلحة التي استعملت في حرب اليمن وذلك تحية منه للثورة اليمنية ، وبذلك رفع عن مصر عبئاً كبيراً وقسطاً رئيسياً من نفقات الحرب .

وفي النهاية انتصرت الثورة . . وبقيت الجمهورية ولا زالت باقية ، وحينما خرج الجيش المصري من اليمن تصورت كل القوى المعادية أن الثورة لن تصمد بعده أياماً معدودة ، ولكن فوجيء الجميع بمعجزة ، وصمدت الثورة ، وانتصرت في معركة من معارك الحرية المجيدة في تاريخ العرب وفي كل تاريخ هذا العصر ، وهي معركة صنعاء التي دامت سبعين يوماً ، وخرجت منها الثورة والجمهورية وقد أثبتت اصالتها وعمق جذورها ، وانهزمت القوى الخارقة التي حشدت للقضاء عليها ، وبدأت رحلة اليمن للبناء ولاستيعاب حضارة العصر . .) الوطن الكويتية العدد ٢٣٥٨ بتاريخ ٢٧ - ٧ - ١٩٨١ .

من هـذا الموقف المؤيـد للثورة في اليمن والمنطلق من أرضية الدفاع عن ثورة ٢٣ يوليو ، وعن القائد الذي توخى في كل قـراراته المصلحة الوطنيـة ، من هذا المـوقف نتبين أبعـاد الاتجاه الـذي يرى الثـورة في اليمن من زاوية مصـرية وبقصـد اقناع المـواطن المصـري بسلامة القرار سياسياً ووطنياً قبل اكتشاف سـلامته ثـورياً وقـومياً ، وهذا ما ادركت انه تجلى بأوضح اساليبه في كتـاب (**الدور المصـري في اليمن**) الـذي يغلب الدور الـوطني المحـلي عـلى الـدور القـومي العـربي وبعبارة أدق يغلب الـدور المصلحي على الـدور الاخلاقي ، باعتبار سياق المصلحة في موضوع المساندة المصرية لليمن ـ كما يقول المؤلف نفسه ـ هي السياق الوحيد الذي تضع فيه الدراسـة الحاليـة الـدوافع الايـديولـوجية لقـرار اليمن ، وذلك في مـواجهـة التصـور الايديولوجي (**المثالي**) لدوافع هذا القرار .

وللانصاف فـالمؤلف لا ينكر التعـاطف الأخوي بـين الشعبين الشقيقين ، مصر واليمن ، ولا رغبة القيادة المصرية الـوطنية في مـد يـد المساعـدة للأشقـاء في اليمن لكن ذلـك كله يتم في اطـار الأمن القومي المصري ، في إطار المصلحة الوطنية المصرية يقول المؤلف : **(ولا يعني هـذا أن الباحث يـرفض اضفاء أي طـابع أخـلاقي عـلى التـدخل المصـري في اليمن ، ولكن الـدوافـع السـابقـة فضـلاً عن استحـالة التحقق التجـريبي من وجودهـا لا يمكن أن تكون دوافـع لقرار اليمن ، فهي ببساطـة يمكن أن تصلح كدوافـع لأي قرار من قرارات السياسـة الخارجيـة المصر يـة بعد ثـورة ٥٢ وتجاه أيـة دولة عربية)** .

ولست أدري كيف أعلل لنفسي وللقارىء استئثار هذا الجانب من موضوع الكتاب بتفكيري وقلمي ، هل لأنه صار الطابع العام في الكتابات المصرية عن اليمن ومصر ؟ ام لأنه اخذ حيزاً كبيراً في الكتاب وربما كان جوهر الموضوع بأكمله ؟ أم لأنني ادركت صواباً أو خطأ أن وراء هذا الاتجاه أسلوباً خطراً يسعى إلى الاساءة إلى الثورة اليمنية وربما من حيث لا يشعر الكاتب ولا يريد ، وتأتي هذه الاساءة في تقديري من محاولة التركيز على ابراز الثورة وكأنها جاءت لتحقيق مطامح القيادة المصرية ، وفي انقاذ نظامها ، لا في تحقيق أماني الشعب اليمني وانقاذه مما كان يعانيه من تخلف نادر المثال ؛ ومن نظام انقرضت نماذجه منذ عشرات القرون ، وكيف يتحول ذلك كله من خلال التحليلات والتفسيرات العلمية إلى أمن قومي اقليمي . صحيح أن مصر كسبت من دخول المعركة إلى جوار الثورة اليمنية وصحيح انها خسرت أيضاً بقبولها هذا الدخول لكن الثورة اليمنية لم تكن جسراً لتحقيق المكاسب والخسائر لأحد وإنما هي ثورة وطنية شاءت ارادة الله أن تنجح وأن تكون التحقق النهائي لسلسلة من المحاولات والانتفاضات المقموعة بحد السيف وعنف المشانق.

والآن نستطيع الانتقال إلى قضية اخرى من القضايا التي أثارها كتاب (الدور المصري في اليمن) وألقي عليها أضواء جديدة ، ولتكن قضية التسوية ولعلها مع قضية الأمن القومي المصري تشكلان القضية الاساسية للكتاب الذي يمكن اختزال محتواه بالكلمات التالية « الدور المصري من الثورة الى التسوية »

فقد شغلت مشكلة التسوية معظم صفحات الباب الثاني والأخير من الكتاب ، والتسوية السياسية التي فرضها - كما يقول - عديد من العوامل المحلية والاقليمية والدولية والتي حكمت الدور المصري طوال سنتي ٦٤ - ٦٥ « **حتى عندما شهدت هذه المرحلة** » تصعيداً عسكرياً فإن هذا التصعيد كان ذا وظيفة ترتبط بالتسوية السياسية » ص ٢٨ . ومن العوامل المحلية المصرية التي دعت إلى ذلك الموقف « **وجود قلق شعبي من استمرار الحرب في اليمن** » ص ٥٢١ .

ومن العوامل المحلية في اليمن « **انقسام الجمهوريين** » ولعل العامل الاخير هو أهم العوامل التي دفعت - في رأي الكاتب - الدور المصري إلى اتخاذ موقف البحث عن تسوية سياسية ، وقد مهد للحديث عما أسماه « **بانقسام الجمهوريين** » بالفروض النظرية التالية : « **تشير الفروض النظرية المتعلقة بتطور الصراعات الاهلية إلى أن المجتمعات التي تجتاز هذه الصراعات تشهد زيادة في التماسك الداخلي داخل كل طرف من أطراف الصراع ولكن في بعض الحالات تحدث هذه العملية بالعكس حيث يتحلل احد الطرفين أو كلاهما إلى فرق متنازعة ، ويبقى حدوث هذين الاحتمالين في صراع أهلي محدد مسألة للبحث في كل حالة ، وتشير خبرة الحرب الاهلية اليمنية في الستينات إلى أن الجمهوريين اليمنيين قد مروا بالطريق الثاني ، وسوف ندرس في هذا الجزء مظاهر هذا الانقسام ثم نحاول بيان اسبابه وأثره على السلوك المصري** » .

وبعد هذا التمهيد يبدأ الكاتب في دراسة مظاهر الانقسام

معتمداً في معظم الاحيان على الكتابات الاجنبية واستنتاجاتها كما حدث في الفقرة الأولى من الفقرتين التاليتين « تعرض بعض الكتابات احياناً لمظاهر انقسام الجمهوريين وفقاً لمصطلحات طائفية، فتتحدث عن تزايد السخط الشافعي على القيادة الجمهورية الزيدية واكتشاف تنظيمات شافعية سرية مناهضة للحكومة الرسمية وما إلى هذا ، بل أن هذه الكتابات تنظر احياناً لخروج بعض الشوافع البارزين من الحكم كما في حالة البيضاني ، وكما سنرى في حالات اخرى كتعبير عن خلافات طائفية ليس إلا ، وفضلاً عما سبق ورأيناه من خطأ التعبير عن الصراع السياسي في اليمن بلغة طائفية ، فإننا سوف نرى في تحليل اسباب هذا الانقسام انه من الخطأ أيضاً أن يفسر بمتغيرات طائفية ، وحتى مع الاعتراف بوجود توترات شافعية في اليمن في فترة الدراسة فإن تحليل ظاهرة انقسام الجمهوريين سوف يبين على نحو قاطع أن مثل هذه التوترات لا يمكن بحال أن تكون هي المظاهر الاساسية لهذا الانقسام ومن ثم فإن المتغير الطائفي لا يمكن أن يكون متغيراً اساسياً في التحليل ».

«تعود جذور الانقسام الجمهوري إلى الفترة اللاحقة لهجوم رمضان ، وقد كانت ابرز العلامات بهذا الصدد هي عقد مؤتمر في عمران باليمن في سبتمبر ١٩٦٣ ، وعلى الرغم من أن قرارات المؤتمر قد تضمنت في عبارات واضحة الثقة البالغة في الرئيسين « العظيمين » عبد الناصر والسلال ، والنظرة في قرارات تؤيد الخط

الرسمي للقيادة الجمهورية ، فإن عديدا من القرارات كان ينم عن نوع من المعارضة لبعض مظاهر فقدان الديمقراطية والفساد الحكومي ، كما طالبت القرارات برفع القيادات العسكرية من المناطق التي لا تحتاج عمليات عسكرية ، وبأن تنحصر مهمتها حيث يلزم بقاؤها في الشؤون العسكرية فقط ، ولم تحدد هذه القرارات نوعية القيادات المقصودة وما إذا كانت مصرية أم يمنية ، وقد يسهل تصور أن المصريين هم المقصودون بها ، بالنظر الى محدودية الدور الذي كان الجيش اليمني يقوم به في ذلك الوقت، وعموماً فإن القرار في الحالتين يعبر عن نوع من التوتر داخل الجمهوريين » نفس المرجع ص ٢٨٦ .

أشرت قبل ايراد هاتين الفقرتين إلى أن الكاتب قد اعتمد على بعض المراجع الاجنبية ، وقد اثبت في هامش الصفحة التي اقتبست منها الفقرة الأولى إلى أنه استقى معلوماتها عن كاتبين اجنبيين فارجاع اسباب انقسام الجمهوريين إلى الصراع الطائفي ما هو إلا اختلاق وأسلوب من أساليب الكيد والتمزيق ويستطيع القارىء أن يكتشف كذب هذا الافتراء فالانقساميون - إذا صح انهم كذلك - يمثلون كل اليمنيين وكل المناطق ، لأن الموقف الذي أدى إليه الانقسام اكبر من أن تحتويه خانة الطائفية أو الفئوية . أما عن تساؤل الكاتب في نهاية الفقرة الثانية عن القيادات العسكرية المقصودة في قرارات مؤتمر « عمران » فمن الواضح أن القيادات العسكرية اليمنية هي المشار إليها، فالمصريون لم يتسلموا قيادة مباشرة في أية

منطقة من المناطق اليمنية سواء كانت تلك المنطقة خاضعة للعمليات العسكـرية ام غـير ذلك ، وهـو عكس ما اشـاعـه المعـادون للثـورة وروجت له الصحافة الغربية .

وربما كان وجود القيادات العسكـرية في المنـاطق الهادئـة وهي أكثر من ثلاثة أرباع اليمن يشـكل قدراً من الاستفـزاز بين الاهلين وفي المجـال الاداري بخاصـة حيث تحتـدم الازدواجيـة بـين الادارة العسكرية والمدنية ويتـرتب على ذلـك اثارة قـدر من الفوضى ، مما يسهل على المعادين لـلثورة الاصطياد في الماء العكر ، ولم يكن ابعـاد مثل هذه القيادات مطلباً نابعاً من قرارات عمران وحسب وإنما كـان مـطلب كثير من الـوطنيين الـذين كـانـوا يـرون ضـرورة أن تتـركـز القيـادات العسكريـة في المناطق المتـاخمـة للحـدود ، وحيث تستلزم ظروف المعركة وجود قيادة عسكرية حازمـة تقوم بـالأعمال الاداريـة وتوفر لهذه المناطق كل شروط الأمن والاستقرار .

وفيـما يتعلق بالانقسـامات المتـابعة في صفـوف الجمهـوريـين وبـالاستقالات الجمـاعية التي كـانت في نظر الكـاتب وراء الدوافـع الكامنة في بحث القيادة المصرية لطريق التسـوية السيـاسية فـإنه قـد استقى معـظم معلوماتـه أما عن المـراجع الاجنبيـة المعـاديـة للثـورة كالمرجع السابق عن « **الطائفية** » وقد استقاه من كتاب « **أو بالانس** » أو عن طـريق الخصوم والمنـافسين . وقـد أوضحت وثائق الـزبيـري الاخيـرة موقفـه المسانـد لوجـود القوات العـربية المصـرية ، وأثبتت كذلك أن مكانه الطبيعي في صف الجمهوريـين المتشددين وإن كـان في الواقع موقفاً متميزاً بين المتشددين والمعتدلين . الوثـائق التي أشير

اليها تعود إلى ما قبل مصرعه بثلاثة أشهر. وليس الحديث عن الديمقراطية والقيادة الجماعية الذي تكرر في كتابات الزبيري ولا الحديث عن مظاهر الفساد الذي كان يراه بعضهم سابقاً لأوانه إلا محاولة مبكرة لاستئصال الاخطاء قبل أن تكبر وتستفحل ، وفي تقديري الخاص أن قدراً من الديمقراطية وافساح المجال للمعارضة المخلصة كان يمكن أن يجنب البلاد قدراً كبيراً من المخاطر التي تعرضت لها .

وقد ادركت القوى الوطنية أهمية ذلك ولكن بعد فوات الأوان ، وبلغ الحقد بأحد عملاء المخابرات المصرية وهو المحرض على الزبيري والمفتري عليه بلغ الحقد به على الوجود المصري في اليمن وعلى عبد الناصر إلى القول بعد سنوات من رحيل القوات المصرية من اليمن انه كان من المستحيل ايجاد حياة ديمقراطية أو تنظيم سياسي في اليمن بمبادرة مصرية في الوقت الذي كانت فيه مصر تفتقد الحياة الديمقراطية والتنظيم السياسي ، ولو أن هذا العميل قد كان يشعر بأدنى حد من المواطنة أو الوطنية لما جند نفسه على مدى سنوات لشق صفوف الوطنيين وخدمة سادته من الملكيين بتشويه سمعة المناضلين التاريخيين امثال الزبيري في اوساط المخابرات المصرية ومحاولة اقصائهم عن مجال العمل السياسي ليحدث الانقسام المطلوب ثم الصدام والتصدع .

وأخيراً ، فإن كتاب (الدور المصري في اليمن) للدكتور احمد يوسف احمد قد أثار في نفسي سيلاً جارفاً من الخواطر والملاحظات لو تركت لها العنان لكانت في حجم الكتاب نفسه ، ولا يخامرني

شـك في أن كل من يقـرأ هذا الكتـاب من المهتمين بقضـايا الثورة اليمنية لا بد أن يثير في نفسه مثـل هذا السيـل الجارف من الخواطر والملاحظات ، كما وقع الكـاتب على كثـير من الحقائق ذات الأهمية البالغة فإنه قد وقع كذلك على بعض المعلومات الخاطئة وحـدثت في الكتاب بعض الاخطاء المطبعية لعـل اسوأهـا وأجدرهـا بالتصحيح ذلك الخطأ الذي وقع في العبـارة التاليـة التي جاءت في صـدد تقييم مكاسب الثورة « **لقـد دفعت اليمن ثمناً بـاهظاً من أرواح ابنـائها ـ وكذلك مصر ـ (ولكن البديل كان دون شك تكريس أوضاع متخلفة تبرأ منها العصور الوسطى)**» ص ٥٠١ وتصحيح الجزء الاخير من العبارة هو « **تحطيم أوضاع متخلفة تبرأ منها العصور الوسطى** » فقد كانت اوضاع ما قبل ثورة سبتمبر كـما اراد ان يصفها تمـاماً أوضـاعاً متخلفة لا تتبرأ منهـا العصور الـوسطى وحسب وإنمـا تتبرأ منهـا كل العصور ، ويكفي الثورة هذا الانجاز التاريخي الخالد .

الفصل الثالث

ثورة ٢٦ سبتمبر وأبعاد الدور القومي لثورة ٢٣ يوليو

تشكل الملامح القومية في تجربة الحركة الوطنية في اليمن خصوصية متميزة تكاد ترتفع إلى مستوى الظاهرة ، وهذه الخصوصية تستمد وجودها من الجذور التأريخية لليمن القديم حينما كانت وبإجماع كل المؤرخين القدامى والمحدثين العرب منهم والأجانب ـ مجد العرب الأول ، ووطن التكوين المشترك قبل أن يتفرق العرب ويتوسعوا فيما حولهم من أقطار . وهذا الشعور الذي استقر في وجدان اليمنيين عبر العصور واحتفظ بتوهجه وبجذوره العميقة عبر مراحل التجزئة في سنوات التحكم الأجنبي في أقطار عربية كثيرة في المشرق والمغرب ، هو الذي جعل اليمنيين ـ وقبل أن ترتفع الشعارات والمقولات الثورية القومية ـ أكثر تعلقاً بأفكار الوحدة ، كما كان المنطلق القومي في أواخر القرن الماضي وبداية هذا القرن ـ من أهم مقومات الحرب ضد الوجود التركي في اليمن ـ كما هو معروف ـ وكما تروي ذلك وثائق معارك التحرير .

والحقائق في سيرة سيف بن ذي يزن بطل السيرة اليمنية الشعبية المعروفة تذهب إلى أن هذا البطل الحائر بين الاسطورة

والحقيقة قد ذهب إلى الغساسنة والمناذرة ـ قبل أن يذهب إلى فارس ليطلب من حكامها المساعدة على تحرير اليمن وانتزاعها من قبضة الاحباش ، كما أن الأساطير في نفس السيرة تذهب إلى أنه استطاع أن يحشد عرب مصر والشام والسودان وعرب الجزيرة ويزج بهم في صراع عنيف مع الاحباش ومن يقف وراءهم من الروم ليحرر التراب العربي ويستعيد كتاب النيل . . الخ ، وقد تغلغلت هذه المعاني في ضمير الشعب اليمني واتسمت تصرفاته بروح هذه العلاقة الخاضعة لجدلية التلاحم بين الماضي والحاضر ، وإعلاء شأن البعد القومي الذي يربط بينهما ويجعل من التطلعات إلى العون الاخوي الخارجي وإلى تحرير الوطن (المهد) أو الام مسؤولية كل العرب الذين ينتمون إليه تأريخياً .

وقد ضاق الشهيد الأستاذ محمد محمود الزبيري رحمه الله ـ في لحظة يأس ـ بهذا الشعور الذي يدفع أبناء اليمن إلى الاعتماد على الآخرين ، ووصف هذا الموقف في كتاباته بعقدة سيف بن ذي يزن الفارس الذي دفعته الضرورة في أخر الأمر وبعد أن خيب اليمنيون في الشام والحيرة ظنه إلى الارتماء في أحضان الفرس . ومن الواضح أن ضيق الشهيد الزبيري ثم نفوره من هذه العقدة لا يعني التقليل من شأن الاعتماد على الموقف القومي وإنما يعبر عن الخوف من أن يتحول هذا الاعتماد إلى شعور بالتواكل وانتظار المخلص الخارجي .

ودفاعاً عن الشعب اليمني الذي ظل معتمداً على نفسه طوال العصور والذي ضحى بأكرم الرجال في محاولاته الثورية المتعددة

وعبر انتفاضاته الحديثة لا بد أن نتوقف عند ذلك البعد التاريخي الخاص لكي ندرك أن تطلعات المناضلين من أبناء هذا الشعب إلى السند الخارجي لم تكن سوى تطلعات مشروعة في إطار السند المعنوي الذي يقوم من جانب الآخرين على الوعي بالقضية والانفعال بها وهو لا يتطلب المشاركة العملية مع الثائرين في طرد المحتلين أو في القضاء على نظام الحكم الفاسد ، وإذا كان بعض الثائرين العرب من مصر والعراق والجزائر قد شاركوا بشكل فردي او من خلال تنظيم معين مشاركة فكرية أو نظرية في الاطاحة بنظام يحيى حميد الدين فإن مثل ذلك يحدث في العصر الحديث من أفراد لا يمتون إلى الشعوب التي يدافعون عنها بأية صلة قومية أو تاريخية أو فكرية ، وهي مشاركة لا تقلل من دور تلك الشعوب أو تنتقص من تضحياتها . ولذلك كان طبيعياً أن تتنبه طلائع الحركة الوطنية في اليمن ، ومنذ وقت مبكر إلى أهمية الدعم العربي والاستفادة من العوامل الخارجية المساعدة سواء على المستوى القومي أو العالمي لو أمكن أن تنال عوناً عالمياً ، وقد تمكن أحرار اليمن في الاربعينات من إقامة علاقات سياسية وثيقة مع بعض الشخصيات البارزة في مصر والعراق ومع بعض التنظيمات القومية أو الوطنية والدينية في هذين البلدين عندما كانت بعض الأقطار الأخرى تعاني يومئذ من الاحتلال . وتشير بعض الوثائق والصور القليلة التي تم العثور عليها بين آثار الشهيدين الاستاذين، محي الدين العنسي ، وأحمد الحورش، إلى علاقتهما الوثيقة ببعض رجالات مصر البارزين أمثال: مصطفى النحاس ، ومحمد علي علوبه، وعبد الرحمن عزام

وغيرهم . كما تمكنت حركة الأحرار قبل قيام الثورة الدستورية من استمالة الجناح المتطرف للاخوان المسلمين والذي كان يتزعمه الفضيل الورتلاني ، ووصف هذا الجناح الاخواني المشارك في ثورة اليمن الدستورية بالتطرف مستعار من مذكرات الشيخ أحمد حسن الباقوري الذي يلقي باللائمة على هذا الجناح وعلى الفضيل الورتلاني في الخروج بالجماعة من نطاق الدعوة الدينية إلى نطاق السياسة والمشاركة في الاطاحة بحاكم عربي ! !

وهذا الشيخ الباقوري الذي يحاول الآن غمز قناة الجناح المتطرف في الاخوان هو الذي وقف إلى جانب ثورة ٢٣ يوليو وكان وراء تأييد كل القرارات القومية والوطنية التي اتخذتها قيادة الثورة بما فيها تصفية الإخوان المسلمين وحل جمعيتهم الدينية ، وقد أسعفته الذاكرة الآن ليتذكر اليمن وثورته المغدورة الأولى ، ولا يتذكر معها إلا مصرع الملك يحيى حميد الدين ولم يتذكر قوافل المناضلين الشهداء من أبناء الشعب ولا عزلة اليمن ومعاناة أهلها . . .

ولا ريب أن قيام ثورة ٢٣ يوليو في مصر والتزام قيادة هذه الثورة بالفكر القومي العربي قد ساعد على تطوير النضال السياسي لدى المنظمات الوطنية في الاقطار العربية وساعد على خلق تيار قومي جارف ـ سرعان ما ازداد اتساعاً وعمقاً ووصل إلى ذروته في أواخر الخمسينات من خلال ثورة ١٤ تموز في العراق ومن خلال الوحدة السورية المصرية التي أسفرت عن قيام الجمهورية العربية المتحدة . وقد كانت ثورة ٢٣ يوليو بالنسبة لليمنيين حدث العصر

الكبير وكان قرار ابعاد فاروق عن العرش بمثابة البيان الأول للقضاء على الحكم الاستبدادي الجائر في اليمن وبمثابة بداية النهاية لعرش الامامة الطاغية في تعز .

وقد كان رد الفعل الأول لقيام ثورة يوليو بالنسبة لليمنيين متمثلاً في انتقال الزعيم الوطني الشاعر محمد محمود الزبيري من باكستان إلى القاهرة بعد أن عاش مبعداً ومطارداً من كل أرض عربية بسبب مشاركته في الثورة الدستورية اليمنية في فبراير ١٩٤٨ م وقد عبر عن مشاعره ومشاعر مواطنيه برسالة بعث بها من القاهرة في تاريخ ١٩٥٢/٩/٤ م أي بعد شهر واحد وبضعة أيام من قيام ثورة يوليو وطرد الملك فاروق وفي هذه الرسالة نجده يتحدث إلى صديقه المناضل يحيى حسين الشرفي رئيس الجالية اليمينة في السودان عن الأثار المترتبة على قيام الثورة في مصر وعن فرحته بما حدث وأنه ما كاد الأثير يحمل إليه أنباء ذلك التغيير العظيم (حتى حزمت أمتعتي من باكستان .. وتوجهت إلى مصر علي أوفق فاهتدي إلى خدمة وطني الغالي وطني اليمن الخضراء اليمن السعيد)[١].

ولم يكن الأستاذ الزبيري وهو المحكوم بالاعدام الممنوع من الاقتراب من أي أرض عربية ليجازف بحياته وينتقل إلى القاهرة بهذه السرعة لو لم يكن قد أدرك بيقينه الثوري صدق اتجاه الثورة وصدق انتمائها الوطني القومي وتعاطفها التام مع احلام المناضلين في كل قطر عربي ، وقد كان لاحتضان القاهرة الزبيري وزملاءه

---

(١) مخطوطة .

الأحرار تأثير بالغ على تطوير الوعي الوطني في اليمن خلال ذلك المنعطف الهام من تأريخ الأمة العربية وما عكسته قيادة عبد الناصر على الواقع العربي وما حفلت به من احتمالات التغيير .

ومع كل ذلك فلا يجوز أن نعزو كل ما حدث في اليمن ولا كل ما حدث في الوطن العربي من تطورات سياسية إلى ثورة مصر مباشرة فقد اكتفت هذه الثورة العظيمة بتأييد المطالب الشعبية للجماهير العربية وتركت لها في كل قطر مهمة تحقيق هذه المطالب . ولم يختلف الأمر في اليمن عنه في بقية الأقطار العربية ، ولو لم يكن الصراع بين النظام الأمامي من جهة وشعب اليمن من جهة أخرى قد وصل إلى نقطة اللالقاء ، ولو لم يكن ذلك النظام العتيق قد استنفد كل أغراض بقائه لما استطاعت أية قوة من الداخل أو الخارج نسفه وإهالة التراب على ما تبقى من رموزه وأشكاله .

لقد انتصرت إرادة الشعب في اليمن وتوجت نضال الاحرار وتضحيات الشهداء بقيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ، وكانت مصر العربية بقيادة الزعيم المناضل جمال عبد الناصر السند العظيم لهذه الارادة والدعم الأخوي المتمثل في كسر الطوق الذي حاول الاستعمار والرجعية ضربه من حول الثورة . ومنذ قيام الثورة إلى الآن والحديث لا يتوقف عن الدعم المصري للثورة ، وربما وجد هذا الدعم من الاهتمام أكثر من الاهتمام الذي وجدته الثورة ذاتها ، ويرجع هذا الاهتمام إلى مكانة مصر في عهد عبد الناصر وإلى حجم الدعم العسكري غير المحدود الذي قدمته مصر

عبد الناصر بعد قيام الثورة اليمنية للحيلولة دون ـ عودة الماضي الغابر برموزه العتيقة إلى هذا الوطن ، وبدون ذلك الدعم ما كان للارادة الوطنية أن تصمد في مواجهة التدخلات المختلفة والتآمر المنقطع النظير . وقبل أن يقوم تنظيم الضباط الأحرار بتفجير الثورة كان قد وعى المخاطر ودرس احتمالات التدخل الخارجي وكان (يدرك تمام الادراك أن الثورة في حال انطلاقها ستواجه مصاعب داخلية لأن الامامة متمكنة ومسيطرة على مشاعر الشعب بأساليبها المعروفة ولأنها عشش زمناً طويلاً هذا من جهة ، ومن جهة أخرى وجود الاستعمار البريطاني في الشطر الجنوبي من الوطن الذي يهمه بقاء اليمن تحت وطأة التخلف الامامي لضمان استمراره في الاحتلال . . وأمام هذه التحديات كان التنظيم يدرك ما ستواجهه الثورة ، لذا كان لا بد من أن يحتاط بدعم سياسي وإعلامي في حال تدخل خارجي . وقد طرح على قيادة التنظيم موضوع استطلاع موقف الجمهورية العربية المتحدة أو بالأصح موقف جمال عبد الناصر الشخصي من الثورة في حال اندلاعها وكان طرح هذا الموضوع من أصعب ما يمكن وذلك لصلة أجهزة القاهرة الوثيقة بأفراد يمنيين في الداخل والخارج ربما تدفع إلى المراقبة والتتبع . . والعلاقة الحميمة بين المشرف على السفارة والبدر والمقربين إليه . . ومن جانب آخر أن التنظيم يجب أن يسير بخطوات نحو التكامل حتى النهاية)[٢] .

ولم تمنع تلك المحاذير من استطلاع موقف الرئيس جمال

(٢) من مقال للسفير عبد الوهاب جحاف : ثورة ٢٦ سبتمبر شهادات ودراسات مركز الدراسات ص ١٠٣ .

عبد الناصر الذي جاء رده - مطابقاً لموقفه القومي ومنطلقاً من شعوره بضرورة حماية الثورة المصرية نفسها بالمساندة المطلقة للثورة العربية في كل قطر عربي . وقد أثبتت الشهادات التي أدلى بها بعض الثوار اليمنيين عن تصوراتهم السابقة لمدى الدعم الذي كان مطلوباً من مصر قبل اندلاع الثورة . ويجب أن لا نغفل بحال أن دعم الثورة المصرية بقدر ما شارك في الحفاظ على الثورة اليمنية ورد عنها مخاطر التدخل أثار عليها من الاعداء وألب الخصوم لا سيما وقد تفجرت الثورة اليمنية في وقت كانت فيه ثورة يوليو تعاني من حصار رجعي ومن مقاطعة شاملة . وفيما يلي بعض الشهادات التأريخية التي ستقتصر على شهادة القاضي عبد السلام صبره « باعتباره أبرز الشخصيات في التنظيم المدني وعلى شهادات زملائه من رؤساء الخلايا وأعضاء القاعدة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار . يقول القاضي عبد السلام صبره : (كان المصريون العاملون في صنعاء وعلى رأسهم محمد عبد الواحد القائم بالأعمال المصري في اليمن في بداية الستينات يشعرون بوجود حركة نشيطة تسعى للثورة ضد النظام الامامي فكانوا يطرحون الاسئلة حول الحركة وأهدافها ، ورموزها ، وحجمها .. الخ وكنا في الواقع حذرين من كشف المخطط المعد للثورة بالاضافة إلى بنائنا التنظيمي .. الخ ولكنا أشعرناهم ضمناً بوجود حركة تعمل فعلاً لاسقاط النظام - ومساءلتهم عن دور مصر فيما لو قامت الثورة ، وواجهت عقبات فطلب مني أحمد أبو زيد مهلة للاتصال بمصر ، وبعد أسبوع استدعاني أبو زيد وأبلغني أن رد القاهرة هو الدعم

الكامل للثورة شريطة نبذ العناصر الرجعية المحلية وعدم الاستعانة بالسعودية ، وبعد هذا التأكيد أبلغنا المصريين رسمياً بوجود تنظيم للضباط الأحرار وتنظيم للمدنيين ينسقان معاً للقيام بالثورة وطلبنا منهم تأكيداً بدعم الثورة من الرئيس عبد الناصر شخصياً ، فجاء الرد من عبد الناصر يحمل وعداً قطعياً بدعم الثورة فور قيامها ومساندتها ضد أي تدخل خارجي من القوى الرجعية والأجنبية . .

ومن هنا استطيع أن أؤكد أن ثورة ٢٦ سبتمبر هي ثورة يمنية خطط لها وقام بها اليمنيون وأن الاستعانة بمصر تمت بعد تدخل القوى الاستعمارية والرجعية العربية لاجهاض الثورة)[٣].

وفي مكان آخر يضيف القاضي عبد السلام صبره إلى رأيه السابق : (في الواقع لم يخطر ببالنا قبل الثورة أن نطلب من مصر جيشاً بدبابات وطائرات ، قبل الثورة طلبنا التأييد ووعداً بمساعدة محدودة ، لكن عندما حدثت الاعتداءات في قعطبه وصعده ومأرب أملت علينا هذه الظروف أن نطلب مساعدات عسكرية ، وزادت المساعدة المصرية مع توالي الاعتداءات الاستعمارية والرجعية العربية على اليمن شعباً وأرضاً ونظاماً[٤].

وهذا الذي يقوله القاضي عبد السلام صبره هو أصح الروايات لما حدث ، ولشكل تصور العلاقات بين الثورتين ولمدى

---

(٣) نفس المصدر ص ١٦٦ .

(٤) نفس المصدر ص ١٥٦ .

حجم العون المتوقع ويمكن الاكتفاء به لأن استعراض بقية الآراء والشهادات في هذا المجال سوف تساعد بأدلة أكثر على توضيح الصورة وتبديد ما رسخ في الاذهان من تأثير القاهرة وإلغاء فاعلية الثورة اليمنية التي تمتد جذورها إلى بداية القرن . يقول المقدم ناجي الاشول : (بالنسبة للاتصال بمصر قبل الثورة كان الضباط الأحرار يركزون في البداية على بناء أنفسهم ولم يتصلوا بمصر إلا مؤخراً قبل قيام الثورة بشهر طلباً للدعم المصري بعد الثورة ، وليس قبلها ، ولكن العناصر المدنية كانت تستعجل قيام الثورة ولهذا بدأت الاتصالات بمصر مبكرة وللحقيقة والتأريخ لم تقم ثورة ٢٦ سبتمبر استجابة لتشجيع خارجي ولكنها قامت تلبية لمطالب شعبية عبرت عن رفضها للنظام الأمامي بشكل واسع ولم يطلب تنظيم الضباط الأحرار من مصر قبل الثورة أي مساعدة لامتلاكه الامكانيات الذاتية للقيام بالثورة وكل ما طلبه كان وعداً من مصر بتأييد ودعم الثورة إذا ما تعرضت لعدوان خارجي من قبل الرجعية والاستعمار . وكان علي عبد المغني هو الذي كلف من قبل تنظيم الضباط الأحرار بالاتصال بالمصريين وذلك لجس النبض حول مدى مساعدتهم للثورة بعد قيامها ولابلاغهم أيضاً عن استياء الضباط الاحرار الحاسم من أحاديث البيضاني الاذاعية التي كانت تقطر سلالية وعنصرية[٥] .

ويكشف المقدم علي محمد الشامي وقد كان قائد العمليات

---

(٥) نفسه ص ١٧٢ .

بعد الثورة عن حقيقة كادت تغيب في زحمة الاحداث وهي أن الدعم العسكري لم يطلب من مصر إلا بعد أن قامت بريطانيا بضرب قلعة مأرب ولذلك فقد (كان الغرض من اتصال الضباط الاحرار بمصر قبل الثورة هو الطلب للدعم المعنوي ، ولكن بعد تدخل قوى الرجعية والاستعمار ضد الثورة ، طلبت الثورة اليمنية من مصر بعض المساعدات العسكرية وإرسال طيارين ومهندسين عسكريين ، ولم تطلب الثورة اليمنية مجيء وحدات عسكرية مصرية متكاملة كقوة مشاة ومدفعية ودبابات إلا بعد ما ضربت المدافع الانجليزية (قشلة ـ مأرب)[٦].

ويؤكد المقدم علي قاسم المؤيد ما ذهب إليه القاضي عبد السلام صبره من وجود صلات مع بعض المدنيين ومصر كما ينفي وجود أية صلة مباشرة لمصر أو للمتصلين بمصر مع تنظيم الضباط الأحرار ، يقول : (في الحقيقة كان تنظيم الضباط الأحرار في البداية مركزاً على البناء التنظيمي ، ولكن قبل قيام الثورة بشهر كانت إذاعة صوت العرب تبث أحاديث البيضاني التي كانت تقطر سلالية وعنصرية وفي أحد اجتماعات القاعدة التأسيسية في بيت أحمد الرحومي نوقش موضوع البيضاني وتم الاتفاق على ضرورة اسكات أحاديث البيضاني ومن ثمة كلف علي عبد المغني بالاتصال بمحمد عبد الواحد القائم بالأعمال المصري ليشرح له خطورة هذه الأحاديث كما طلب من علي عبد المغني أن يستطلع رأيه دون

---

(٦) نفسه ص ١٧٠ .

الكشف عن وجود التنظيم وعن مدى ما يمكن للقاهرة أن تقدمه في حالة قيام حركة ثورية ضد الامامة . وبعد أسبوع أبلغنا علي عبد المغني أن القائم بالأعمال المصري أبلغه برد القاهرة الذي تضمن تأييد مصر لأي حركة ثورية في اليمن ، والحقيقة كانت توجد عناصر مدنية في صنعاء وتعز كانت لها اتصالات واسعة بالمصريين قبل الثورة ، ولكن تنظيم الضباط الأحرار لم يكن متصلاً بالمصريين بشكل واسع لأن مصر لم تكن قادرة على تقديم أي مساعدة للتنظيم قبل الثورة ، فاتصال الضباط الأحرار لم يتجاوز الاستفسار عن مدى استعدادهم لدعمنا بعد قيام الثورة لأننا توقعنا أن تتكالب القوى الرجعية والاستعمارية على الثورة فور قيامها ، هذا كل ما أعرفه حول الاتصال بمصر قبل ثورة سبتمبر[٧] .

ولا أريد أن ننسى ونحن نثبت وجود صلة بين بعض الأحرار اليمنيين المدنيين ومصر أقول لا أريد أن ننسى أن قيادة حركة الأحرار التقليدية قد انتقلت إلى القاهرة فور قيام ثورة يوليو وأن الحركة لقيت ـ لا سيما في السنوات الأولى ـ من الاهتمام والرعاية ما لقيته كل حركات التحرر الوطني التي وجدت في القاهرة الثائرة حصناً للنضال وقاعدة مقاومة للأنظمة الفاسدة . ومما يؤكد أن حركة الضباط الأحرار لم تتلق أي دعم من القاهرة وأن الاتصالات توقفت عند طلبين إثنين أحدهما اسكات أحاديث البيضاني التي كادت تمزق صفوف الضباط الأحرار قبل غيرهم ، وثانيهما طلب

---

(٧) نفسه ص ١٧٢ .

التأييد مستقبلاً ، أقول أن ما يؤكد ذلك أن الذخيرة التي كانت في حوزة الضباط الأحرار ، وكانت لاعلان ساعة الصفر لا لمواجهة قصر البدر وبقية القصور الملكية قد نفدت قبل شروق شمس يوم الثورة . ولو لم تحدث المعجزة ويستطيع الأمر الموقع من المشير السلال أن يفتح قصر السلاح لكانت الثورة قد انتهت في ظهر ذلك اليوم . وهنا تنكشف أكاذيب وادعاءات الذين عاشوا ـ كما يقولون ـ قبل الثورة ينقلون الأسلحة المختلفة من القاهرة إلى عدن ومن عدن إلى تعز ، ومنها إلى صنعاء قد تكون تلك الأسلحة المزعومة سكاكين وملاعق وشوكاً مما يستخدم في مائدة الطعام ، ولو كان أولئك السحرة الذين استطاعوا أن ينفذوا من مطار عدن الموضوع تحت الرقابة الدقيقة . لو كان أولئك قد تمكنوا من نقل أسلحة ما ، لكان في مقدورهم نقل كميات من قذائف المدفعية ، لا سيما ونوع التسليح مشترك ، وكانوا بذلك الصنيع العظيم سيجنبون الثوار ساعات اليأس والقلق التي عانوا منها بعد الهجوم . ولن أنسى حالة أحد الضابط الأحرار الكبار وهو يتابع الضرب ويحصي بأصابعه المرتجفة ما تبقى من القذائف التي لم تكن تزيد عن ٢١ طلقة . وهكذا يتضح أن العلاقة بين الثورة اليمنية قبل انطلاقها وبين الثورة في مصر العربية لم تكن تتعدى الشعور القومي المشترك ولم تزد عن اشعار القيادة في القاهرة بأن هناك تنظيماً عسكرياً وقوى مدنية تسعى إلى التغيير وتطمح في اقتلاع جذور النظام العتيق وإقامة حكم جديد يخرج باليمن من القرون الأولى ولا يجعل منها في النصف الثاني من القرن العشرين وسيلة تعويق وإحباط للأمة العربية التي بدأت

بعض أقطارها مرحلة النهوض من منتصف القرن التاسع عشر .
ولكي نتأكد من مصداقية الآراء السابقة عن اقتصار العلاقة على ذلك القدر من التفاهم لا بد أن نعود إلى الكتابات التي ظهرت عن الجانب العربي في مصر وإذا ما ألغينا ما كتبه بعض المغامرين من المصريين الباحثين عن أدوار على الأوراق البيضاء ، وإذا ما علمنا أن المخابرات في مصر وفي عهد الرئيس جمال عبد الناصر كانت هي جهاز المعلومات الوثيقة الصلة بالقيادة في القضايا العربية والدولية ، حيث نجد أن صلاح نصر مدير المخابرات العامة يصف دهشته بعد قيام ثورة اليمن قائلاً بأن هذه البلاد (كانت بالنسبة لنا مجاهل لا نعرف معالمها) ويضيف زميل له آخر في المخابرات العسكرية (اللواء صلاح الحديدي) بأنهم ذهبوا فور سماعهم بالثورة يبحثون عن خرائط لمعرفة مكان اليمن في الجزيرة العربية ! ! ولا يحمل هذا القول أي قدر من النكتة التي يمتاز بها أشقاؤنا في مصر ولكنها حقيقة تؤكد ما كان شائعاً عندهم وعند بقية الأشقاء العرب من أن الثورة لا يمكن أن تأتي من اليمن مهما كان حظ الأرض من المعجزات ، ولهذا فلم يعطوها من الاهتمام ما أعطوه لمناطق أخرى كالعراق والشام قبل أن يبدأ الاهتمام بالمغرب العربي ، أقول إذا كان ذلك هو موقف أجهزة المخابرات فإن الحديث التالي للرئيس جمال عبد الناصر عن الثورة اليمنية يضعنا أمام أنقى الحقائق وأوضحها : (كان واجبنا أن نؤيد ثورة اليمن ، واحنا ما نعرفش مين الناس اللي قاموا بثورة اليمن . . انا أيدت ثورة اليمن وأعلنت هنا في أول يوم بعد ثورة اليمن . . يوم ٢٧ سبتمبر أن احنا نؤيد

هذه الثورة بعدما سمعنا البيان الأولاني . . ما كناش بنعرف اسماء قادة الثورة ، وما كانوش أعلنوا حكومة ، كان التوقيع على البيان القيادة العليا للثورة ، واحنا إذا أيدنا مبادىء واحنا أيدنا أهداف . . أيدنا ثورة اليمن ، وكنا بهذا نؤيد المبادىء التي آمنا بها ، ونجحت ثورة اليمن من أول يوم . . من أول يوم الثورة نجحت وكان فيه تأييد كامل لها من جميع أرجاء اليمن من أول يوم الثورة نجحت وما كنش فيه أي مقاومة للثورة . . والشعب اليمني كله أيد الثورة . . .

في ١٠ اكتوبر ، حوالي عشرة اكتوبر شعرنا أن الثورة اليمنية ثورة الشعب اليمني تتعرض لعدوان خارجي يهدف إلى القضاء على هذه الثورة وكان علينا واجب كبير . . علينا واجب أن ندافع عن حق الشعب اليمني في الحياة ، أن ندافع عن حق الشعب اليمني في الثورة[٨] .

تلك شهادة قائد ثورة ٢٣ يوليو ، أنه ـ كما يقول ـ لا يعرف أحداً من الثوار ولا يعرف حتى أسماءهم ، وأنه كان بتأييده للثورة اليمنية منطلقاً من إيمانه بمبادىء الثورة العربية ومن إيمانه بأن ثورة في ذلك الجزء المجهول من الوطن العربي لا بد أن تساعد على تحريك السلوك القومي ، وأنها مقدمة لثورة أخرى سوف تندلع ضد الاحتلال في جنوب اليمن . ولأن الظروف من حول الثورة اليمنية لم تكن قد اتضحت بعد ، ولأن الاحتلال الرابض في الجنوب كان يدرك أكثر من أية قوة في المنطقة خطر ما سيترتب على نجاح الثورة

---

(٨) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ـ القسم الرابع .

في صنعاء فقد أعلن وبدأ يشن حربه على الثورة الوليدة مستعيناً بكل قوى التخلف ومستنداً إلى تراكمات التجزئة الاقليمية البغيضة ، ومن هنا فقد بدأت متاعب الثورة من الشهر الأول لقيامها . وكانت كلها متاعب مصدّرة من خارج الحدود .

ولم تكن هناك أية قوى عربية مؤهلة للدعم والمساندة سوى قوة مصر التي أكدت وجودها في الجزائر والعراق وسوريا ولبنان ، وامتدت هذه القوة لتشمل بعونها ثورات التحرر الوطني في أفريقيا وفي أنحاء العالم ـ وهو الأمر الذي أعطى لمصر عبد الناصر في تلك المرحلة مكانتها الدولية البارزة ، وجعل الضباط الأحرار في اليمن ـ كما تقول اللجنة التي ألفت كتاب أسرار ووثائق الثورة اليمنية ـ يولون موقف مصر اهتماماً خاصاً حيث يشير الفصل الخاص (بتنظيم الضباط الأحرار وعلاقته الخارجية) إلى أن التنظيم لم يكن بمعزل تماماً عما يجري يومئذ على الساحة العربية من تطورات (فقد كان يتابع الاحداث ويحاول أن يتحسس ما لها من تأثير على الأوضاع السياسية في اليمن ، وكان من الطبيعي أن يهتم تنظيم الضباط في تلك المرحلة بموقف مصر باعتبارها الدولة العربية الأقدر على مساندة العمل الوطني في اليمن لهذا فقد قرر التنظيم الاتصال بالزعيم الراحل الرئيس جمال عبد الناصر من خلال القائم بأعمال سفارة مصر باليمن ، وكان آنذاك الأستاذ محمد عبد الواحد ، وذلك لمعرفة ما يمكن أن تقدمه الثورة المصرية من عون فيما لو قامت ثورة في اليمن .

على أن تنظيم الضباط الأحرار لم يكن ليتخذ مثل هذا القرار لولا أنه أدرك تماماً وبعد دراسة مستفيضة للموقف بأن أي ثورة تقوم ضد الحكم الأمامي في اليمن لا بد وأن تواجه أخطاراً حقيقية ومقاومة من قبل الرجعية والاستعمار وعملائهما وبخاصة الاستعمار البريطاني . وقام الأخ /الشهيد الملازم علي عبد المغني بالاتصال مباشرة بالقائم بأعمال السفارة المصرية واشعاره بشكل أو بآخر أن هناك جهداً وطنياً يبذل في سبيل التخلص من الحكم الامامي وقد تحتاج اليمن إلى عون من مصر فيما لو قام وضع ثورة فيها . وطلب من القائم بالأعمال أن يتصل بعد يومين حتى يتمكن من الاتصال بالقاهرة . ويحصل على رأيها في الموضوع ، فاتصل الأخ /الشهيد الملازم علي عبد المغني مرة ثانية بالقائم بأعمال السفارة لكي يأخذ منه رد القاهرة وفي هذا اللقاء أكد القائم بالأعمال أن القيادة في مصر تريد تفصيلات أكثر عن طبيعة العمل الوطني وتوجهه وإمكانياته وأهدافه . ولما كان محظوراً على الأخ /عبد المغني أن يدلي بأية تفاصيل عن تنظيم الضباط الأحرار ، فقد اضطر للعودة إلى قيادة التنظيم بعد أن تخلص من اصرار القائم بالأعمال على طرح أي تفاصيل حول التنظيم بلباقة . ولما عاد الأخ /الشهيد علي عبد المغني إلى قيادة التنظيم جرت مناقشات طويلة حول تساؤلات القيادة المصرية واتخذت اللجنة القيادية قراراً يقضي بعقد اجتماع لقاعدة التنظيم التأسيسية ، وعرض الموضوع عليها باعتبارها على جانب كبير من الأهمية والخطورة .

وحينما استعرضت القاعدة التأسيسية الموقف تبين أن القيادة

المصرية لن تقدم أي عون أو تلتزم بتقديمه إلا إذا ما تأكدت من وجود العمل الوطني في اليمن وقدرته على التغيير خاصة وأنها ـ أي القيادة المصرية ـ كانت ما تزال تعاني من مؤامرة انفصال سوريا عنها ، وكان موقفها السياسي حرجاً ولا يساعدها على القيام بأي دور إيجابي في أي منطقة عربية ، ولهذا كان لا بد من اتخاذ قرار إما بالافصاح عن وجود تنظيم في الجيش وتحديد طبيعته وأهدافه وإما أن ينقطع الاتصال بقيادة مصرونحافظ على سرية عملنا التنظيمي ، وبعد نقاش طويل اتخذت القاعدة التأسيسية قراراً يسمح للجنة القيادية بأن تفصح للقاهرة من خلال القائم بأعمال سفارتها في صنعاء الأستاذ محمد عبد الواحد بأن لدينا تنظيماً عسكرياً وطنياً يعمل على تفجير الثورة ضد الحكم الامامي ، وعليه كلفت اللجنة القيادية الأخ /الشهيد الملازم علي عبد المغني بالاتصال بالقائم بأعمال السفارة وإبلاغه بما تمت الموافقة عليه ـ وقد قام الأخ /الشهيد علي عبد المغني بالمهمة وطلب من القائم بالأعمال الحصول على رد من القاهرة في أقرب وقت ، وبعد أيام تلقى تنظيم الضباط رد القاهرة وقد جاء فيه (نبارك العمل الوطني ونحن على استعداد لتقديم العون في حينه حسب ظروف وإمكانيات مصر : جمال عبد الناصر) . .

وبعد أن تلقى التنظيم هذا الرد لم يحاول أن يجدد الاتصال بالقاهرة واعتبر ما جاء في ردها وعداً صريحاً بدعم الثورة حين قيامها[٩] .

---

(٩) أسرار ووثائق الثورة ص ١٠١ .

وإذا كنا قد أطلنا الاقتباسات والأخير منها بخاصة فإن ذلك قد تم من منطلق توضيح الموضوع الأساسي في هذا المجال وهو تحديد ابعاد العلاقة بين الثورة اليمنية والثورة المصرية وهي علاقة أخذت بعد قيام الثورة ـ وبسبب التدخلات الأجنبية ـ شكلاً لم يكن متوقعاً ولم يكن في حسبان الثوار في صنعاء أو القاهرة . وهو ما أوحى لبعض المراقبين وللمغرضين منهم على وجه الخصوص ـ أن قيادة عبد الناصر التي كانت تعاني من حصار بعض الأنظمة المهترئة بعد حادث الانفصال قد أرادت أن ترد على لطمة الانفصال بلطمة مماثلة ، وأن تجد في اليمن المكان المناسب لتوجيه هذه اللطمة ، وهو ايحاء مغرض وحاقد ولا يتجنى على قيادة عبد الناصر القومية بقدر ما يتجنى على اليمن شعباً وثورة ومعارضة استمرت أربعين عاماً . وفيه عدوان سافر على شهداء ثورة الدستور اليمنية في مارس ١٩٤٨ م وتجن سافر على شهداء حركة ١٩٥٥ وتجن سافر على الانتفاضات الوطنية التي سبقت ثورة ٢٦ سبتمبر ومهدت لظهورها في سلسلة رائعة من البطولات سبقت ثورة ٢٣ يوليو المجيدة ، ووجدت في مناخها العظيم وفي مدها التحرري الشامل طاقة جديدة للاستمرار في المقاومة وصولاً إلى الثورة والجمهورية .

وينبغي بعد ذلك أن يكون واضحاً أن أية ثورة ـ مهما كانت إمكانياتها الذاتية ـ لا تستطيع أن تستغني عن الدعم الخارجي وألا تبحث لها عن قوة مساندة في الأنظمة المشابهة لها في الخط الفكري والنضالي وقد سقطت الثورة الدستورية في ٤٨ م بعد أن أطاحت برأس النظام واعتقلت معظم أبنائه وأنصاره لأن المناخ العربي قبل

ثورة ٢٣ يوليو كان مناخاً معادياً لفكرة التغيير وانعكاساته المباشرة على الجماهير المقهورة .

وفي ضوء هذه المعطيات تكون ثورة ٢٦ سبتمبر المحصلة النهائية لذلك الكفاح الطويل المعمد بالدم وتكون التعبير الضروري عن الارادة الوطنية الطامحة إلى الخروج من زمن العبودية ومن مخلفات العهود البائدة التي مزقت الانسان والوطن وزرعت عوامل القهر والتخلف أو لم يكن الشطر الشمالي من الوطن وحده مع هذه الثورة الظافرة على موعد مع الحرية والانعتاق وإنما كان الشطر الجنوبي كذلك على ميعاد معها ومع الاستقلال والكرامة ، فقد انتقلت النار التي أحرقت نظام الامامة لتلتهم الاحتلال وتضع اليمن بشطريه أمام واقع جديد وتجاه اختيارات النهوض السريع والوحدة المرتقبة .

ثورة سبتمبر في كتاب
خريف الغضب

عن الكتاب :

قيل الكثير -حتى الآن- عن كتاب « خريف الغضب » للصحفي والسياسي المصري اللامع الأستاذ محمد حسنين هيكل ، وما زال الباب واسعاً ليقال عنه الكثير وربما الأكثر ، فالكتاب على الصعيد السياسي ، هو كتاب عام ١٩٨٣ . دون منازع .

وأهمية « خريف الغضب » لا تأتي من كونه استطاع في زحمة الهموم العربية الراهنة أن يحرك المياه الآسنة والقذرة في أعمدة الصحاف العربية ، وفي الحياة العربية عموماً ، وإنما لأنه أخرج القارىء العربي من زاوية « الكلمات المتقاطعة » و« بختك اليوم » ومن زوايا أخرى تكاد تكون مستهلكة ونافدة . ولا ريب أن الحملة المسعورة التي لاحقت الكتاب داخل مصر وخارجها قد أفادته أيما فائدة ، ويبدو أننا في هذا الواقع العربي المريض لا ندرك أهمية الاثارة وحب الممنوع ومجانبة الطرق الالزامية حتى لو كانت طرق السير على الاسفلت المعبد .

وحب الممنوع والبحث عن غير المتداول هو في تقديري ظاهرة

صحية . ولعلها الظاهرة الصحية الوحيدة الباقية من العربي ، وهي الاشارة الأخيرة للتحرك ضد الموت وضد المتفق عليه . إن عشرات الألوف من الذين قرأوا كتاب هيكل قد دعاهم المنع إلى قراءته وقادهم الهجوم عليه إلى البحث عنه وإلى شرائه بأضعاف ثمنه المقرر . ولو لم تقم في وجهه تلك الحملة المسعورة لما بلغت شهرته هذا المستوى ولما زاد توزيعه عن بقية زملائه من كتب هيكل السابقة . وقد بلغ الأمر بأحد الكتّاب الساخرين إلى القول بأن هيكل كان على اتفاق مسبق مع بعض الصحف الرديئة التي نهشت أوراق كتابه لكي يضمن له هذا القدر من الرواج والتسويق .

وليس معنى هذا أن كل كتاب ينبغي أن يهاجم وأن يتعرض لحملات التشويه والتشهير لكي يروج ويكثر قراؤه ، إن في ذلك قدراً من التبسيط المضلل، لأن الكتاب الجيد يشق طريقه بفضل ما يحتويه من أفكار وبما يقدمه من آراء لكن مجتمعنا العربي المريض لا يسير على سنة المجتمعات السليمة ، وكل كتاب جيد يظهر في أوساطه المتخلفة النائمة يحتاج إلى مثل تلك الهجمة « الجاهلية » ليترك الألسنة - كل الألسنة - تلهج بذكره وتردد اسمه كما حدث للكتاب حسن الحظ والذكر « خريف الغضب » والذي يهمنا منه ويخصنا في هذا المجال صفحتان إلا قليلاً . والصفحتان الناقصتان هما في تقدير اليمنيين العيب الوحيد في الكتاب والخطأ الذي يثبت أن بعض الكتب كبعض البشر الأنقياء الذين لا يسلمون من عيب يذكرهم ببشريتهم ، ويؤكد أن الكمال لله وحده . .

وقبل الحديث عن الصفحتين وهما تتعلقان بالثورة اليمنية تلك المعجزة البشرية غير القابلة لأي تفسير يخرج بها عن حدود اليمن ، أو يبعدها عن مسارها الوطني وعن الطريق المعبد بدماء شهداء ١٩٤٨ ، وشهداء ١٩٥٥ ، وعن أحلام اليمنيين وأشواقهم إلى العدل والحرية . أقول قبل الحديث عن هاتين الصفحتين ينبغي بادىء ذي بدء أن يعلم القارىء أن علاقة الأستاذ محمد حسنين هيكل بالثورة اليمنية لم تكن علاقة ود وتفاهم . وإنه قد فوجىء بها كما فوجىء بها نظام عبد الناصر الذي ساندها ودافع عنها رغم معارضة الكثيرين ومنهم الصحفي الكبير والناطق الرسمي بإسم النظام .

لقد اقترب هيكل من أحداث كثيرة في الوطن العربي وخارج الوطن العربي ، اقترب من ثورة « مصدق » في إيران وكتب عنها ، واقترب من ثورة العراق وكتب عنها واقترب من ثورة الجزائر وكتب عنها واقترب من الثورة الليبية وكان أول من قدمها إلى القارىء العربي وأول من قام بتعريف قائدها ، واقترب من ثورات أخرى وأقام مع قادتها حوارات متعددة . أما الثورة اليمنية ثورة العراة الحفاة حقاً ، ثورة المعذبين في الأرض والخارجين من الكهف ، أما هذه الثورة فإنها لم تهز قلب الكاتب الكبير ولا قلمه ولم تظفر منه سوى بسطور قليلة نصفها يعلن عدم الرضا ، ونصفها الآخر يكاد يستكثر على شعب مقبور أن ينفض عن نفسه التراب وينهض ليواجه العصر والشمس في آن .

ولعل الصفحتين موضوع الحديث وهما أوسع ما كتبه الأستاذ

هيكل عن ثورة اليمن التي ذهب في سبيل الدفاع عنها أكثر من عشرين ألف جندي عربي من مصر العظيمة الكريمة ، لعل هاتين الصفحتين تشكلان الدليل الأكبر على ما ذهبت إليه وتشكلان الدليل الأهم على أن أسرار الثورة اليمنية لا يعرفها سوى أبنائها ، وأن الشاهد النبيل على الاحداث الكبيرة ينبغي أن يكون قد اقترب من الحدث وعاش دقائقه بنفسه لا عن طريق الروايات المتداولة .

وقد اشتملت الصفحتان على الدليل الذي يثبت فقدان الود بين ثورة الشعب البائس في اليمن والصحفي الكبير وأوضحتا أنه لا يكاد يعرف عن هذه الثورة شيئاً ولا يعرف أي شيء عن قادتها ، وهو على سبيل المثال يرتفع برتبة أحد قادتها من الضباط الشبان من ملازم ثان إلى عقيد يخطىء في مكان وزمان مصرعه . ليس هذا وحسب وإنما هو يخطىء خطأ فاحشاً حين يعطي للسادات الذي اتخذ من ثورة اليمن أحد الجسور الدامية ليعبر عليها إلى أحلامه وأحلام سادته الذين لم يعودوا مجهولين ، أعطاه صورة المدافع عن هذه الثورة وموقفه الحريص على مساندتها . وحين زعم أن علاقة السادات بالثورة اليمنية قد تمت عن طريق صديق له تعود معرفته به إلى فترة عمله بالمؤتمر الاسلامي والصديق هو الدكتور عبد الرحمن البيضاني . مع أن لقاء هذين الصديقين قد تم في ألمانيا الغربية وفي فترة إعداد السادات ليقوم بالدور الموكل إليه والذي أوصله فيما بعد إلى حكم مصر وإلى خيانة الأمة العربية وتمريغ كرامتها في الحضيض .

ولم يكن البيضاني ليعرف شيئاً عن الثورة لولا المصادفة التي جعلت الملازم علي عبد المغني يبعث نيابة عن تنظيم الضباط اليمنيين الأحرار برسالة صغيرة إلى الرئيس جمال عبد الناصر عن طريق القائم بالأعمال المصري في صنعاء وليس عن طريق أي رجل آخر ، والرسالة كما يتذكرها من تبقى على قيد الحياة من الضباط وكما هي مثبتة في كتاب (وثائق وأسرار الثورة اليمنية) وفي مذكرات عدد من زملاء الشهيد علي عبد المغني . كانت بمثابة استطلاع رأي القاهرة وجس النبض في موقف قائد الثورة في مصر الرئيس جمال عبد الناصر من الاستعداد لمساندة أي حركة تقوم في اليمن . . وقد أحيلت الرسالة إلى السادات وفقاً للاختصاص ، ومنه طارت إلى البيضاني وعن طريق الأخير جاءت الاجابة . . ويروي كتاب (أسرار ووثائق الثورة اليمينة) ما حدث على النحو التالي :

(وبعد نقاش طويل اتخذت القاعدة التأسيسية قراراً يسمح للجنة القيادية بأن تفصح للقاهرة من خلال القائم بأعمال سفارتها في صنعاء الاستاذ محمد عبد الواحد ، بأن لدينا تنظيماً عسكرياً وطنياً يعمل على تفجير الثورة ضد الحكم الامامي ، وله ستة أهداف) تسلم نسخة منها دون الخوض في تفاصيل أخرى . وعليه كلفت اللجنة القيادية الاخ الشهيد علي عبد المغني بالاتصال بالقائم بأعمال السفارة وإبلاغه بما تمت الموافقة عليه . وقد قام الأخ الشهيد علي عبد المغني بالمهمة وطلب من القائم بالأعمال الحصول على رد من القاهرة في أقرب وقت . وبعد أيام تلقى تنظيم الضباط رد القاهرة وقد جاء فيه (نبارك العمل ونحن على استعداد لتقديم العون في

حينه حسب ظروف وإمكانيات مصر) وبعد أن تلقى التنظيم هذا الرد لم يحاول أن يجدد الاتصال بالقاهرة واعتبر ما جاء في ردها وعداً صريحاً بدعم الثورة حين قيامها . علماً أن تنظيم الضباط قد فهم في نفس الوقت أن لمصر علاقة مباشرة بعدد من العناصر المدنية ، إلا أنه لم يكن يعرف بالضبط طبيعة هذه العلاقة وحقيقة مضمونها . .

ومن ناحية أخرى كان الدكتور البيضاني يحاول أن يثبت وجوده بأي صورة من الصور ولو على حساب غيره ، وكان هذا السلوك مرفوضاً من قبل الأخرين ، ولكن البيضاني لم يعبأ بشيء من هذا ، وكان همه الوحيد هو كيف يتخطى الاخرين من أقصر الطرق غير المشروعة . وقد استطاع في حينه أن يستغل إلى أقصى حد ممكن علاقته المتينة ببعض المسؤولين المصريين (السادات) ويفرض وجوده على الاحداث من خلالهم وقد ساقته هذه الوضعية إلى تبني مفاهيم غريبة ومواقف مثيرة ليس فيها شيء من الحكمة والكياسة ، ولعل الجميع يذكر حتى الآن ما أثاره الدكتور البيضاني حول الهاشمية قبل الثورة ، ولا ندري ما إذا كان موقف البيضاني آنذاك مجرد تفاعل مع سياسة مصر ضد الملك حسين ، أم كان خلافه الشخصي مع بعض العناصر الهاشمية في وزارة الخارجية اليمنية .

وعلى العموم فقد ترتبت على موقف الدكتور البيضاني نتائج في غاية الخطورة وخاصة بعد الثورة » .

أسرار ووثائق الثورة اليمنية : ص ١٠٥ .

ويبدو من هذه الفقرات أن الضباط الأحرار لم يكونوا عندما أعدوا كتابهم عن « أسرار الثورة » للنشر يهتمون بالتفاصيل ، كما يظهر أن أخطاء مطبعية كثيرة قد وقعت في الكتاب وفي هذه الصفحة بالذات ، فقد وردت إجابتان بإسم عبد الناصر الأولى تقول (نفذوا وسأفي بكل التزاماتي) والاجابة السالفة الذكر وهي (نبارك العمل الوطني . ونحن على استعداد لتقديم العون في حينه حسب ظروف وإمكانيات مصر) ومن الواضح أن الاجابة الأخيرة هي إجابة الرئيس جمال عبد الناصر ، وهي على قصرها ترمز إلى أشياء كثيرة ، فالجملة الأولى تبارك وجود العمل الوطني في اليمن وتؤكد انقطاع القاهرة عن كل معلومات تخص الداخل بصورة خاصة وتخص الضباط بصورة أخص وبقية الاجابة تدل على وعي وذكاء القائد الذي لا يتردد عن تقديم العون في الوقت المناسب مع الاشارة إلى الظروف والامكانيات ، أما الاجابة السابقة وهي « نفذوا » فهي إجابة السادات على لسان جمال عبد الناصر ، وقد أثار ورود إجابة « نفذوا » قلق الضباط وحيرتهم وبخاصة أنه جاءت عن طريق البيضاني المتهم عندهم بأنه يبحث عن أقصر الطرق فضلاً عن إثارته العمياء للطائفية والعنصرية وهذا ما دعاهم إلى قطع الصلة بمصر نهائياً إلى صباح الثورة حين ذهبت برقية بتوقيع الزعيم عبد الله السلال إلى الرئيس جمال عبد الناصر ينبئه فيها بأن الشعب اليمني قد ثار وأنه يخشى على ثورته من التدخلات الأجنبية ومن الاستعمار البريطاني في جنوب الوطن بالذات ، فالثورة كما حددت أهدافها بصراحة تامة تسعى إلى القضاء على حكم الفرد المطلق في شمال

البلاد والقضاء على الاحتلال الأجنبي في جنوب البلاد .

ليس القصد هنا التاريخ للثورة ولا إعادة ما هو معروف ومتداول من أخبارها وإنما القصد نفي ما جاء في كتاب الأستاذ هيكل عن الثورة اليمنية بنفي مصادره ووقائعه التي استقاها من خلال ثرثرات السادات وهو أخطر أعداء الثورة اليمنية وأكبر المنتفعين بها وعن طريقها وصل إلى تصفية خصومه ومنافسيه ثم إلى حكم مصر ثم إلى بيعها ديناً كما حاول أن يبيع الثورة اليمنية نقداً .

والآن ما الذي كتبه الأستاذ هيكل عن ثورة سبتمبر ؟ وما الذي يقوله كلامه الذي لم يملأ صدر صفحتين من صفحات كتابه الضخم ؟ إننا نثبت فيما يلي ما جاء في الكتاب عن الثورة ليس في الصفحتين موضوع الحديث وحسب وإنما نضيف إليهما فقرة من صفحة أخرى هي أهم في دلالاتها على نفور هيكل وضيقه بالثورة التي لا يعرف عنها ولا عن أصحابها ولا عن شعبها شيئاً قليلاً أو كثيراً . حين يقول : (ومع أن صلة أنور السادات) قد انقطعت بالمؤتمر الإسلامي بعد أن أصبح رئيساً لمجلس الأمة ، فإن العلاقات التي كونها خلال فترة عمله فيه ـ المؤتمر الإسلامي ـ ظلت نشيطة . وفي سنة ١٩٦٢ تجددت واحدة من هذه الصلات ، وكانت لتجديدها عواقب بعيدة المدى بالنسبة له وبالنسبة لمصر . . ففي صيف ذلك العام ـ ١٩٦٢ ـ وعن طريق صديق له من أيام المؤتمر الاسلامي هو الدكتور عبد الرحمن البيضاني الذي كان لاجئاً يمنياً في مصر جاء لمقابلة « السادات » تاجر من تعز في اليمن اسمه « عبد الغني

المطهر » وكانت لديه رسالة من مجموعة من الضباط اليمنيين كونوا حركة سرية في الجيش اليمني بقيادة العقيد « علي عبد المغني »وكانت فحوى الرسالة أنهم يخططون لانقلاب يخلعون به نظام الامامة في اليمن ويستبدلونه بجمهورية تقدمية على نمط مصر ، وهم يريدون أن يعرفوا كيف تستطيع مصر أن تساعدهم عندما يقوم انقلابهم . وحمل « السادات » رسالتهم لـ « عبد الناصر» وبينما كان « عبد الناصر » متشككاً في إمكانية الثورة وإمكانية نجاحها في اليمن فإن « أنور السادات » راح يؤيد بقوة مطالب ثوار اليمن ، وكان بارعاً في عرضه السياسي حين قال : (إن قيام ثورة في اليمن الآن يمكن أن يكون رداً على ضربة الانفصال التي وجهت لمصر بإخراج سوريا من الوحدة في العام السابق ، كما أن هذه الثورة إذا نجحت سوف تحدث آثاراً كبيرة في شبه الجزيرة العربية . . إلى أن قال (كان السادات في ذلك واقعاً تحت تأثير الدكتور عبد الرحمن البيضاني .

وحدث أن توفي الامام « أحمد » حاكم اليمن الاقطاعي ، وحل محله في الامامة ولي عهده الضعيف « محمد البدر » ووجدها ثوار اليمن فرصة مواتية فقاموا بانقلابهم ولسوء الحظ فإن قائد الثورة « علي عبد المغني » قتلْ في أول صدام مع القوات المُلكية المهاجمة ، الذي قال الكتاب عنه إنه قتل في « صاعدة » العاصمة القديمة في أقصى الجنوب ! ! إلى أن قال وفي تلك اللحظة الحرجة بالنسبة للثورة اليمنية ، فقد دارت مناقشات طويلة ومضنية داخل القيادة السياسية المصرية ، كانت الثورة اليمنية الوليدة ـ وقد راح يقودها

الآن فعلياً رمزها الاسمى « عبد الله السلال » تطلب المساعدة من مصر في مواجهة تدخل سافر ، وكان « أنور السادات » أشد أنصار التدخل في اليمن ، وكان رأيه بناء على نصائح « البيضاني » أن كل ما يحتاج إليه الأمر هو عدد من الطائرات تلقي الرعب بين القبائل المتحركة ضد الثورة . وكان التعبير الأثير لدى « أنور السادات » أيامها هو « حفنة من الطائرات حتى ولو ألقى طياروها شحنات من المتفجرات عبر نوافذها » كان جمال عبد الناصر ـ فيما بعد وحين اتسعت حرب اليمن وزاد تدخل الأطراف فيها ـ لا يكف عن تذكير « أنور السادات » بما كان يقوله عن سهولة العملية وأنها لا تحتاج إلا لطائرات بدائية تلقي المتفجرات على القبائل من نوافذها ، وقال « جمال عبد الناصر » في إحدى المرات « إننا أرسلنا كتيبة من الجيش إلى اليمن لنجدة الثورة ، ولكن كان علينا أن نبعث بفرقتين كاملتين لتعزيزها » وفي حين أن «عبد الحكيم عامر» راعي « أنور السادات » وحاميه ـ كان المسؤول عسكرياً عن إدارة الحرب في اليمن ، فإن « أنور السادات » أصبح هو المسؤول عن إدارة الجهد السياسي فيها ».

خريف الغضب : ص٨٧ .

(وكانت حرب اليمن لا تزال مستمرة . ولقد أدت هذه الحرب إلى عملية إفساد لعدد كبير من الأجهزة الرسمية التي شاركت في إدارتها ، فقد كانت الحرب بعيدة عن كل رقابة ، ثم أن المجهود الحربي كان بطبيعته متحرراً من القيود التي تطبق على غيره من أنواع

النشاط الذي تقوم به أجهزة الدولة العادية . ثم أن الاعتمادات لحرب اليمن كانت سخية ، فقد كان الهدف هو الوصول بالمعارك إلى نتيجة مقبولة بأسرع ما يمكن .

ولقد أضرت حرب اليمن ضرراً بليغاً بشخصية « عبد الحكيم عامر » ولقد عكست هذه الاضرار نفسها بطريق مأساوية على سلوكه في حرب يونيو ١٩٦٧ وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ فقد انحسر نفوذ « عبد الحكيم عامر » وبشكل ما فإن « أنور السادات » وجه طريقه عائداً إلى الرعاية المباشرة لـ « جمال عبد الناصر » .)

من الواضح أن السادات لم يكن يهدف إلى إقامة ثورة في اليمن أو إلى مساندة ثورة سبتمبر بالمعنى الحقيقي أو بأي معنى وإنما كان يهدف إلى فتح ثغرة تبتلع النظام المصري الذي كان أحد أعمدته والذي كان قد التزم لجهات معادية بأن يحطمه من الداخل أو من الخارج . ومن الواضح كذلك أن الأستاذ هيكل لم يكن يعرف عن الثورة اليمنية إلا ما تسرب إليه من وقائع ضئيلة تتعلق بالسادات وهي نفس الوقائع أو المعلومات التي كان رجل الشارع المصري يرددها دون أن يزيد عليها حرفاً .

وقد أوضحت هذه الوقائع أن الأستاذ هيكل لم يكن يعرف اليمن ولا جغرافية اليمن ولا المواقع التي رابطت فيها قوات مصر العربية وإلا فما هذا التحديد الطريف عن صاعدة « وصعدة » العاصمة القديمة في أقصى الجنوب ! أي جنوب ! ؟

وهي تشبه فقرة في رواية للأستاذ إحسان عبد القدوس تحدث

فيها عن المحاربين المصريين الذين كانوا يصيدون الأسماك من شواطىء البحر في مأرب ! !

وقد كان على هيكل الكاتب الكبير والصحفي الأكثر شهرة أن يفرق بين فضح أدوار السادات وبين ما قد يسيء إلى الثورة المصرية والثورة اليمنية وكان عليه أن يفرق بين الثورة اليمنية والحرب في اليمن ، بين أحلام اليمنيين وأحلام السادات وبطانته ، وأن يفرق بين الثوار اليمنيين والدخلاء على ثورتهم ولو قد حاول أن يعرف شيئاً عن هذه الثورة وعن أبطالها ، عن نصف قرن من كفاح اليمنيين في سبيل وضع حد لحكم الفرد الطاغية الذي يسعى إلى أن يمتلك الأرض والبشر وأن يتحكم في العقول والمشاعر والضمائر . كان عليه - أي هيكل - أن يفرق بين الثورة كهدف لشعب مستضعف بائس يريد أن ينطلق عبرها من نظام حكم متخلف متعسف مستبد وبين جماعات المنتفعين الذين أرادوا أن يحفروا لعبد الناصر ولثورة ٢٣ يوليو العظيمة قبراً في جبال اليمن بعد أن فشلوا أن يحفروا ذلك القبر في سوريا . . . وكان عليه أيضاً أن يفرق أيضاً بين التعاطف المزيف والمرسوم سلفاً الذي أبداه السادات نحو ثورة اليمن والتعاطف العميق والصادق الذي تمثل في عبد الناصر وشعب مصر العربي العظيم .

إن المأزق الذي زج الكاتب الكبير فيه نفسه وجعله يحشر تاريخ شعب في صفحتين من كتابه ناتج عن أنه لا يعرف الثورة اليمنية وأنه لم يحاول أن يتعرف على جذورها أو يقترب منها . .

ولذلك فقد ظلت معلوماته عنها قاصرة قصور المعلومات الرائجة في الشارع المصري ، وقد لقيته ذات مرة وتحدثت إليه واكتشفت ـ دون مبالغة ـ أنه لا يعرف عن ثورة سبتمبر اثنين في المائة مما يعرفه عن ثورة « كوبا » أو ثورة « قبرص » وكان يومئذ عائداً من زيارة لم تستغرق أكثر من يومين إلى صنعاء وهي الزيارة الأولى والأخيرة . .

كان ذلك في بداية عام ١٩٦٧ وقد وصل إلى صنعاء خائفاً قلقاً وطار منها إلى « صعدة » أو إلى أحد المواقع الجبلية حيث يرابط الجنود الشجعان من أبناء مصر الخالدة ، وقد عاد إلى القاهرة دون أن يتسلم هدية متواضعة مقدمة إليه من المشير عبد الله السلال ، وتم إرسال الهدية إلى سفارة الجمهورية العربية اليمنية في القاهرة وكنت أعمل يومئذ في الجامعة العربية لذلك فقد وقع الاختيار عليّ لكي أذهب بالهدية إلى الأستاذ هيكل وقابلته مرتين المرة الأولى لتسليم الهدية والمرة الثانية للحديث عن الثورة والأوضاع في اليمن وقد شرحت ما دار في المقابلة في مقال نشرته منذ عامين ولا أتذكر الآن الموضوع الرئيسي لذلك المقال ، لكنني أتذكر أن الأستاذ هيكل كان قد تساءل عن دور الشباب في الثورة وعن غياب التنظيم اوالتنظيمات ، وكشف حديثه عن تصور رهيب للأوضاع في اليمن وعن الفراغ الذي يأكل الساحة اليمنية وقد تكونت لديه هذه الصورة القاتمة من خلال ما سمعه ثم من خلال ما رآه في صنعاء وفي بعض المواقع التي زارها فقد استقبله في مطار صنعاء جنود مصريون، واستقبله وفي مقر إقامته ضباط مصريون، وتنقل في المدينة - إذا كان قد تنقل ـ مع جنود وضباط مصريين لم يشاهد وجهاً يمنياً ولم

يتحدث إلى إنسان من اليمن ،وكانت الظروف أثناء زيارته مثقلة ومشحونة بمقدمات حرب حزيران . . وقد ارتسمت الصورة الثقيلة في نفسه ، وارتبطت بعد ذلك بالهزيمة وتركت آثارها على كتاباته . .

وما يبعث على الدهشة أن هيكل لم يبدل شيئاً من آرائه إزاء الثورة اليمنية بالرغم من الاجماع السائد بين الدارسين أن ثورة اليمن هي من أنجح الثورات التي قامت في النصف القرن الأخير ، فقد أخرجت شعباً عربياً من ظلمات القرون وربطته بتاريخ زمانه وطردت الاستعمار من الشطر الجنوبي من اليمن بعد احتلال دام أكثر من ١٣٠ عاماً وزحزحت وجوده عن شواطىء الخليج العربي وعمان ، وكانت الصحوة الثورية الفعالة في صمت الجغرافيا وفي صمت الزمن . .

إنه مثال محزن على الأمية التاريخية التي تحاول الصحافة أحياناً أن تؤرق بها ضمير التاريخ وتذبذب بها ضمائر الموتى والاحياء من البشر الذين صنعوا التاريخ على ضوء دمائهم .

وهو مثال محزن على محاولة اختزال تاريخ شعب في سطور قليلة تفتقد أبسط المعارف وأقل المعلومات وهو مثال محزن يتكرر في الأمية الأدبية التي تحاول الصحافة إشاعتها بين قراء اليوم .

الفصل الرابع

ثورة سبتمبر في كتابات وشهادات
قراءة في ثلاثة كتب سبتمبرية

- ١ -

يا حبيبة ،
قبل حبك لم يكن لي شيء
كنت أتوه حائراً عبر الشوارع والاشياء
لم يكن للأشياء قيمة .
لم يكن للأشياء اسم ،
والعالم كان هواء
وكنت أنتظر الهواء ،
فعرفت قاعات رمادية
وعرفت انفاقاً كان يقطنها القمر
وعرفت عنابر قاسية كانت تهاجر ،
وعرفت أسئلة كانت تلوح في الرمال
كل شيء كان خاوياً ميتاً ، أبكم
ساقطاً مهجوراً كئيباً ،
كل شيء كان عني بعيداً نائياً

كل شيء كان للآخرين وليس لأحد ،
إلى أن ملأ جمالك
أحضان الخريف بالهدايا والعطايا .

لعل هذه الأبيات المنثورة ببساطتها العميقة ـ وهي مترجمة عن بابلو نيرودا شاعر أمريكا اللاتينية الكبير ـ لعلها أقدر من أي كلام آخر ، منظوماً كان أو منثوراً ، للتعبير عن شعور الانسان في اليمن قبل الثورة وبعدها . فقد كان الانسان قبل أن تجيء الثورة يعيش في مناخ طاغوتي رهيب يهيمن فيه الرعب والجمود ، وتسيطر فيه عوامل الفاقة والبؤس ، وأصبح بعد مجيء الثورة في عداد الكائنات البشرية ، يفكر ويقرأ ، يأكل ويعاني ، يتألم ويفرح ، يخاصم ويحب ، يرفض ويتقبل ، يصبر ويتمرد . لقد اعطته الثورة شيئاً واحداً هو أهم الأشياء وأغلاها وأسماها ، وهو الاحساس ، الاحساس بالحياة والاحساس بالزمن ، والاحساس بالعصر ، وإذا امتلك الانسان الاحساس فإن البقية تأتي .

ومن حق الثورة التي اعطت الانسان في اليمن هذا الاحساس ، من حقها أن تكون موضع حديث لا ينتهي ، وموضع حب لا ينتهي . والحديث عن الثورة كالحب للثورة ، فيه الصادق الصافي ، وفيه الكاذب المموه ، فيه النابع من القلب والخارج من الشفاه ، والمعيار الحقيقي للتمييز بين الأحاديث ، ليس الأسلوب واللفظ لكنه الروح والمعنى ، ومن أهم احاديث الثورة وأقربها إلى الحب وأشدها ارتباطاً به تلك الأحاديث التي تروي قصة الثورة

وخفاياها والتي تحاول اضاءة محيط الأسرار ، اسرار البطولات المجهولة والتضحيات العظيمة المعمدة بالدم والأحزان والتي صنعتها الأشواق وحفرت طريقها أظافر الرجال . إنها الأحاديث التي تروي للتاريخ وللزمن قصة سبتمبر الثورة ، كيف نسجتها ارادة الشعب ممثلة في طلائعه الوطنية ، في أيام المحنة وفي الليالي السوداء . ولما كانت تلك الأحاديث متعددة الزوايا ومتشعبة الاطراف وهي لم تكتمل بعد لأن مهمة الثورة لم تكتمل بعد ، لما كان الأمر كذلك فإنها لم تصبح بعد تاريخاً وما تزال حياة نعيشها ونتنفسها ونقترب ونبتعد من بعض مناطقها المجهولة في حذر واجلال . إن الطريق المفضي اليها ليس سهلاً كما يتصوره البعض وحمى النزعة الوثائقية التي بدأت تعلن عن رغبتها في التسجيل هي أبعد ما تكون عن النزعة التاريخية ، وإن كانت بداية الطريق اليها إلى التاريخ .

إن ظهور المؤرخ في بلادنا سوف يتأخر كثيراً ، وأقصد به ذلك المؤرخ الوطني العالم الذي سيؤرخ للأحداث التي مرت بها بلادنا على طريق الثورة المليء بالمخاوف والملطخ بدماء الأبطال . ولا بد أن يتوقف ذلك المؤرخ طويلاً عند ثورة سبتمبر ذلك الحدث العظيم الذي توج ما سبقه من أحداث وكان بداية النهاية لآلام اليمنيين ومواجعهم ، ستكون الوقفة طويلة عند سنوات التمهيد وعند سنوات التنفيذ ، وعند سنوات المد والجزر ، وعند سنوات المواجهة والتناقضات وهي أخطر وأنبل وأغرب ما مر بشعب من شعوب العالم أجمع . ولعل بعض الكتابات التي ظهرت في هذه المرحلة وحتى يظهر المؤرخ هي تلك الكتابات التي تشكل صورة

الشاهد النبيل الصادق حيال كل نقط الحرج ونقط الضوء في تاريخ هذه الثورة ، وحيال ما أظهره العديد من أبناء وصناع هذه الثورة من مواقف نادرة للبطولة والفداء ، وما أظهره آخرون أيضاً في ظروف المحنة من أساليب التهافت والفزع ، والأفراد العاديون جداً يظلون كذلك افراداً عاديين جداً حتى وان اتاحت لهم الظروف فرص البطولة لأن عاديتهم - وهي خلاف البساطة والعفوية - تجعلهم لا يحسبون ادنى حساب للقيم الحقيقية والخالدة للأحداث الكبيرة ولا يفرقون بين الزائف والأصيل ، بين الثابت والمتغير ، وعلى العكس من ذلك الأفراد الممتازون الذين يصنعون التاريخ ويملأون صفحاته بالباقي والخالد وبكل ما يخدم القيم الشريفة في حياة الانسان ويحافظ على كرامة الوطن وسيادته .

وقد ظلت الثورة اليمنية - خلافاً لكل الثورات - تتلمس طريقها في الخفاء وتخرج من سجن الى سجن ، ومن مذبحة إلى اخرى بدون صحافة توثق الوقائع ، وبلا مذكرات تضيء الغامض أو تساعد على كشف الخفايا ، وقد أوجدت هذه الملابسات حالة من البلبلة وحالة من الجهل التام ومن التخبط في التحليل والتفسير . وكان حظ ثورة السادس والعشرين من سبتمبر من التجاهل والجهل في هذا المجال كثيراً إلى أن ظهرت بعض الكتب الوثائقية كبداية لما سوف يصدر من تلك الشهادات الامينة التي ينبغي أن يكون رائدها الصدق ، وان تهدف إلى توضيح ما حدث دون اسراف أو تهويل لتكون مادة المؤرخ يتعرف من خلالها على الاسباب القريبة والبعيدة وعلى العوامل والمؤثرات التي احاطت بذلك الحدث العظيم وحتمت

وقوعه في ذلك الوقت المعين ، وبتلك الكيفية المحددة . وهناك عدد كبير من الذين اقتربوا من الثورة وعاشوا سنواتها المجيدة وهم يتمتعون الآن وفي أي وقت بحرية كاملة تسمح لهم بالكتابة عن كل صغيرة وكبيرة تتعلق بظروف الاعداد للثورة وبظروف قيامها . وهناك عدد أكبر ممن لم يقتربوا من الثورة ، ولم يعايشوا دقيقة من دقائقها ومع ذلك فهم يتمتعون بحرية كاملة في تأليف القصص واجترار أحلام اليقظة من ناحية والحديث عن المغامرات والبطولات الخيالية من ناحية اخرى . وكتاباتهم هذه لا تخرج ولن تخرج عن كونها لوناً من التمثيليات أو المسلسلات التلفزيونية تلك التي يشاهدها الناس في البيوت قبل أن ينتصف الليل وعندما يأوون إلى مضاجعهم بعد عناء النهار الطويل .

ومن المؤكد أن صوتاً كبيراً في حجم ثورة سبتمبر لا بد أن يكون فيه اوسع مجال للأدعياء ، وأن يكون مثيراً للجدل ، ولا بد أن تختلف من حوله الرؤى وتتصارع من حوله الآراء ، والصفة الوحيدة المشتركة التي ينبغي أن تتوفر بين جميع المشاركين في هذا الجدل هي صفة الاشتراك فيه ، وأن يكون كل المتجادلين قد اسهموا بشكل فعلي ومباشر في هذا الحدث لا أن يسقطوا عليه من خارجه . فالمطلوب في مثل هذا النوع من الكتابات ، التي يتصف صاحبها بالشاهد النبيل أن يكون عرف الحدث عن قرب وعاش دقائقه بنفسه لا عن طريق الروايات وهذا النوع من الكتابات أيضاً هو غير الكتابات عن الثورة تحليلاً وتقييماً وسلباً وإيجاباً فمثل هذا النوع الأخير من حق كل حامل قلم ، وتقدم الينا الكتابات الوثائقية

التي صدرت عن ثورة سبتمبر مثالاً رائعاً حول هذا الموضوع فهي بما حفلت به من وقائع وما شابها من تناقض تصدر عن شهود عيان جمعهم شرف الانتماء إلى سبتمبر العظيم .

وحتى لا يعطي الآخرون التناقض الذي ظهر في كتابات بعض السبتمبريين أكثر من حجمه تجدر الإشارة في مدخل هذه القراءة إلى أنه تناقض سطحي أو بعبارة أوضح تناقض لا يمس جوهر القضايا ولا يكشف مثلاً عن تناقض نظري ، وهو لم يشر إلى اختلافات حول الضرورة المطلقة التي أدت إلى التعجيل بقيام الثورة ، ولم يشكك في الاجماع على ضرورة القيام بها ، ولم ينقد الوقائع الرئيسية أو الممارسات غير التفصيلية ، وإنما اقتصرت تلك التناقضات أو الخلافات حول أدوار بعض الاشخاص وهل هي ادوار رئيسية ام ثانوية وحول بعض التفاصيل والجزئيات ، وهي اختلافات ناشئة عن اختلاف مواقع الرؤية واختلاف مواقع الاقتراب من الحدث نفسه . وقد زاد من حدة هذه التناقضات الصغيرة أن بعض الشهود حاول أن يغطي الحدث من مختلف جوانبه ، وكأنه قد كان يمتلك - يومئذ - آلة تصوير دقيقة وشاملة تجعله يتابع الحدث من مختلف الزوايا وهو أمر صعب التحقيق .

فضلاً عن أن زمن الشهادة قد تأخر كثيراً وانه قد ابتعد عن الزمان والمكان مسافة واسعة يضاف إلى طول المسافة امتلاؤها بما لم يكن في الحسبان من أحداث ووقائع وصراعات ومن تبدل في المواقع إلى تحول جزئي أو كلي في النظرة ، ومن احساس عند البعض بوطأة الغبن والاهمال ، واحساس عند البعض الآخر بضرورة تجنب

الاشارة إلى بعض الوقائع التفصيلية حفاظاً على وحدة المشاعر وسلامة النفوس. ولو أن كل شاهد من الشاهدين قد اقتصر في شهادته على الحديث عن دوره هو، وعلى رسم الحدث من خلال الزاوية أو الجانب الذي كان يرقبه من خلاله لما حدث هذا الخلط السطحي ولما تسرب الشك إلى بعض الوقائع التفصيلية .

ومثل هذا التناقض وأكثر منه نجده في كل الكتابات التي ظهرت، على سبيل المثال عن ثورة ٢٣ يوليو بأقلام عدد من الضباط الاحرار الذين شاركوا في صنع الثورة أو اقتربوا من صانعيها . وقد اشتد الخلاف ووصل في بعض الكتابات إلى التناقض الحاد ليس في التفاصيل ذاتها أو الجزئيات وإنما في الكليات الاساسية إلا أن كل ذلك لم يمس الثورة أو يغير من اعجاب الانسان العربي بها أو يقلل من أهميتها التاريخية بالنسبة للوطن الكبير الذي كانت ثلاثة أرباع من أراضيه في قبضة الاحتلال المباشر، وربما كان جانب كبير من الاختلاف قد أثرى جوانب النظر وخرج بها عن الأحداث المألوفة واليسيرة . إن أسوأ أنواع الخلافات هي تلك التي تقود إلى مزالق الاختلاف لذات الاختلاف وإلى محاولة تشويه الثورة أو الانتقاص من رجالها .

ومن بين الكتابات السبتمبرية التي توافرت لها شروط الرغبة النبيلة لاعطاء صورة عريضة عن ثورة سبتمبر ثلاثة كتب هي بحسب ترتيب ظهورها :

أولاً : التاريخ السري للثورة اليمنية بقلم اللواء عبد الله جزيلان .

ثانياً : أسرار ووثائق الثورة اليمنية ، بأقلام لجنة من الضباط الاحرار .

ثالثاً : ٢٦ سبتمبر دراسات وشهادات ، اعداد مركز الدراسات والبحوث اليمني .

وإنطلاقاً من منهجية الترتيب التاريخي لظهور الكتب الثلاثة فإننا سوف نبدأ عرضنا الموجز لهذه الكتب بقراءة موجزة عن أولها ظهوراً وهو كتاب « التاريخ السري للثورة اليمنية » وقد ظهر في أوائل عام ٧٦ وكان باكورة الكتابات التي ظهرت عن ثورة سبتمبر بخاصة والكتابات التي تتناول الحركة الوطنية بعامة . فقد شجع ظهور كتاب اللواء جزيلان عدداً من الضباط الاحرار وكثيراً من المثقفين على الخروج من الصمت ومحاولة رصد بعض الوقائع من الذاكرة قبل أن يطمرها سيل الزمن الجارف . وإذا كانت اهمية أي كتاب مقترنة إلى حد كبير بشخصية كاتبه وبارتباط هذه الشخصية بموضوع الكتاب ، وإذا كانت الظروف قد غمطت اللواء جزيلان كثيراً من حقوقه فإن من الانصاف ـ وبخاصة في هذا العهد المنصف ـ أن تقال كلمة حق صادقة في حق هذا المناضل الذي نأى بنفسه عن المهاترات والمصادمات وحاول بعد الثورة بأسابيع أن يعزل نفسه عن كل منصب بعد أن شهد التكالب المنقطع النظير على المناصب وكأنها الهدف وليست الوسيلة . وقد كان ـ كما عرفته ـ طوال ربع قرن ثالث ثلاثة مناضلين زاهدين في المناصب ، والآخران هما الأستاذ الشهيد محمد محمود الزبيري واللواء حمود

الجائفي . واللواء جزيلان من مواليد عام ١٩٣٢ . وكان طالباً في « بعثة الأربعين » التي سافرت للدراسة في لبنان عام ١٩٤٧ قبل مصرع الإمام يحيى بعام واحد . وقد انتقلت « بعثة الأربعين » في أوائل الخمسينات إلى القاهرة . وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ووضوح الدور الوطني الذي لعبه ضباط الجيش المصري في انقاذ مصر من العبث والفساد ، التحق اللواء جزيلان وعدد من زملائه بالكلية الحربية في مصر وتخرج منها عام ٥٦ ، وعندما عاد الى الوطن كان مع زميله العميد عبد اللطيف ضيف الله اكثر زملائهما التصاقاً بالحركة الوطنية وأكثرهم تأثيراً واقتراباً من صغار الضباط الذين شكلوا نواة الضباط الاحرار . وقد تولى اللواء جزيلان ادارة الكلية الحربية . وبعد قيام الثورة اصبح عضواً في مجلس القيادة ، ثم اختير نائباً لرئيس الوزراء في حكومة اللواء حمود الجائفي ثم نائباً لرئيس الوزراء في آخر حكومة برئاسة المشير عبد الله السلال .

وربما كان في وسع هذه السطور ان تضع تعريفاً عاماً وعابراً عن مؤلف كتاب « التاريخ السري للثورة اليمنية » أما عن الكتاب نفسه فقد كان عنوانه الأول « مذكرات اللواء عبد الله جزيلان » لكن الناشر رأى ان يضع عنواناً آخر يربطه بالثورة اليمنية ويشد اليه القارىء العربي الذي يهمه أن يعرف الكثير عنها وعن قادتها . وقد أثار صدور الكتاب ضجة واسعة بين اليمنيين في الداخل والخارج . وقد رأى كثيرون ، وكاتب هذه السطور واحد منهم ، أن في صدور مثل هذا الكتاب تحريكاً للصمت المضروب حول خفايا الثورة وانه سوف يجر بعده سلسلة من الكتب التي تناقش قضايا الثورة وتسعى

إلى ابراز الحقائق المختلفة خدمة للوطن وحماية للأجيال من الجهل بأهم حدث وطني عرفته اليمن في تاريخها الحديث ، بل بأهم حدث أدخل اليمن إلى التاريخ الحديث .

وقد تحقق احد الأهداف التي جاء كتاب اللواء جزيلان لتحقيقها بأسرع مما كنا نتوقع فقد اجتمعت لجنة من البقية الباقية من الضباط الأحرار وأصدرت كتاباً بعنوان « أسرار ووثائق الثورة اليمنية » وهو لا يعتبر - كما يرى بعض الصائدين في المياه العكرة - نقيضاً لكتاب اللواء جزيلان أو نفياً له وإنما هو امتداد واستكمال لبعض الحقائق. فالحقيقة - كما اسلفت الاشارة إليها - ذات جوانب متعددة ، ومن هنا كان البحث عنها صعباً وشاقاً ولا يتحمله إلا الأفذاذ والممتازون من الرجال وهم قلة في كل زمان ومكان .

وينبغي أن نتذكر ونحن نقرأ في كتاب (التاريخ السري للثورة اليمنية) عنوانه السابق (مذكرات اللواء عبد الله جزيلان) فقد كان هذا العنوان ألصق وأقرب الى موضوع الكتاب ، وكان اللواء جزيلان نفسه قد كتبه وأعده ليكون كذلك الجزء الأول من مذكراته لا ليكون تاريخاً فهو ليس مؤرخاً ولا يدعي انه كذلك ، وهو لا يحلل أبعاد الثورة ولا فكرها ولو قد اراد ذلك لكان كتابه مختلفاً . أما هذا الكتاب فهو مذكراته الشخصية وشهادته الأولى التي أحسن باصدارها وكانت فاتحة لمذكرات وشهادات مماثلة ، وقيمتها الكبرى انها جعلت الذين لا يعرفون اللواء جزيلان يقفون على جوانب هامة من حياته ، ويتعرفون كذلك على ظروف نشأته

ودراسته وعلى دوره المتميز في العمل الوطني . وهي شهادة لا بد أن يقف عندها المؤرخ طويلاً . وإذا كانت بعض التفاصيل عن هذه الحياة الحافلة قد لا تغني المؤرخ فإن كثيراً من الوقائع التي وردت ضمن سياق المذكرات الشخصية سوف تهم كل المؤرخين ولانني لست مؤرخاً ولا أدعي انني كذلك فإن صفحات اخرى من كتاب اللواء جزيلان - غير الوقائع التاريخية وغير الاحداث الرهيبة التي امتلأ بها الكتاب - قد شدت اهتمامي واستأثرت بمشاعري ، وهي تلك الصفحات التي تتحدث عن الأسباب المباشرة التي أدت بالثائرين إلى الثورة ودفعت بالمواطنين الى التفكير الجدي بل وإلى العمل الجدي للخلاص من نظام الإمامة الرهيب . النظام الذي زرع الخوف في القلوب ، وسعى طوال خمسين عاماً إلى سحق الإنسان وتدميره بالظلم تارة وبالجوع والاهمال تارات .

وقد وصف اللواء جزيلان شعوره وفجيعته من الوضع الذي تردى اليه الشعب ، ومن قسوة المعاناة اليومية ، مما يشبه الحكم بالابادة الجماعية والانقراض . وكان يتحدث عن رحلة دعي اليها عند افتتاح طريق الحديدة صنعاء . وبين المدينتين البائستين وعلى المسافة القائمة بين صنعاء العاصمة والحديدة الثغر الحزين شاهد من ألوان البؤس وأشكال العذاب ما زاده ايماناً بضرورة الاستعجال بالثورة انقاذاً للبقية الباقية من الشعب. يقول : (وقبل مدينة باجل شاهدت منظراً جعلني أرى الحياة رخيصة في سبيل خدمة بلدي . . أسرة تسير في الطريق المتجه من باجل في اتجاه سوق الخميس . . الشمس حارقة ، والرطوبة عالية والطريق كاد الاسفلت أن يسيح

عليه من شدة الحر ، وتلك الأسرة البائسة تسير عليه حافية . رجل عجوز فوق الستين من العمر ، يكاد أن يكون عارياً إلا من متر من قماش ممزق يستر عورته وقد انحنى جسمه وظهرت تجاعيد الزمن والجوع على وجهه وباقي جسمه أضلع بارزة ، ولحية كثة وجسم حارق من قسوة الطبيعة والحكام وقد حمل على ظهره حصيرة وبعض ادوات الفخار وعصا يتوكأ عليها ، وامرأة عجوز ممزقة الثياب شبه عارية ، حافية القدمين على رأسها قبعة من القش المصنوع محلياً وقد حملت على ظهرها حزماً من قصب الذرة وتقود خلفها بقرة تشارك الأسرة أمراضها وجوعها ، ثم شاب عاري الجسد عدا قطعة من قماش ابيض يستر عورته وجسمه محروق نحيل ، حافي القدمين على رأسه نصف متر من القماش كعمة يلبسها ، وقد حمل هذا المسكين باقي ادوات الاسرة ، وتليه امرأة يظهر انها زوجته ممزقة الثياب صدرها بارز وظهر منه عظام القفص الصدري وكل ما يحتويه الصدر بارز وهي حافية القدمين واضعة قبعة من القش على رأسها وعلى ظهرها طفل رضيع وفي ذراعها الآخر طفل صغير غير قادر على السير ، وكلب يسير خلفهم . . هذا المشهد هزني وكادت عيوني أن تدمع ، وقلت لنفسي ألم تكن هذه الاسرة من البشر ؟؟؟ أليست يمنية مثلنا ؟ . . . ولم تكن هذه الاسرة الوحيدة التي تعاني قسوة الظلم والفقر . . فقد كنت أشاهد في مدينة تعز كلما أزورها أسراً تموت من الجوع في منازلها ، وزملائي وما يعانونه من قسوة الحياة المفروضة عليهم ، وكثير من المشاهد المؤلمة التي ترسبت في نفسي وزادتني ايماناً بالتضحية من اجل هذا الانسان المظلوم المقهور

في هـذه البقعـة من الكـرة الأرضيـة) . التـاريـخ السـري للثـورة اليمنية ، ص ٧٤ .

لاشك أنه كان قد مر أكثر من خمسة عشر عاماً على اللواء جزيلان منذ رأى بعينيه الدامعتين هذا المنظر الـذي كان يتكـرر على طول البلاد وعرضها ، والذي هو النموذج الكامل والواضح للأسرة اليمنيـة في ريف الإمام أحمـد ، وهو ريف لم تكن المـدينة لتفضله أو لتختلف عنه كثيراً . فقد كان كابوس البؤس والفاقة عـاماً ، وكـان العـذاب والضياع قـاسماً مشتـركاً بـين كل اليمنيـين باستثنـاء بعض الأسر المحظوظة وما كان أقلها يومئذ . . أقول انه بالرغم من مـرور كل ذلك فقـد ترسب هـذا المنظر الفـاجع في أعمـاق نفسه وحفـرته المسؤولية في ذاكراته فاستـطاع أن يتذكـره وأن يصفه هـذا الوصف الدقيق وكأنه مشهد ثابت لا يتحرك عن شاشة الذاكرة . .

وهـذه صفحة اخـرى من كتـاب « التـاريـخ السـري للثـورة اليمنيـة » شدني فيهـا هذا الحـوار العجيب الذي يكشف عن تخلف الوعي عند المواطنين قبـل الثورة مبـاشرة ، وهـو السبب الذي مكن لأعداء الثورة من التسلل إلى البلاد واعاقة برامج التطور والاصـلاح ومن وضع اليمن في أتون حرب طاحنـة لا يفيد منهـا سوى التخلف ومحـاولة سحق الشعب اليمني وجعله اكـثر عذابـاً وبؤسـاً . يقـول الحوار وهو مع أحد الفلاحين، وصفة النقيب ليست رتبة عسكرية ولكنهـا صفة أو لقب لبعض أفـراد الأسـر اليمنيـة في بعض المنـاطق الشمالية :

(قال لي النقيب ناجي سرور جزيلان :

ـ يا ولدي أريد أن أهمس في أذنك بسر ، أرجو ألا يذاع .

قلت : تفضل .

قال : لقد قررت قبيلتا حاشد وبكيل قتل الإمام احمد ، وقد اختير المشائخ الذين سيقومون بهذا العمل ، ولكن أصدقك القول اني خائف .

فسألته : ممن انت خائف ؟؟؟

أجاب : يا ابني الإمام احمد مصرف (أي ان الرصاص لا يخترق جسده) .

فأغرقت في الضحك وقلت : لا تصدق هذه الخرافات التي يروج لها الإمام وأذنابه . فالإمام بشر كسائر الناس يجري عليه كما يجري عليهم من صحة ومرض وحياة وموت وحرب وأنت تعرف صدق قولي . . لكنه لم يقتنع بما أقول له من كثرة ترديد هذه الخرافات حتى رسخت في أذهان الناس) . ص ٨١ .

هذا هو الكتاب الأول من الكتب السبتمبرية . ومهما قيل عنه ، ومهما توجهت نحوه من ملاحظات ناقدة ، فإنه يبقى بمثابة البداية التي اقتحمت الصمت ، وفتحت الباب واسعاً لمختلف الكتابات عن ثورة سبتمبر ، كما وضعت القادرين من ضباط الثورة وغيرهم من المشاركين في مسؤولية الاعداد للثورة والإسهام في تفجيرها من أن يقولوا كلمتهم للتاريخ وللزمن ، ودائماً ستبقى الكلمة الأولى والاخيرة في كل ما قيل ويقال للتاريخ وحده فهو مدينة الحقيقة الخالدة وضمير الانسان المكتوب .

- ٢ -

ماذا جرى؟ من يخلف المرحـ ـوم من أتقى وأخشى؟
أو تحسب الجو الكفيـ ـف محى الدجى، أو صار أعشى؟
الـفـتـه غـاشـيـة إلى أخـرى الى أدجى وأغـشـى
فجنـازة (المنصـور) امـ ـس غدت « ليحيى » اليوم عرشا
فـأطـال سبحـتـه وزا د على امتداد الغش غشا
وإذا بعجل « الترك » عا د على الضحايا العزل وحشا
يـردى ويجهـر أو يحـو ك مكـايـداً حمـراً ورقشاً
وعلاه (جـوخ) فـاختفت أظـفـاره وأجـاد بـطـشـا
وعـمـامـة كبـرى تـتـوّ ج رأس طاعون موشى
وتـزيـنـه ، لـلعـاثـريـ ـن كما يزين الدفن نعشا
فيشق للشعب القبـو ر ويستحيل الشعب رفشاً
وضـحـيـة تـردى هـوى جـلادهـا وتمـوت عـطـشـى
ويجـود لـلكـف الـذي يـعـطـيـه تمـزيـقـا ونهشـا
مـاذا يـقـول ؟ أيـرتجـي ؟ مـولاه هـل يعـطيه قـرشـا
لا الجـوع أنـطقـه وان نـم الـذبـول بـه وأفشـى
أتـراه لم يحـمـل فـماً فيبـوح اطـراقـا ورعشـا
ويحس اذرعـه وأرجـ ـله امـام الـريـح قشـا
يهـوي وتبلغ مـا يـريـ ـد ضراعه مسخته كبشا
وجـه كـأقـدم درهـم لم يبق فيـه المسـح نقشـا
سنـوات « يحيى » تـسـتـقـي دمـه ، ويـرجـوه ويخشى

لا أجمل من أن يكون هذا المقطع من قصيدة « حكاية سنين »

للشاعر الكبير الأستاذ عبد الله البردوني مدخلاً طبيعياً وبديعاً إلى القراءة الثانية في كتاب الثورة المفتوح ، والذي ظهر منه حتى الآن صفحات تمثلت في الكتب الثلاثة موضوع هذه القراءة . فالمقطع الشعري الذي يجمع بين دقة التسلسل التاريخي للوقائع وبين الشعر كأجمل ما يكون الشعر ، بين الخيوط التاريخية وتقاطعها مع نسيج حياتنا منذ ظهر الإمام يحيى أو عجل الترك كما يصفه الشاعر الكبير ، وبين ما تستطيع شخصية واحدة ان تفعله في حياة البشر من تدمير وترد وتدهور .

ولكي يظهر الفارق الشاسع الواسع بين وضع اليمن في عهد حفار القبور ، ووضع اليمن المشاهد والمتحقق الآن لا بد من الاشارة الى كلمات قليلة لا تزيد عن نصف سطر قالها صحفي عربي كان قد زار اليمن بعد الثورة بأيام وانقطع عنها ثم زارها منذ عامين ، قلت له : ماذا ترى ؟

فأجابني : أرى مجتمع الأموات يختفي ومجتمع الاحياء يتقدم . وفي هذه الكلمات القليلة الموجزة يكمن المضمون الواقعي التاريخي للثورة ، وتتحدد أبعاد الرحلة الطويلة من الأمس إلى اليوم من الصحراء إلى المدينة ومن المقابر الى الجامعة .

كان حال اليمن قبل الثورة هو حالها في العشرينات والثلاثينات ، وهو نفس حالها في القرن التاسع عشر حزيناً ومفجعاً ويائساً ومليئاً بالمفارقات الرهيبة ، بين الوحوش المفترسة وبين

الحملان الوديعة ، وكما في أفلام الرعب المبالغ بها ، يمر شريط الذكريات في أذهان الاجيال الأكبر سناً ، ويسألني عجوز من الجيل الاكبر سناً وتجربة وهو يستمع إلى الملاحظات الناقدة المشروعة من الجيل الجديد حول بعض التجاوزات العالقة في جبين الثورة كالقذى ، يسأل مستغرباً : لماذا ينتقدون هذه التجاوزات بمثل هذه اللهجة الغاضبة ، هل لأنهم لم يروا بأعينهم ما رأيناه ، ام لأن الموت الجماعي ليس مرعباً كالموت الفردي ؟

رفضت أن أجيب على سؤال الرجل العجوز ربما لأنني لم اجد الاجابة الشافية ، وربما لأنني قد شاطرته جزءاً من الحياة أو بالأصح الموت عصر الموت الجماعي ، ورأيت بعيني رأسي كما رأى هو تماماً في ذلك الحين صورة الشعب الجثة وهو ينتقل من مأساة إلى مأساة ومن ذئب إلى آخر ، وذلك الموت الجماعي هو الذي صنع هذه الحياة الشاملة والخوف من ايامه الرهيبة هو الذي يجعل مجتمع الاحياء يبني حياته الجديدة على أنقاض مجتمع الأموات ، وهو الذي يجعل الانسان في اليمن شديد الحذر والتنبه لكل ما تطرحه الكتابات المختلفة عن الثورة وعن الاتجاه الى توثيق أهم وأبرز المعالم في تاريخها باعتبارها ـ أي الثورة ـ بداية ايقاع التدفق الزمني السريع بعد سنوات الزمن الجامد والايقاع الرتيب .

ولا بد أن تكون مثل هذه الخواطر قد دارت بأذهان كثير من القراء وهم يقلّبون صفحات كتاب (اسرار ووثائق الثورة اليمنية) ولا بد أن يكونوا قد ذهبوا مع الذكريات بعيداً فالذكريات تبقى أبداً ودائماً هي النافذة الخلفية لقراءة كل ما يتعلق بالماضي

القريب والبعيد ، ولعل أهم ما يثيـره الكتاب فضـلاً عن استرجاع الذكريات هو غياب البطولـة الفرديـة ووضوح البـطولة الجماعية . فمنـذ بدأت مـلامـح الثـورة تتشكل وهي جماعيـة حتى العمليات البـطولية التي أتسمت بـالفـداء لم تكن فـرديـة كـما كـانت في بعض الاقـطار العربيـة أو في بعض شعوب العـالم . . وإنمـا هي بـطولات جماعية كما حدث مثلاً في مصرع الإمـام يحيى ، أو في محاولـة اغتيال الإمام احمد في مستشفى الحديدة .

وهذه الظاهرة أو السمة التي طبعت الثـورة بطابعهـا الجماعي تؤكد أن اليمنيين كانوا بالرغم من ظروف القمع والارهاب وبالرغم من ضرورة احاطة العمل الوطني بالسرية والكتمان يحاولون التأكيـد أن التغيير المنشود تعبير عن الأحساس العام وعن الشـعور المشتـرك بضرورة الاطـاحة بنـظام الحكم القديم القـائم على عبـادة الفرد والاستسلام له . وظاهرة الجماعيـة هذه من اهم الميـزات التي امتازت بها ثـورة نشأت في واقع يكاد ينفـرد بجموده المغلق ، وكـما تجلت الـروح فـي القيام بهـا فقد عـادت لكي تـظهـر في الأسـاليب الجماعية كأقوى ما تكون في الأعداد للثورة وفي تسجيل وقائع الثورة والتوثيق لاحداثها المختلفة وكتـاب « اسرار ووثـائق الثورة اليمنيـة » واحد من الكتب التي لم يقم شخص بعينه عـلى اعدادهـا أو تأليفها وإنما أعدّته وكتبته لجنة مكونة من عدة أشخاص يمثلون الرعيل المتبقي من ضباط الثورة.

وقـد ساعـد هذا الاتجـاه الجماعي في تسجيـل وقائـع الثـورة وأحـداثها عـلى تجاوز بعْض الاختـلافات التفصيليـة وتجنب المواقف

السلبية الذاتية . ولا اخفي انني اقتربت من الكتاب قبل الانتهاء من اعداده للطبع، وشهدت جانباً مطولاً من الحوار الذي دار بين الضباط حول بعض الوقائع الشائكة واستمعت الى وجهات نظر مختلفة حول ضرورة ذكر او عدم ذكر سلبيات بعض الذين تقاعسوا أو قصروا لاسباب أو لأخرى عن الاضطلاع بأدوارهم كاملة في الساعات الاولى لقيام الثورة ، وقد كانت هذه الأمور في تقديري - غير ذات اهمية على الاطلاق وذكرها قد يفتح الباب لكثير من الاتهامات والاتهامات المضادة ويتحول التوثيق للحقائق إلى نبش للأحقاد واثارة لضغائن النفوس ، كما أن الأمر لن يتوقف عند الاساءة للاشخاص وإنما سوف يصل إلى الاساءة إلى الثورة نفسها وإلى التشكيك في بعض رموزها .

وقد شاهدت كذلك الجلسة الاخيرة التي تم فيها اختيار الاسماء التي سوف تظهر على غلاف الكتاب من بين المشتركين في اعداد الكتاب وهم اكثر من عشرين ضابطاً . وقد تم الاتفاق على الاسماء التالية :

مقدم احمد الرحومي ، مقدم صالح الاشول ، مقدم ناجي علي الاشول ، مقدم محمد الخاوي ، مقدم عبد الله صبرة ، مقدم عبد الله محسن المؤيد . وفي الطبعة الثانية تمت اضافة بعض الملاحق أو المعلومات المرتبطة بالثورة ، وكان حقها أن تظهر في كتاب مستقل لأنها لا تمثل وجهة نظر الضباط الاحرار وليست جزءاً من وثائقهم أو ادبياتهم وإنما هي جزء مرتبط بالمعلومات الخاصة بالقيادة العربية المصرية التي بدأ اهتمامها بشؤ ون اليمن وأوضاعه

من قبل أيام الثورة بفترة غير قصيرة وربما كان عذر الذين اتبعوا هذه المعلومات بكتاب « اسرار الثورة » انها تعطي صورة كاملة عن مدى استقلالية تنظيم الضباط الأحرار عن القاهرة وعن اية جهة اخرى ، وان معظم المعلومات الواردة عن التنظيم لا تخرج عن نطاق التكهنات ودراسة ظروف اليمن وما يحيط بها من أخطار وما يعصف في صدور ابنائها من أشواق للتغيير ، ولا أدل على بعد هذه المعلومات عن حقيقة التنظيم من الاشارة في التقرير الأول إلى أن الضباط الاحرار سوف يرشحون القاضي محمد عبد الله الشامي نائب صنعاء يومئذ رئيساً للوزراء ، وقد كان حظه الاعتقال ثم المحاكمة وليس رئاسة الوزراء أما بقية التقارير الواردة في هذا الملحق فهي لا تتعلق بالقيام بالثورة أو بالاعداد لها ولكنها تعطي القارىء وجهة نظر عن تتابع الاحداث بعد الثورة وعن كيفية النظر إلى بعض القضايا والى بعض الاشخاص من جانب القيادة المصرية التي اصبحت شريكاً رئيسياً في حماية الثورة وامتلاك زمام المبادرات في توجيه الحقل السياسي والثقافي .

ولأن حجم الثورة وحجم أحداثها أكبر من ان يغني عنه أو يفي به كتاب أو عشرات الكتب فإن احداً لا ينبغي أن يعتبر كتاب « اسرار ووثائق الثورة اليمنية » أو غيره من الكتب موضوع هذه القراءة كافية لرصد ذلك الحدث التاريخي العظيم ومع كل ذلك فيبقى كتاب اسرار ووثائق اهم الكتب التي صدرت حتى الآن عن الثورة وأهميته لا تنبع من هذه الجماعية التي تمثلت في كتابته والاشراف على اعداده وتنقيته من الجوانب السلبية والذاتية ومن

المشاركين انفسهم ، وإنما لأنه يعتبر أحفل هذه الكتب بمجمل الحقائق التي ارتبطت بقيام الثورة منذ التفكير في الاعداد لها إلى تاريخ قيامها ، وهو يوجز بقدر كاف من التفصيل قصة التنظيم الذي ظهر قبل الثورة بما يقرب من العام واستطاع ان يمسك بمختلف الخيوط والمحاولات الرامية إلى القضاء على نظام الامامة في اليمن ، وهنا تجدر الاشارة إلى أن الكتاب لا يروي اسرار أو تفاصيل الحركة الوطنية وإنما يروي بعض تفاصيل عن اسرار تنظيم الضباط الأحرار وإذا تطرق بشكل أو بآخر إلى واقعة أو أخرى مما يرتبط بالحركة الوطنية فإنما لعلاقتها بالتنظيم العسكري ، أما تفاصيل الحركة الوطنية وأدوار الوطنيين مدنيين وعسكريين فلها دراسات وكتب أخرى ، كما تجدر الاشارة هنا كذلك إلى أن الطبعة الثانية من كتاب « أسرار ووثائق الثورة اليمنية » قد اثبتت أن حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز الدراسات والبحوث اليمني ، وهذا قد يوحي للقارىء من قريب أو بعيد أن هذه الطبعة قد أنفق عليها أو قام بنشرها مركز الدراسات والبحوث ، وهو إيحاء باطل ، فمركز الدراسات لم يكن له شرف هذه المهمة وإنما كرم الأخوان الضباط وحسن ظنهم بالمركز جعلاهم يرصدون نصيباً له في حقوق الطبع والنشر يستعين بها في الانفاق على ما سوف يقوم باصداره من دراسات تتناول قضايا الثورة والتوثيق لأحداثها ، ولو كان مركز الدراسات قد تولى اصدار الطبعة الثانية بالملاحق التي أضيفت اليها لكان مسؤولاً أدبياً ومعنوياً عن وضع تحليل يتناول بالدرس والتمحيص تلك المعلومات الواردة في التقارير الملحقة فهي على أهميتها وخطورتها ينقصها التفسير وينقصها

توضيح الاسباب التي من اجلها ارتبطت بكتاب تصدره لجنة من تنظيم الضباط الاحرار عن الثورة ولعل من بين تلك الأسباب محاولة تأكيد استقلالية تنظيم الضباط عن بقية التنظيمات الوطنية ومحاولة إثبات الدور القيادي للمرحوم الشهيد علي عبد المغني ، والتقرير الخاص بالتشكيل الثوري للضباط الاحرار وأهدافه يشير صراحة الى أن عبد المغني هو زعيم الضباط الذين يؤلفون هذا التشكيل ، وأحد هذه التقارير الذي يروي للقيادة السياسية في مصر كيفية قيام الثورة يقول عن الشهيد عبد المغني بالحرف الواحد « وكان هذا الضابط الثائر الجندي المجهول الذي كان وراء تشكيل الضباط الاحرار في الجيش اليمني ، ولم يبخل بجهد أو عرق أو مال في سبيل الاعداد للعمل الثوري ، وبعد أن أتم رسالته وقامت الثورة استمر في نكران ذاته حتى استشهد في سبيل الرسالة التي رواها اخيراً بدمه . .

لقد كان القدر قاسياً في اختيار الشهيد علي عبد المغني إلى جواره ، قبل أن ينعم برؤية ثمرة جهوده وآماله والتي شارك فيها مع بعض زملائه عملاً جليلاً في سبيل وطنه وقوميته ، لقد عاش بطلاً ومات بطلاً رحمه الله رحمة واسعة » .

(اسرار ووثائق الثورة اليمنية : قسم الملاحق ، ص ٢٣٠)

وبعد هذه الملاحظات لا ننسى أن معظم ضباط الثورة - ان لم يكونوا كلهم ليسوا من رجال القلم وإنما هم عسكريون بالدرجة الاولى ، ليسوا مؤرخين وليس ما يكتبونه تاريخاً - كما سبقت الاشارة

إلى ذلك ـ وإنما كانت مهمتهم تسجيل الوقائع كما حدثت ، وكانت هذه المهمة محاولة تجريبية جريئة في حقل الكتابة والاسهام في تسجيل تلك الوقائع بأسلوب يمتاز بالدقة والوضوح وهذا نموذج من ذلك الأسلوب وهو يقدم تصوراً شاملاً لما كانت عليه الأوضاع التي أدت إلى الاحساس بالألم والشعور بالمسؤولية منذ الاجتماع الأول للقاعدة التأسيسية : « وفي هذا الاجتماع كانت قد وضعت اللمسات الاولى للتصورات والطموحات التي يريد تنظيم الضباط الاحرار ان يحققها على كافة المستويات ، وفي كل المجالات ، حيث كانت هموم وآلام وآمال شعبنا تعتمد على طلائعه الوطنية سواء داخل القوات المسلحة أو خارجها ، شاملة كل قطاعات الشعب اليمني من مثقفين وقبائل وعلماء وغيرهم ، وكانت تتركز في ضرورة نسف الواقع المعاش ، وإحداث تغيير جذري شامل لكل البنيان الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في مجتمعنا . ولقد كان النقاش والحوار الدائر يتسم بالموضوعية والفهم الكامل لظروف وواقع مأساة شعبنا ، حيث تناول ذلك الحوار بالتحليل والتقييم جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالإضافة إلى تجسيد كل ذلك في شكل استراتيجية وهدف لتنظيم الضباط الاحرار المزمع قيامه . وكان من ابرز ما تضمن ذلك الحوار تحديد طبيعته وسمات نظام الحكم حيث كان شعبنا في الشطر الشمالي من اليمن يعيش تحت ظل اسوأ حكم لم تعرف البشرية له مثيلاً وعانى شعبنا في ظله الكثير من الاستبداد والعبودية والاذلال والقهر والتخلف ، حيث استخدم نظام الأئمة كل اساليبه الدنيئة في اذلال المواطن وسحق كل

طموحاته في اقامة مجتمع يسوده العدل والرفاهية ، مجتمع قادر على صنع الغد المشرق والمستقبل السعيد لجيلنا ولكل الاجيال القادمة .

إن نظام الأئمة بالإضافة الى سحق طموحات شعبنا استخدم وسائل عديدة لإذكاء التناقضات الاجتماعية المتخلفة التي تساعد على بقاء نظامه واستمرار شكل ذلك النظام ومضمونه وممارساته اللاانسانية حيث يلجأ دائماً إلى تعميق النزعات الاسرية والطائفية والعشائرية والقبلية المتخلفة ، وإلى منح الامتيازات اللامحدودة مادياً ومعنوياً لطبقة من الموظفين الذين استخدمهم على مر الاجيال كأداة مسخرة بيده لقمع احرار البلاد ورجالات الفكر والزج بهم في المعتقلات والسجون الرهيبة . إن نظام الطغيان الامامي قد جعل من رقاب احرار وعلماء شعبنا وخيرة رجاله طعاماً لسيوف جلاديه وأسقى بدمائهم الطاهرة قطع الطغيان الإمامي ، كل ذلك بهدف أن ينعم بخيرات شعبنا ويتلذذ بتغذية ذلك الواقع المتخلف . إلى جانب كابوس الاستعمار البريطاني في الشطر الجنوبي من يمننا الحبيب الذي احتل ارضنا وجعل من عدن قاعدة عسكرية تحمي مصالحه الاقتصادية القائمة على أساس نهب خيرات الشعوب المستعمَرة في منطقة الخليج والهند وأفريقيا والاستزادة من امتصاص خيرات بلادنا كل ذلك يجعلنا نحن الضباط ندرك جسامة مسؤوليتنا ورسالتنا التاريخية تجاه شعبنا الواقع تحت وطأة الاستبداد الامامي شمالاً وكابوس الاستعمار البريطاني جنوباً . ومسؤوليتنا هذه تتطلب منا العمل الصادق والجاد في سبيل تحرير اليمن من كل قيود التخلف والاستبداد في الشمال ورعونة الاستعمار البريطاني ولكي

نتمكن من تحقيق هذه المهمة التاريخية فإنه لا بد لنا من نسف نظام حكم الأئمة في الشمال وتغيير الواقع السياسي والاجتماعي من الشطر الشمالي من بلادنا ، وخلق نظام جمهوري تشارك فيه كل الجماهير اليمنية وبناء مستقبل افضل قائم على اساس علاقات اجتماعية جديدة تنتفي معها كل العلاقات المتخلفة القائمة على أساس الطائفية والسلالية والقبلية وتختفي معها كذلك كل صور الإذلال والقهر الاجتماعي ، وبالتالي لا بد لنا من اعداد وتهيئة المناخ المناسب ، وجعل الشطر الشمالي من بلادنا عمقاً استراتيجياً ونقطة انطلاق لتحرير الأرض اليمنية في الشطر الجنوبي وطرد الاستعمار البريطاني ، والحرص على خلق قيادات وطنية ثورية تقدمية تجسد آمال وطموحات شعبنا اليمني بشطريه في التحرر والوحدة والتقدم والازدهار .

(اسرار ووثائق الثورة اليمنية ص ٥٤)

إن أهم ما في هذه الفقرات التي تشرح بداية التصورات للأوضاع التي كانت قائمة قبل الثورة وكيفية الانقضاض عليها ، اقول ان اهم ما في هذه الفقرات هو الشعور الوطني الوحدوي الذي ينظر إلى المأساة اليمنية في شمال الوطن وجنوبه من منظور الوطن الواحد والمصير المشترك ، وما دمنا بصدد الحديث عن كتاب اسرار ووثائق الثورة فلا بد من اختيار احدى الوثائق الاساسية ولتكن البيان الأول للثورة ، ولا اخفي ان الدافع إلى ذلك الاختيار ما سمعته منذ أيام في مقابلة اذاعية مع احد الزملاء يسمى هذا البيان

بالبيان الثاني ، ويقول انه تم اكتشافه اخيراً أو هكذا فهمت مع أنه منشور في اكثر من كتاب وهو نفسه البيان الأول والأخير وقد تضمن الأهداف الستة للثورة وترتيبها في المجالين الوطني والقومي وفي المجال الدولي ولهذا البيان واعداده بصيغته التاريخية قصة سوف يشرحها كتاب قادم من الكتب التي تتناول قصة ثورة سبتمبر الخالدة . وهذا هو نص البيان كما جاء في كتاب « اسرار ووثائق الثورة اليمنية » ص ١٨١ : (البيان الأول للثورة والاهداف) .

باسم الله وباسم الشعب اليمني الحر المستقل وباسم الجمهورية العربية اليمنية ، تعلن قيادة الثورة اهدافها وسياستها العامة في المجال الداخلي والمجال القومي والمجال الدولي : وأهداف الثورة هي :

١ - القضاء على الحكم الفردي المطلق والقضاء على النفوذ الاجنبي .

٢ - انهاء الحكم الملكي وإقامة حكم جمهوري ديمقراطي اسلامي اساسه العدالة الاجتماعية لدولة تمثل الشعب وتحقق المطالب السياسية العامة للجمهورية العربية اليمنية .

في المجال الداخلي :

١ - إحياء الشريعة الإسلامية الصحيحة بعد أن أماتها الحكام الطغاة الفاسدون وإزالة البغضاء والاحقاد والتفرقة السلالية والمذهبية .

٢ ـ تنظيم جماهير الشعب في تنظيم شعبي موحد يشارك في عملية البناء الثوري ويمكنها من مراقبة أجهزة الدولة مراقبة تامة يمنعها من الانحراف عن اهداف الثورة .

٣ ـ رعاية وتنظيم الجيش على أساس حديث حتى يصبح قوة لحماية الشعب وحماية الثورة.

٤ ـ إحداث ثورة ثقافية وتعليمية تقضي على مخلفات العهود البائدة التي عمقت الجهل والتأخر الفكري .

٥ ـ تحقيق العدالة الاجتماعية عن طريق نظام اجتماعي يتلاءم مع واقع شعبنا ومع روح الشريعة الاسلامية والتقاليد الوطنية الصالحة .

٦ ـ تشجيع عودة المهاجرين إلى الداخل والاستفادة من خبراتهم وأموالهم .

اهداف وسياسة الثورة اليمنية في المجال القومي العربي :

١ ـ الإيمان بالقومية العربية والعمل على تحقيق الوحدة العربية الشاملة في دولة عربية واحدة على أساس شعبي ديمقراطي .

٢ ـ التضامن الكامل مع جميع الدول العربية فيما تتطلبه المصلحة القومية .

٣ ـ العمل على تدعيم الجامعة العربية وزيادة فعالياتها لصالح الأمة العربية .

٤ ـ انشاء علاقات اقتصادية مع جميع الدول العربية بلا استثناء .

٥ ـ ايجاد روابط اوثق مع الدول العربية المتحررة لتحقيق الوحدة العربية .

في المجال الدولي :

١ ـ التزام سياسة عدم الانحياز .

٢ ـ مقاومة الاستعمار والتدخل الاجنبي بجميع اشكاله .

٣ ـ التقيد بميثاق هيئة الأمم المتحدة وتأييد مواقفها من اجل السلام .

٤ ـ اقامة علاقات ودية مع جميع الدول التي تخدم استقلالنا وحريتنا .

٥ ـ قبول الاعانات والقروض الخارجية غير المشروطة والتي لا تمس استقلال البلاد .

(اسرار ووثائق الثورة اليمنية ص ١٨١)

هذا هو البيان الذي سميته هنا البيان الأول والأخير ، لأن البيان الأول الذي سبقت اذاعته اذاعة هذا البيان كان بيان مجلس الثورة نفسها وبأن نظام الإمامة قد اصبح تحت الانقاض ، ولهذا البيان أيضاً قصة ارجو أن تجد طريقها الصحيح إلى الواقع حتى لا يستمر الخلط ويكثر الادعاء .

ملاحظة : كتبت السطور السابقة عن كتاب اسرار ووثائق الثورة وعن البيان الأول للثورة قبل أن تنشر صحيفة ٢٦ سبتمبر في عددها الأول صورة وثائقية للبيان الوحيد للثورة ورداً على ملاحظة الصحيفة أكتفي مؤقتاً بالاشارة إلى حقيقتين هما :

أولاً : إن البيان المنشور ومقدمته بخط الاستاذ محمد عبد الله الفسيل والبقية بخط الاستاذ احمد حسين المروني وان اعداده قد سبق اذاعته بما لا يقل عن عشرين يوماً ، وان الاستاذ الفسيل قد اعاد كتابته مع الأستاذ المروني من الذاكرة لذلك فقد وضحت فيه بعض الكلمات المشطوبة .

ثانياً : أن كتاب اسرار ووثائق الثورة وغيره من الكتب التي اشارت إلى أن هذا البيان هو البيان الأول قد كانت على حق باعتبار انه البيان التاريخي الذي حدد اهداف الثورة وأجمل مواقفها الوطنية والقومية والدولية وهو الذي اعتبرته القوى الموالية والمعادية ـ على السواء ـ تعبيراً مجسداً لاهداف ثورة سبتمبر بعكس البيان الأول الذي اعلن بكلمات قليلة قيام الثورة واعلان الجمهورية .

ـ ٣ ـ

أيتها الجمهورية ، يا بنت الحرية ،
يا أم الحرية المعطاء في العالم ،
أحييك مسبقاً ، في البعيد ،
أريد أن أكرمك ايتها النائية ،
بينما يجدفون على اسمك

ويغمرون بمظاهر التكريم
هؤلاء الذين يطمعون في صلبك
الآن أريد أن أهديك سلامي
بعد فترة يتكاثر المعجبون بك ،
عندما تنتصرين وتجدين العدو معفراً دامياً في الغبار
ذلك لانك ستنتصرين ايتها الجمهورية المجيدة ،
رغم كل الحواجز والعقبات
مثل نابليون جديد ، ولكن نقي
ستسودين على الأرض جمعاً
من لا يستسلم لعذوبة عينيك حيث تأتلق شعلة الحب
ستحطمه يدك العنيفة
حيث يبرق حسام صاعق .
ستنتصرين ويرفعون لك قوس نصر عظيما
ربما وسط مرج من أزهار ، ربما في قعر بحر من دم
في هذا العيد المتألق الفخم احب أن تجديني ولكن هل هذا ممكن
أم سيكون الموت قد حملني إلى سجون القبر العميقة
لئن لم يقدر لي أن أشهد العيد الكبير ،
ايها الاصدقاء فأذكروني ، انا جمهوري ، وجمهوري سأبقى
تحت الأرض مسجى
سترون قبري ، وهنا
ستهتفون عاشت الجمهورية
وسأسمع صوتكم ويهبط السلام على رفات قلبي المزعج

هـذه مقاطـع من قصيدة « الجمهـورية » وكـان قد كتبهـا عام ١٨٤٨ الشـاعر المجـري « بيتوفي شـاندور » المعـروف في بلاده حتى اليـوم بشاعـر الحـريـة والثـورة ، وقـد أغتيـل قبـل أن يتحقق قيـام الجمهورية في بلاده بما يقرب من قرن لكن كلماته قـد ظلت تضيء دروب الجمهورية إلى أن تحققت كما فعل عدد من الشعراء والثوار في بـلادنـا من الـذين أغمض القتـل عيـونهم قبـل أن يشهـدوا عصـر الجمهورية .

يقـول الفيلسوف الانجليزي « بيكون » : (أنـك إذا خـدشت سطح الفلسفـة اصبحت ملحـداً ، أمـا إذا تعمقت فيهـا اصبحت مؤمنـاً) . وفي هذا القـول حكمة مـأثورة لا تصـدق عـلى الفلسفـة وحدها بقـدر ما تصـدق على بقيـة معارف الحيـاة ، وعـلى ضـرورة الاقتـراب منها والتغلغـل الى أعماقهـا وعدم الاكتفـاء بـالنبش عـلى سطحها ، فالنبش في سطح الاشياء تاريخاً كانت تلك الاشياء أو أدباً أو فلسفة أو فكراً أو حتى مادة جامدة لا يؤدي إلى فهم هذه الاشياء وإنما قد يؤدي إلى تشويه صورتها وإلى اشاعة أنصـاف الحقائق عنهـا وأنصاف الحقائق كالحقائق المبتورة تمامـاً عندمـا تشاع تشكـل مأسـاة بالنسبة للحقيقة أولاً وبالنسبة للانسـان ثانيـاً فهي تحميه من المعـرفة الكاملة وتزوده بما يسمى بالجهل المركب ، ذلك الذي قالوا لنـا عنه أنه يختلف اختـلافاً كثيـراً عن الجهـل البسيط ، فـالجهـل الاخـير لا يشكل أدنى ضرر بـالحقائق ولا يضـع أي عائق في طـريق استيعابهـا وعلى العكس من ذلك الجهل المركب الذي يحول معه بعض الحقيقة أو بعض المعرفة عن كامل الحقيقة .

والذين يمتلكون انصاف الحقائق في التاريخ لا يختلفون كثيراً عن اولئك الذين يخدشون سطح الفلسفة كما ذهب إلى ذلك « بيكون » وهم يفرغون التاريخ مما يؤدي إلى التصديق والثقة بالوقائع التي تدخل في نطاق بحثه أو في ضوء الملاحظة فإنه في أية حالة من حالات التوثيق التاريخي لواقعة من الوقائع المهمة يندر الشخص الذي يمتلك الحقيقة كاملة بشأنها ، أو ذلك الذي يرى أبعاد ما حدث من مختلف الزوايا ومن هنا يكون الاهتمام التام بتجميع المعلومات من اكثر من شخص ومحاولة تتبع مختلف الجوانب والزوايا في محاولة جادة للاقتراب ـ مما عسى أن يكون رؤ ية تاريخية قريبة مما حدث ـ رؤ ية لا تقف عند السطح وتكون وسيلة للتصديق والاقناع لا وسيلة ناقصة لاثارة البلبلة وعدم التصديق . والاتجاه العلمي السليم والمتبع في مختلف الجامعات ومراكز الابحاث والتوثيق هو تجميع المعلومات عن واقعة ما من اكثر من مصدر ثم اعادة صياغتها في ضوء الظروف الاجتماعية والسياسية .

والكتاب الذي بين أيدينا وهو ثالث الكتب التي تعرضت لتوثيق ثورة سبتمبر وهو كتاب « ثورة ٢٦ سبتمبر دراسات وشهادات للتاريخ » ينطلق من هذه المسلمة التي ترفض أنصاف الحقائق وترفض الاكتفاء بالنظر إلى أحداث الثورة من زاوية واحدة أو من مجموعة زوايا بعينها مع اغفال زوايا اخرى قد يختفي وراءها ما هو اهم ، وهذا الكتاب هو الجزء الأول من سلسلة كتابات متتابعة عن ثورة سبتمبر كما يرويها المشاركون في تفجيرها والذين اقتربوا منها أو

الـذين حاولـوا تحليل أبعـادهـا ، وقـد رأى القـائمـون بهـذه المهمـة الوثائقية اننا لكي نفهم حقيقة ما حـدث في سبتمبر ، وقبـل سبتمبر وبعـد سبتمبر ينبغي أن نفهـم أولاً العـوامل التي سـاعـدت وهيـأت لظهور ذلـك الحدث العـظيم ، وأن نفهـم ـ ثـانيـاً ـ الـظروف التي احاطت القائمين به والأفكار التي سادت في تلك الفترة ولا يتأتى ذلك إلا من خـلال استطلاع اكبـر قدر من آراء أنشط المعـاصرين وأبـرز المساهمين . وقد حاول هذا الكتاب ان يفعل شيئاً من ذلك في حدود ما توافر له من امكانيات مستفيداً من المناخ الجديد الذي اضاء جانباً من وجـه الحريـة لأنه في غيـاب الحـريـة تختنق الحقـائق ، ويـطيش الصـواب ولا يستطيـع الناس أو غـالبيتهم أن يقولـوا إلا ما يـرضي القـائمين بـالأمـر ، وتكـون العقـول نتيجـة لـذلـك ضحيـة إلا من التفاهات التي تقدمها وسائل الاعـلام المختلفة وتـروج لها الـرغبات الصغيرة .

وإذا كانت الشعوب تعلم جيـداً انه ليس هنـاك حريـة بدون مخاطرة وأن الحـرية ممـارسة وليست احـلاماً وأمنيـات فإن شعبنـا قد ضرب الرقم القيـاسي في المخاطـرة في سبيل اثبـات حقه في الحـرية وممارسة جـوهر الحـرية ، وجـوهر الحـرية في مختلف انحـاء العالم أن يكون الانسان حراً في أن يظهر بكل ما هو عليه ، بكل صـدق دون أن يخاف أو يداري في رأيـه أو أحكامـه ودون أن يجد من يحـول بينه وبين تسجيل مواقفه وآرائه بصورة صادقة كما هي عليه لا كـما تريـد فئة من الناس أو جماعـة من الجمـاعـات ان يكـون ، وقـد كـانت المشكلة ـ كـما اتضحت لي بالنسبـة للتوثيق التـاريخي في بـلادنـا هي

مشكلة الحرية مشكلة القدرة على تجاوز الممنوع او معرفة حدود الممنوع .

ولم يكن صدور بعض الكتب عن ثورة سبتمبر المجيدة علامة من علامات عودة الحرية وحسب وإنما كان كذلك علامة من علامات عودة الحماسة والحيوية والنقاش إلى حياتنا الفاترة ، حيث جمدت العواطف ونامت احاديث الثورة وكأنها ذكريات منسية . ولعل استرجاع الذكريات بما قد يرافقه أحياناً من استرجاع لفورات الغيظ والغضب يجعلنا نشعر بأننا أحياء وبأننا نفكر ، وبأن عواطفنا ما تزال تحتفظ بقدر من الدفء ولم يصبها ما اصاب المدافع والدبابات من الصدأ والتآكل ، وحتى ما يتردد من احاديث الادعاء والتظاهر بالبطولات على ما قد يكون فيها من زيف أو كذب فإنها لا تخلو من تقدير واهتمام بالثورة ومحاولة الالتصاق بها ورفع شعاراتها بعد أن تحولت إلى قيمة كبيرة في الوجدان الوطني العام .

وإذا كان عدد كبير من الأبطال الحقيقيين للثورة وفي مقدمتهم الشهداء سيظلون لفترة على الهامش فذلك لأنهم أكبر من كل كلام وأكبر من كل كتابة ، ومع التسليم بهذا الواقع فإن قصة الثورة لن تكتمل ولا يمكن أن تكتمل إلا بقصة اولئك الشهداء الذين أذكى استشهادهم شعلة المقاومة في النفوس وجعل الاحتراق والفناء في سبيل الثورة عملاً بطولياً خارقاً وخالداً ومن هنا تنبع أهمية الجزء الثالث من هذا الكتاب والذي يعد حالياً للطبع وهو يروي ملامح من حياة ابرز شهداء ثورة سبتمبر وكيفية مصارعهم ومن هؤلاء

الشهداء ، الملازم علي عبد المغني ، والملازم محمد مطهر زيد والملازم صالح الرحبي والملازم محمد الشراعي ، والملازم عبد الرحمن المحبشي والنقيب مثنى المطيري .

وأي حديث عن الجزء الأول من هذا الكتاب والذي ظهر في بداية هذا العام لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار تلك الفقرات الرئيسية في المقدمة والتي تشير بصراحة لا التواء فيها إلى افتقار كثير من الكتابات الصادرة عن ثورة سبتمبر إلى الروح العلمية الرصينة ، وإلى أن الشهادات أو الدراسات التي ضمها هذا الجزء ليست كل الشهادات والدراسات ، وإلى أن الخلافات التي ظهرت في بعض الشهادات أو التناقض في رواية الاحداث لا يخص إلا اصحاب الشهادات انفسهم وهي خلافات وتناقضات تدعو إلى مزيد من البحث والتحقيق وإلى مزيد من المتابعة والتقصي ، وقد يكون في الجزء الثاني وهو امتداد لهذا الجزء ما يجيب على بعض التساؤلات ويضع حداً لبعض الاستفسارات ، وفيما يلي الفقرات الاخيرة من مقدمة كتاب « ثورة ٢٦ سبتمبر دراسات وشهادات للتاريخ » وفيها يتبين الحرص التام والدقة المطلوبة في رصد الحقائق المتعلقة بالثورة :

« وإذا كان لا بد أن ننوه لبعض ما يتعلق بموضوع هذا الكتاب خاصة ، فينبغي أن ننوه إلى أنه على قربنا الزمني الشديد بثورة سبتمبر إلا أنها ـ اي الثورة ـ تظل من اكثر مراحل حركتنا الوطنية افتقاراً للكتابات العلميَّة الرصينة الجادة . هذا على الرغم

ان ما كتب عنها حتى الآن يمكن اكتيـاله بعشـرات الاطنان من ورق « اللف » وغيره ! ولو استثنينا بعض الكتابـات القليلة الجادة حـولها لامكن القول أنها قد تكون سواء بسواء مع حـركة ١٩٥٥ او غيرها من الاحـداث التي لا نعرف عن تـاريخها إلا نـزراً . ومنـذ أن اقام مركز الدراسات ندوته الخاصة بثورة سبتمبر . قبـل اكثر من سنتين ونحن نحـاول القيام بجمـع مـا أمكن من الكتـابـات والـدراسات عنها . وقد تـوصلنا في نهايـة المطاف . وبعـد أن وجدنـا ان اكثرية الكتابات عنها غير صالحة للتوثيق إلى ضرورة نشـر مواد النـدوة التي اقامها المركز حـولها ، مـع بعض الاجابـات التي تفضل البعض من الاخوان المعنيين بها بالرد عليها ، كاستكمال لبعض جـوانب الندوة وامتداد لها .

ونحن لا ننكر أن الاجابات التي حوتها الردود الملحقة بالندوة ليست كاملة بحال . . إذ أن هناك الكثيرين من المشـاركين الأحياء بسبتمبـر لم يسهموا بـالاجابـة عليهـا ، أمـا لأن بعضهم تقـاعس أو بعضهم تردد ، أو بعضهم آثر السكوت المطبق .

وهـذا قد ينـطبق بشكل نسبي حتى عـلى بعض الذين تـولـوا الاجـابة عـلى الاسئلة المـطروحـة لهم وأبقـوا شيئـاً من اجـابتهم في نفوسهم ، لتقديـرات خاصـة بهم لا قدرة لنـا على انتـزاعها منهم ، بـالاضافـة إلى أن البعض قـد حـالت الـظروف من ايصـال الاسئلة اليهم فتغيبوا عن المشاركة . وإذا وجد القارىء أو الدارس أن هناك نـوعاً من الاختـلاف حول قضيـة بذاتهـا من القضايـا المثارة فـذلك

راجع لأكثر من سبب مبرر ، اما إذا وجد نوعاً من التناقض - احياناً - فذلك يخص الاطراف المتناقضة انفسهم ، ولا سبيل إلى دحض هذا الرأي أو ذاك إلا من خلال مزيد من التمعن في استبانة الحقائق مستقبلاً ، وبواسطة مزيد من التحليل والغربلة لهذه الحقائق .

وقد يكون من النافل القول أن كل ما تضمنه الكتاب سواء من الآراء ومن تعليل هذه الآراء لا دخل للمركز به لا من قريب ولا من بعيد ، وهي ملك اصحابها وحدهم فقط . والشيء الوحيد الذي يملكه المركز ازاءها احتفاظه بالأصول المسموعة لها والمكتوبة كما هي من دون زيادة أو نقصان إلا فيما يتصل منها ببعض التغييرات الطفيفة التي اقتضتها عملية الاعداد الفني ، في بعض الاحيان القليلة ، لا غير .

ثورة ٢٦ سبتمبر دراسات وشهادات للتاريخ (١) :

ولعل في نشر هذا الكتاب وفي الدقة المتبعة في اعداده للنشر ثم في قرب ظهور الجزء الثاني منه ، لعل في ذلك كله ما يشجع الصامتين على النطق ويدفع بالمترددين إلى قطع دابر التردد فالوطن هو الباقي والثورة هي وسيلته الى النجاة من عوامل التخلف والقهر ، وامتلاك وقائع الثورة يعني امتلاك أبعادها ويعني الوعي بجذورها الكاملة . ولا يوجد بعد الآن - أي مبرر للصمت أو التردد في تسجيل الوقائع ورصد ما امكن رصده من المعلومات التي

---

(١) المقدمة ، ص ١١ .

ستصبح في متناول المؤرخ المتخصص يغربل تفاصيلها ويحلل جزئياتها شأنها في ذلك شأن كل الوقائع والمعلومات عن الاحداث العظمى في التاريخ التي صنعت التحولات الكبرى في تاريخ الأمم والشعوب .

اشرت في الجزء السابق من هذه القراءة وهو الجزء الخاص بكتاب « اسرار ووثائق الثورة اليمنية » إلى الأهمية الخاصة لذلك الكتاب بسبب الجماعية التي تمثلت في كتابته ، وهذه الاهمية تظهر كذلك في هذا الكتاب الذي نحن بصدد قراءته فهو لا يحمل وجهة نظر واحدة ولا يقدم رؤ ية مفردة للحقائق المتعلقة بقضية الثورة لكنه يستنطق ويستكتب عدداً كبيراً من شهود القضية ويتمكن من رصد أهم الحقائق وأوثقها ، ويتألف الكتاب من أربعة اقسام هي :

أولاً : القسم الأول دراسات ومقالات تتناول قضية الثورة عبر مراحلها التاريخية مع تحليل لأبعاد الهجمة المعادية التي حاولت تحطيم الارادة الوطنية بمختلف الاساليب ، والدراسات والمقالات بأقلام يمنية وعربية وأخرى بأقلام اجنبية .

ثانياً : ندوة وثائقية نوقشت فيها عدة موضوعات تتعلق بقضية الثورة ومنها الموضوع الرئيسي الذي يبحث عن فكرة الاطاحة بنظام الحكم الأمامي، واستبدال النظام الجمهوري به وعن تركيب تنظيم الضباط الاحرار ، وعن تحديد ساعة الصفر والدعم المصري . وقد اشترك فيها عدد من الضباط الذين أسهموا في الاعداد للثورة وفي

القيام بها وكانوا اما اعضاء بارزين في تنظيم الضباط الاحرار أو اعضاء ثانويين .

ثالثاً : شهادات مكتوبة بأقلام عدد من هؤلاء الضباط نضيف بعض الاضاءات وتضيء جوانب بعض الوقائع الكبيرة والصغيرة .

رابعاً : ملاحق اخرى اهمها رسالتان تتحدثان عن الاذاعة والدور الذي قامت به في اليوم الأول من الثورة ، وهو دور جعلها منذ أول لحظة شريكاً اساسياً لمجلس قيادة الثورة له حق الاقتراح والتغيير لما يراه صالحاً لانجاح الثورة .

ويلاحظ أن كتاب « ٢٦ سبتمبر » لم يتوقف ـ كما فعل سلفه ـ كتاب « وثائق وأسرار الثورة اليمنية » عن تقديم الثورة بأقلام المشاركين في الاعداد لها والمشاركين في القيام بها ولكنه ـ أي هذا الكتاب ـ قد وسع من دائرة المشاركين فكتب فيه يمنيون لم يشاركوا في الثورة ، وكتب فيه بعض العرب الذين تابعوا من بعيد قضايا الثورة وحاولوا التعريف بأحداثها ، وليس ذلك وحسب بل لقد فتح الكتاب صفحاته لكي تضم دراسة مطولة هي جزء من كتاب لأحد الباحثين الاجانب وهو كتاب « المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية » لمؤلفه الانجليزي الأصل « ألفرد هاليداي » وقد نقله إلى العربية الدكتور محمد الرميحي رئيس مركز دراسات الجزيرة والخليج في الكويت سابقاً والرئيس الحالي لتحرير مجلة العربي .

وقد روعي من وراء هذا الحشد تقديم رؤية شمولية للثورة

وافساح المجال لبعض الملاحظات الناقدة التي وضحت وبخاصة فيما كتبه هاليداي عن « الثورة والثورة المضادة » باعتباره باحثاً اجنبياً ينطلق من موقف اكثر محايدة وأكثر حرية في تسمية الاشياء في معظم الاحيان بأسمائها وإن كان ذلك قد أوقعه في بعض الاخطاء المتعلقة بالاشخاص وباطلاق الصيغة أو الصفة الناصرية على الثورة دون ادراك منه لما يثيره هذا الاطلاق من حساسية القوى والمنظمات الاخرى ومن بين الاخطاء التي وقع فيها الباحث قوله « وكان البدر يعرف أن معظم معارضيه المباشرين هم من أوساط الجيش فاتخذ اجراءات لضمان ولائهم إذ رفع رواتبهم وعين عبد الله السلال ـ وهو وطني معروف ـ كرئيس لحرسه ، وكان السلال ابن حداد تلقى تدريبه العسكري في العراق مع اول مجموعة من الضباط اليمنيين في العراق عام ١٩٣٤ » وليس في هذه الفقرة ما يمكن أن يكون صحيحاً سوى الاشارة إلى المشير عبد الله السلال وأنه كان وطنياً معروفاً ثم أنه قد تلقى دراسته في العراق مع اول مجموعة من الضباط اليمنيين اما بقية الوقائع والمعلومات فغير صحيحة ، فالبدر لم يعين الزعيم عبد الله السلال رئيساً لحرسه الخاص فور وصوله إلى العرش فقد كان رئيساً للحرس قبل ذلك الوقت كما أن السلال ليس ابن حداد كما يذهب الباحث إلى ذلك تبعاً لما أشاعه اعداء الثورة وكما تناقلته ابواق القوى المعادية ، فالسلال واحد من ابناء اليمن الذين ينتمون إلى أسرة ريفية يمنية ربما كانت في أقدم العصور تحترف تشقيق السيوف وهي من أشرف المهن في التاريخ العربي .

ومن بين الاخطاء الواردة في الدراسة المذكورة أيضاً حديث

الباحث بما يشبه اليقين عما أسماه بالقوة الثالثة في الصراع الذي دار في اوساط الجمهوريين . صحيح أنه وجد ما يسمى بالقوة الثالثة لكنها ليست بحال هذه القوة التي أشار اليها الباحث في حديثه ولم يكن الزبيري على وجه الخصوص ضمن اية قوة تختلف مع الثورة أو الجمهورية وضمن أية قوة تدعو إلى سحب القوات المصرية وما نشر عنه وحوله من هذا القبيل ليس سوى تخرصات حاقدة حاولت تشويه أدواره الوطنية السابقة وإظهار شاعر الثورة ومفكرها البارز في موقف المعارض بل المحارب لما عاش كل حياته ينادي به ويكافح من أجل تحقيقه ، وهذا لا ينفي محاولة الزبيري تكوين تجمع واسع من أنصار السلام الذين يرفضون الحرب كوسيلة دموية وحيدة لتثبيت اعمدة الجمهورية وترسيخ قيم الثورة وكان يحاول بالسلام توطيد ما يرى غيره أن من المستحيل توطيده بغير الحرب ، وهو لم يكن ليستبعد ضرورة اللجوء إلى الحرب ولكن بعد أن يستنفد الوطنيون كل اساليب المنطق والدعوة إلى السلام وهذا جانب مما ذهب اليه الباحث « بدأت القوة الثالثة في التبلور عام ١٩٦٤ ، واستقال من الحكومة الجمهورية في ديسمبر ذلك العام زعيمان سابقان من زعماء اليمنيين الأحرار هما الزبيري ونعمان وقد انشأ الزبيري حزبه الذي ينادي بالتسوية واسمه « حزب الله » وبدأ بعض زعماء القبائل في الجانب الملكي المعارضين للسلطة المطلقة لآل حميد الدين يتحدثون عن « إمامة دستورية » يدعمها مجلس تمثيلي من العلماء والشيوخ . وقد حاولت « القوة الثالثة » استقطاب المجموعتين الرافضتين باستغلال الشعور المعادي للمصريين ،

وباثارة الاسلام وتجميع كل الذين يرفضون استمرار الحرب الاهلية بعد أن رسخوا مراكزهم ورغم أن المصريين تجاهلوا هؤلاء الرافضين في البداية إلا أنهم لم يتمكنوا من الاستمرار في تجاهلهم عندما نظمت القوة الثالثة مؤتمراً في عمران في مارس ١٩٦٥ حضره العديد من زعماء القبائل الجمهوريين ، والذي دعا إلى انسحاب مصر . وتم بعد ذلك بقليل اغتيال الزبيري » .

المصدر السابق ص ٨٧

يبدو في هذه الفقرة من الاخطاء ما لا يحتمل فالقوة الثالثة أو ما يسمى بهذا الاسم لم تظهر في حياة الاستاذ الزبيري رحمه الله ، ولم تظهر وتأخذ هذا الاسم إلا بعد فترة من اغتياله ولم يصل الأمر بالقوة الثالثة إلى حد ما ذهب اليه الباحث بأنها قد دعت الى امامة دستورية ولكنها كما هو معروف كانت تدعو إلى دولة اسلامية لا جمهورية ولا ملكية وهو الأمر الذي ما كان الزبيري وغيره من الوطنين الذين دخلوا صفوف المعارضة ليقبل بذلك الحل الاسباني السقيم مهما كانت الظروف والأحوال فقد كانت الثورة والجمهورية قدراً ومصيراً لكل اليمنين وكانت بالنسبة للزبيري قضية حياة أو موت لا يمكن المساومة عليها أو التفكير في الانتقاص منها .

كما أن عقد مؤتمر عمران قد تم في عام ١٩٦٣ ولم يعقد في عام ٦٥ ، ومؤتمر عمران لم يطالب بانسحاب مصر من اليمن وقد تم عقده برعاية قائد القوات العربية المصرية في عمران ومقررات المؤتمر ووثائقه مشهورة ، ومنشورة ، وقد كان ذلك المؤتمر كغيره من

المحاولات الرامية إلى استقطاب المغرر بهم ومحاولة لفتح الحوار مع المواطنين الذين قامت الثورة من اجلهم والذين اصبحوا اداة عمياء في أيدي القوى المعادية للثورة ولعبة في قبضة الدعايات المضللة والاشاعات الحاقدة على النظام الجمهوري الجديد .

وفي هذه الدراسة - وهي نموذج من الدراسات الأجنبية - التي تم وضعها في الكتاب موضوع القراءة بقصد وتعمد فيها الكثير جداً من الاخطاء التاريخية ومن الأحكام العشوائية إلا أن ادراجها ضمن بقية مواد الكتاب يعطي القارىء صورة عن المحاولة المبذولة للخروج من إطار التعصب لوجهة النظر الواحدة والرأي الواحد مهما كان نصيبه من الصحة ولن تكون الكتابة منطقية وموضوعية إلا إذا راعى صاحبها الأخذ بعين الاعتبار وجهات النظر الاخرى ووضعها جنباً إلى جنب مع وجهة نظره ، والباحث الرصين والقارىء الذكي كلاهما قادر على معرفة الصواب من الخطأ ، وقادر كذلك على فهم الأسباب التي خلقت هذا القدر من التناقض في مستوى الكتاب وفي مستوى الكتابات وفي صفوف الكتاب ولأن التاريخ أو تجميع أحداثه ووقائعه امانة عظمى على عاتق القادرين فينبغي أن يقدر الكتاب وشهود الأحداث التاريخية هذه الامانة حق قدرها حتى لا يختلط الحق بالباطل وحتى لا يفقد التاريخ ما تبقى له في نفوس بعض البشر من تقدير واحترام .

عبد الناصر وثورة يوليو ..
في وثائق الشهيد الزبيري

عشـرة أعوام خلت منـذ ودعت اليمن شـاعـرهـا الأكبـر أبـا الاحرار الاستاذ محمد محمود الزبيري . وكل عام يمر من بعد الوداع يؤكـد جسامـة الخسارة التي منيت بهـا بلادنـا بالـرحيل المبكـر وغير المتوقع لذلك الشاعر الرائد صلابة ونقاء .

وكلما ابتعـدت بعام الـرحيـل السنـوات ، اقتـربت شخصيـة الـزبيري من مـركـز الضـوء وزادت وضـوحـاً وتـوهجـاً في وجـدان مواطنيه ، وزادت به الاجيال الطالعة من الشبـاب تعلقاً واعجـاباً ، فالحياة التراجيدية العنيفة التي بدأت بالسجن ، وتوسطت بـالمنفى ، وانتهت بالاستشهاد ، ثم هذا الشعر الخالد الـذي ينضح بـالوطنيـة وبـاحـزان الغـربـة كـل ذلـك يجعـل من الـزبيـري شخصيـة شبـه اسطورية ، علينا باستمرار أن نربطها بالواقـع الذي ارتبـطت به من قبل ، مع متابعة نشر آثاره العديدة ، وفيها الكثير مما لم ينشر ، مـع تـوظيفها لصـالح الجمـاهير التي احبهـا وعاش ومـات من أجلهـا ، فـالكتـاب والشعـراء العـظام ـ أمثـال الـزبيـري ـ ملك شعـوبهم ، وآثارهم الادبية والفكرية والفنية ـ بما فيهـا من ايجابيـات وسلبيات ـ

ملك لهـذه الشعـوب ، تقلب فيهـا من حـين إلى آخـر لتـرى بعـين البصيرة كيف كانت ، وكيف صارت ، وإلى أين تسير .

ومنذ أيام وقفت في انبهار أقلب صفحات هذه الوثائق ـ وهي بخط الـزبيري نفسـه ـ وقد حصـل عليهـا الأديب الشـاب ابـراهيم المقحفي بطريقته الصحفية الخاصة ـ وتأكد لي أن هذه الوثائق ليست سوى صفحات قليلة من مخطوطات كثيرة وهامـة لم تجد طـريقها إلى النشر بعد . وإذا كان القليل منهـا ـ القليل فقط ـ قـد عرف طـريقه إلى النشـر فإنمـا كان ذلـك في أضيق الحدود ، وفي وقت كـانت فيـه الكلمـة مطاردة ، وعـدد القـراء في اليمن لا يـزيـدون عن أصـابـع اليدين .

ويمكن تقسيم هذه الوثائق إلى ثلاث مجموعات هي :

أولاً : المجموعة الأولى وتسجـل الموقف المبـدئي للزبيري من ثورة ٢٣ يوليـو وقائـدها الـزعيم الراحـل جمال عبـد الناصـر ، وهو الموقف المبدئي الذي لم يتغير إلى وفاة الزبيري .

ثـانياً : أمـا المجموعـة الثانيـة فهي عن موقف الـزبيـري من القضايا القومية المصيـرية ، وفي مقـدمتها قضيـة فلسطين ، وقضيـة الوحدة العربية ، ثم موقفه من عملاء الاستعمار وأذناب الغرب .

ثـالثاً : والمجمـوعة الثـالثة ، وهي عن مـوقف الـزبيـري من قضية الدعم العربي المصري لثـورة ٢٦ سبتمبر ، وعن تقـديره غير المحدود لذلك الدعم الأخـوي النابـع من صميم المسؤولية القـومية

والوطنية ، وعن ايمانه العميق بوحدة المصير العربي ، وبالكفاح المشترك في سبيل القضاء على الاستعمار والرجعية والتخلف .

وبالرغم من اقتناعي الكامل من أن هذه الوثائق سوف تتحدث عن نفسها وتفصح عن المواقف التي صدرت عنها ، إلا أنني استميح القارىء عذراً بأن ارافقه إليها ، وأن أضع يده على بعض السطور التي قد تؤدي القراءة العابرة إلى اغفالها أو عدم ادراكها الإدراك الكافي .

المجموعة الأولى

تتألف المجموعة الأولى في هذه الوثائق من قصيدتين وحديث سياسي وقد سبق نشر القصيدتين على نطاق ضيق في كتيب صغير من تلك الكتيبات التي كان الاتحاد اليمني في عهده الأول يوالي اصدارها ضمن ادبياته الوطنية والسياسية . وكان الزبيري كما هو معروف قد عاد من منفاه البعيد في الباكستان ليقيم في وطنه الثاني مصر ، وذلك بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو وإعلان النظام الجمهوري . ولعل أول حدث شهده بعينيه كان خروج آخر جندي بريطاني عن مصر العربية بعد سبعين عاماً من الاحتلال ، فكان ذلك كافياً لتنفعل روحه الشاعرة ويكتب قصيدة « الجلاء » تعبيراً عن فرحته بهذا الانجاز القومي ، ومشاركة وجدانية منه باسم شعب اليمن لما ناله اشقاؤه في مصر من انتصار كان فاتحة لانتصارات عربية وانسانية لم تشهد لها المنطقة مثيلاً .

ومن السهل على قارىء القصيدة أن يتبين أن الزبيري الذي كان يهنىء اشقاءه بقطع آخر شوط على طريق الاستقلال قد كان يضغط على بعض الكلمات ويكتب بعض صور القصيدة وهو يرى بقلبه شطراً من بلاده يرزح تحت وطأة الاحتلال البريطاني ، وشطراً آخر يئن في سجون الإمام :

أيها الثائرون في مصر ثوروا كل يوم وعلمونا الفداء

قد قبستم في الصخر روحاً وفي الثلج سعيراً وفي القبور ضياء

حطموا كل صخرة في طريق الشعب فالشعب لا يطيق التواء

قد صنعتم للصقر ريشاً فلن يسكن سجناً ولن يرى السجناء

وقد حتم له شعاعاً فلن يروي صداه حتى يعب الضياء

سوف نمحو الاصنام حيث وجدناها ، ونلغي وجودها الغاء

سوف لا نخفض الرؤوس من الذل ، ولا نذرف الدموع بكاء

سوف لا نستجدي حقوقاً ، ولا نشكو سياطاً ولا نداري داء

اننا نأخذ الحقوق ولا نقبلها ، منحة ، ولا استجداء

سوف لا نرتضي سوى الشعب حكاماً ودستوره العتيد قضاء

سوف لا تأخذ الخيانة إلا ، هملاً من صفوفنا أو غشاء

والقصيدة الثانية بعنوان « صفقة الاسلحة » وقد كتبها الشاعر عندما أقدمت مصر بقيادة عبد الناصر على الخروج من التبعية الاجنبية وكسر احتكار السلاح معلنة بذلك بداية التعاون مع المنظومة الاشتراكية . وقد أضيئت القصيدة بمقدمة نثرية قصيرة جاء فيها :

(كانت صفقة الاسلحة وثبة من وثبات مصر المتحررة المستقلة وعاملاً هاماً في تغيير مجرى السياسة في الشرق والغرب) .
والقيمة الموضوعية للقصيدة تنبع من الظروف التي قيلت فيها ، فقد كانت الرجعية العربية حينذاك تقيم الدنيا وتقعدها في وجه الصفقة ، وكانت ترى في التعاون مع الاتحاد السوفييتي والمنظومة الاشتراكية كفراً وخروجاً على الدين والعروبة ، لكن الزبيري الثائر لم يكن يرى في ذلك الاتجاه الجسور الا عزة للعرب وقوة للثورة العربية ، والاحرار العرب . بل هو لا يتردد أن يقول :

ما علينا بأس إذا ما فرشنا في طريق المصفحات الخدودا

يا سلاحا بالأمس كنت القيودا
انت حررتنا وكنا العبيدا

كنت انت الرجاء في انفس الاحرا
رِنا ، وكنت انت النشيدا

كم سمعنا الاغلال وهي تناجيـ
ـنا بأن الحديد يفري الحديدا

كم بعثنا اليك من ثورة شعوا
ءَ وخضنا هولا وبأساً شديداً

كم طلبناك خلف كل شهيد
غير انا كنا نراك شهيداً

انها ثورة الشعوب أثارت
في « جمال » فتى جريئاً عنيداً

جمعت عزمها الملايين في زنديه يسطو بها قويا جليدا

فمضى في رفاقه يحطم القيد ويرمي على الحديد الحديدا
ويدك الاصنام حتى أخاف الناس أن لا يروا لهم معبودا

أما الحديث السياسي في هذه المجموعة فقد القاه الزبيري من صوت العرب بمناسبة مرور ثلاث سنوات على ثورة يوليو . وبعواطف الشاعر وبحساسيته الصادقة عبر الزبيري فيه عن احلامه في الثورة الأم ، وفي عبد الناصر القائد الجندي . الفقير ابن الريف . وخريج مجتمع البؤس والألم . . القادم بقامته الفارعة وبشرته السمراء من اعماق القرية المصرية الكادحة ، لا من قصور الملوك ولا من صالونات البشوات ، انه جمال عبد الناصر .

« لقد كان جندياً كسائر الجنود ولكنه كان يحمل في جوانحه ايماناً وشجاعة ونكراناً للذات فقامر هو وزملاؤه الابرار بحياتهم ووضعوا رؤوسهم في أيديهم ووقفوا في وجه الطاغية ، فإذا هو قليل ذليل ، تلاشت كبرياؤه وألوهيته وغطرسته ازاء الرجال المؤمنين الاحرار الذين وضعوا خطتهم على اساس الموت أو النصر » .

المجموعة الثانية

المجموعة الثانية من هذه الوثائق الفكرية والأدبية ، هي التي تحدد موقع الزبيري وموقفه الوطني من قضايا أمته القومية والمصيرية ، كقضية فلسطين ، وقضايا التحرر ، والوقوف في وجه الاذناب والعملاء المتاجرين بكرامة الشعب العربي وآماله وأمانيه في التحرر الوطني والانعتاق من قيود السيطرة والنفوذ الاستعماري

باشكاله القديم منها والجديد . وتشتمل هـذه المجموعـة على ثـلاثة احاديث سياسية اذيع احدها من صوت العرب ولم يذع الآخران ولم ينشرا كذلك لأسباب لم يذكرها الشاعر الراحل وإنما اكتفى بالتأشير عليها بقلمه « لم تذع بعد » . وأول هـذه الأحاديث هـو عن مأسـاة فلسـطين ، وفيـه يقـول : « **ان لغـة الكفـاح هي التي ستنقـل إلى شعوب العالم** خبـر المأسـاة العربيـة في فلسطين ، أمـا لغـة الجـدال والمناقشات فإنها أصبحت اليوم من اللغـات الميتة التي لا يتفـاهم بها إلا سكان القبور » .

هذا ما قاله الزبيري منذ عشرين عاماً أو يزيد ، أليس هذا ما حدث ؟ فالكفاح المسلح هو الذي أخرج القضية من أدراج المكاتب وأعمـدة الصحف الى شـوارع العـالم . وقـد ذكـرني حـديثـه هـذا بقصيدته الشهيرة « في سبيل **فلسـطين** » التي يرجـع تاريخهـا إلى عام **١٩٣٩** عنـدما راح يحـذر الأمة العـربية من المصـير الفـاجـع الـذي يتربص بجزء عزيز منها ، وقد حدث !!

والحـديث الثـاني في هـذه المجمـوعـة وهـو عن « نمـوذج من العمـلاء العرب » يتحـدث فيه الـزبيري عن عميـل شهـير من بـين قائمة العملاء البارزين الذين كانوا يملأون الساحة العربية ويسيرون بها نحو الاحتلال والاحلاف المشبوهة ، وليس ذلك العميل الشهـير سوى المرحـوم « نوري السعيـد » ! . وقد اختـاره الزبيـري كنموذج صارخ لما كان شائعاً حينذاك من حكـام أو من آلات صماء عـلى حد تعبير الزبيري نفسه : « **وما ظنك بآلـة تتناولها يد استعمارية عالمية عاتية وتعتمد عليها في ضـرب الشعوب وطعنهـا وجلدها وتـذبيحها**

وتمزيقها . وما ظنك بآلة يعتمد عليها في قتل قومها وتدمير وطنها ، وادخال المناحة إلى كل بيت ، وجر الكوارث والآلام والأهوال على الملايين من أبناء الأمة العربية » .

وفي ثالث أحاديث هذه المجموعة ينتصر الزبيري العربي لسوريا العربية محرضاً كل العرب على تركيا التي قبل حكامها العملاء أن يكونوا آلات لتنفيذ المؤامرات والمخططات الاستعمارية ضد جارتهم الصغيرة لضرب التحرك الوطني في دمشق وخنق تطلعاتها العربية والتقدمية . وجرها إلى الدخول في حلف بغداد المشبوه ، وفي هذا الحديث يتجلى الوعي العربي المتقدم عند الزبيري باعتباره واحداً من الاحرار العرب الذين أسهموا في بلورة هذا التيار مع قادة ثورة يوليو وفي طليعتهم المناضل العربي البارز جمال عبد الناصر ، كما يكشف الحديث ـ أيضاً ـ عن كراهية الزبيري للاحلاف ونقاء توجهه الوطني .

المجموعة الثالثة

قبل ثورة سبتمبر بأربعة أعوام ـ تقريباً ـ ذهب الإمام احمد إلى روما للفرجة فتبعته إلى هناك قصيدة الزبيري التي يقارن فيها بينه وبين نيرون ، والتي يدعوه فيها إلى زيارة زميله الطريد « فاروق » وكان يومئذ نزيل ايطاليا . وفي القصيدة البيت التالي عن فاروق :

دفنته في أرض نيرون حيا ثورة ناصرية عبقريه

والـزبيري هنـا لا يتحدث عن الماضي بـل هـو يعلن نبوءته الشاعرة عن المستقبـل مهدداً الامـام بطريقـة غير مبـاشرة بـأن ثورة ناصرية عبقريـة أخرى سـوف تعصف به وتتبعـه حيا أو ميتـاً بزميله الطريد فاروق .

أسـوق هذه الملاحـظات العـابـرة كمقـدمـة لخـواطـري عن المجمـوعة الثـالثة في هـذه الوثـائق الأدبية الفكـرية ، والتي تسجـل موقف الزبيري من الدعم العربي المصري لثورة السادس والعشـرين من سبتمبـر ، فقد كـان الزبيـري ـ وظل أيضـاً ـ شديـد الاعجـاب بجمال عبد الناصر ، كبير الأمل في مساندته لأية محـاولة للتغيـير قد تحدث في اليمن . . اليمن القبلي ، المتخلف ، البائس . أما ما جاء في ديوانه « ثورة الشعر » من أنه . . يضرع إلى الله أن يثبت سيـاسة الجمهـورية العـربية المتحـدة على الابتعـاد عن التدخـل الثـوري في الشؤون الـداخلية لليمن حتى لا تهزها العـاطفة في يـوم من الأيام فتتصدى في يوم من الأيام للقيام بعمل ثوري ضـد الرجعيـة اليمنية نيـابة عن الشعب ، لأن ذلـك يعني أن يـدمـغ الشعب بـوصمـة في جبينـه إلى الأبد . أمـا هـذا الكـلام الـذي يقصـد منـه التحـريض والاستفزاز فلا يخرج عن كونه استثاره للمشاعر الوطنية ولا يشذ عن الخط الفكري للزبيري في كثير من كتاباته وأشعـاره وأحاديثـه ، وما تزال اصداء بعضها تتردد إلى الآن ، كقوله « هـل تنتظرون أن تثـور الدنيا بدلاً عنكم . . ان المهاجر قد تمطر ذهباً وفضة ولكنها لا تمـطر ثورات » وهو يزيد هذا المعنى وضوحاً حين يقول : « **إن الله سبحانه خـالق الشعوب وخـالق الطغـاة معاً ، قـد فرض عـلى النـاس حتى**

الانبياء منهم أن يناضلوا حتى الموت في سبيل مبادئهم ، فكيف يجوز أن يظل شغل اليمنيين الشاغل هو التطلع إلى ثورة تمنحها لهم وتصدرها الجمهورية العربية ؟ . . » وهو سؤال معقول ينطلق من قلب يحب صنعاء وعدن كما كان يحب القاهرة ، ويخرج على لسان ثائر يريد لليمنيين أن يثبتوا وجودهم أولاً ثم يتطلعوا بعد ذلك - نتيجة لظروفهم الجغرافية والسياسية - إلى السند الأخوي . وهذا ما حدث فعلاً وما تكشف عن بعض منه هذه الوثائق الثلاث التالية ، وأولاها هذا الخطاب المرتجل الذي استقبل به الزبيري جمال عبد الناصر في صنعاء وألقاه بين جموع الشعب المحتشد في ميدان التحرير كان ذلك قبل وفاة الزبيري بعام واحد ليس غير . تقول بعض فقرات الخطاب : « **أيها المواطنون الاحرار . هذا عيدكم ، هذا زعيمكم ، هذه ثورتكم هذه قيادتكم :**

هذه روحه وهذي جنوده
فليحاذره من بشرٍ يريده

نعم ، هذه روحه ، الروح التاريخية ، الروح المتحدرة من السماء الينا جميعاً ، روح انحدرت من السماء وأثرت في حياتنا منذ القدم ، منذ جذور ثورتنا الأولى : ثورتنا في اليمن ، وثورتنا في الجمهورية العربية المتحدة . . . إن هذه الروح انحدرت الينا من السماء فحركت أجدادنا وآباءنا الأولين ، حركتهم إلى المثل العليا ، وأثرت في خلايا حياتنا الفكرية ، وفي ضمائر الاحداث ، وفي مطامح المجد . وأثرت على كل شيء في الأرض العربية ، وتبارت وتفاعلت مع الزمن فكانت انساناً ثائراً رائداً مخلصاً ، كانت جمال

عبد الناصر) أن هذا الخطاب القصيدة ، يكشف بوضوح أن الزبيري الشاعر لم يكن معجباً بعبد الناصر فحسب ، بل كان مدلها. ومغرماً بنضاله وبطموحاته العظيمة . بل كان مفاخراً به . وما كان الزبيري في يوم من الأيام سياسياً محترفاً أو طامعاً في جاه أو منصب حتى ينافق عبد الناصر ويتزلفه ويبدي ما لا يبطن وقد يلاحظ البعض تركيز الزبيري في الخطاب ، وفي كثير من كتاباته بعد الثورة على الدين ، ومن يتذكر المتاعب التي أثارتها الرجعية في وجه النظام الجديد وتسترها وراء الدين يدرك سبب ذلك . ومن يراجع أيضاً خطابات الرئيس عبد الناصر في اليمن ومنها الخطاب الهام الذي القاه في القيادة العربية في حشد من رجال الدين والمشايخ يرى التقارب في موقف عبد الناصر والزبيري من قضية التركيز على الجانب المتطور والمتقدم في الدين . فالإسلام أولاً وأخيراً ، كان ثورة للحرية وللفقراء .

وعندما اختير الزبيري عضواً للمكتب السياسي وطلب منه زملاؤه الاعضاء أن يتحدث إلى الشعب في بيان باسمهم جاء في ذلك البيان عن دور مصر ما يلي :

« . . ولقد ظن الظانون الواهمون في الخارج ما هو أعجب من ذلك أيها المواطنون . ظنوا متأثرين بالدعاية المعادية بأن اخواننا العرب يريدون أن يحكموا اليمنيين ويستبدوا بهم ويغتصبوا حقوقهم ، وهذا ظن باطل . . وهم ظالم ، فاخواننا العرب جاءوا لمساعدتنا وصيانة حقوقنا وكرامتنا وبذلوا من التضحيات ما لا يجهله إلا من ينكر الجميل ويتجاهل رؤية الشمس » ! .

وفي قـرارات مؤتمر عمـران ، وهو المؤتمـر الذي أفـادت منه الرجعية المحليـة ـ دون شك ـ وذلـك بعد غيـاب الزبيـري ، المؤتمر الـذي لم يكن يقصد من ورائـه ـ كما يقـول الـزميـل الكـاتب عمر الجاوي ـ إلا أن يعتمد اليمنيون على أنفسهم في حمـاية جمهـوريتهم ـ أقـول أنه في قـرارات هذا المؤتمـر تسجل المـادة السابعـة « أن **شعبنا اليمني الوفي الذي يستفزه العدوان البريطاني الس . . ؟؟ لينظر في اعجـاب واكبار الى مـوقف الجمهوريـة العربيـة المتحدة من ثـورته ووقوفها إلى جانبه والدفاع عن حدوده وبذلها التضحيات الغالية في سبيـل حريتـه ونهضته . وهـو يعاهـد الله لهذا الـدم العـربي الغـالي وسوف يربط مصيره بمصير هذا الشعب العربي الشقيق** » .

قد يقال أن الزبيري لم يكن سياسياً ناجحاً ولكنه كان شـاعراً ثورياً وطنيـاً على قـدر كبير من الاستقـامة النفسيـة والخلقية يعتـرف بذلك خصومه قبل اصدقائه ، وربمـا كان عبـد النـاصـر لا يحترم من الـوطنيين اليمنيـين الذين عـرفهم أحداً كـما يحترم الـزبيـري . لكن متابعة لتصرفات الـزبيري المثـالية جعلتـه يرى أن الـزبيري الشـاعر الــطيب القلب لا يمكن أن يلعب دوراً قيـاديــاً رئيسيــاً . ولم يكن الزبيري المتصـوف يطمـح إلى مثل ذلـك ، ومن هنا أدرك البعض ـ خـطأ ـ أن جفوة مـا قد قـامت بين الـرجلين العـظيمـين ، وتكـاثـر الصيـادون المشبوهـون ليصيدوا في الميـاه العكـرة ومـا يـزالـون حتى الآن .

وخـلاصة القـول أن الزبيـري قد كـان ـ من خلال كتـابـاته

وأشعاره ومواقفه - أقرب زملائه الأحرار إلى فكر ثورة ٢٣ يوليو الناصرية ، وان يكن قد اختلف معها أخيراً على ساحة التطبيق فإنما اختلف مع جهازها البيروقراطي المباحثي البغيض . وهو الجهاز البشع الذي حاول أن يحفر لثورة يوليو قبراً واسعاً في جبال اليمن بمعاداته لكل جديد ، وخنقه لصوت كل معارضة صادقة . ولم يختلف هذا الجهاز البغيض مع الزبيري وحده بل مع كل العناصر الشريفة المستقلة والحزبية . وقد دفع الارهاب ببعض هذه العناصر الحزبية إلى الارتداد كما دفع بعضها الآخر إلى السلبية والانطواء بعيداً عن أي عمل سياسي في ظروف كانت فيه اليمن أحوج ما تكون إلى كل جهود أبنائها وبخاصة بعد رحيل الليل الطويل من الكبت والتخلف السياسي والاجتماعي .

وإذا كانت الرجعية الجمهورية - إذا صح أنها كذلك - قد حاولت أن تفيد من مواقف الزبيري الاخيرة فانمسؤولية ذلك تقع على عاتق القوى الجديدة التي توهمت - حينئذ - أنها قادرة على القفز من فوق الواقع والاستغناء عن كل الوجوه التقليدية حتى عن أكثر هذه الوجوه التقليدية اشراقاً ونقاء . . عن الزبيري .

الفصل الخامس

ملاحظات ... وتعقيبات

الحديث عن « سبتمبر » كالحديث عن (الحب والجمال) لا تمله الأفواه ولا تزهد فيه الاقلام ، لأنه صوت القلب وصدى الوجدان . وكنت أظن أن لقاء ثلاثة اسابيع مع القارىء في رحاب سبتمبر تكفي لاسترجاع بعض أصداء ذلك الحدث العظيم في إطار الذكرى العشرينية وفي حضور المعاني الكبيرة والمعطيات الجليلة ، تلك التي تعيش معنا وتكبر مع الأيام وتحاول جاهدة تجاوز واقع القحط العربي وظروف النكوص القومى العام .

وبالرغم من حبي العميق للكتابة وكونها ـ بالنسبة لي ـ نوعاً من الماء والغذاء ، إلا أن لي مع الكتابة عن سبتمبر موقفين متميزين الموقف الأول حبيب إلى نفسي وقريب من مشاعري وهو الحديث عن الثورة في إطارها الوطني الشامل كحركة تغيير خرجت باليمنيين من عصر « اهل الكهف » إلى عصر « حضارة القرن العشرين » وجسدت الانتماء الحقيقي لابناء هذا الشعب لعصرهم وليس لأي من العصور السالفة .

أما الموقف الثاني فهو ذلك الجانب الشائك والمتعلق بتاريخ الثورة ورصد أدوار القائمين بها بما يستلزمه من تحري الحقيقة بدقة ومن ابتعاد عن الاهواء والمبالغات ، ومن ضرورة التقدير للبطولة ووضعها في مكانها الانساني البعيد عن الخوارق ومن تحديد للضعف ووضعه كذلك في مكانه الانساني كي لا يتحول التاريخ للثورة إلى حديث عن ملائكة وشياطين أو إلى حديث عن عمالقة وحشرات .

إن الحديث عن الموقف الاخير من مواقف الكتابة عن الثورة وما يقتضيه من تصنيف مواقف الثائرين ، وما يمتلىء به ميدانها المزدحم من متوازيات ومنفرجات ومن خطوط مستقيمة ودائرية ، ومن أشكال متنوعة تصف الواقع الانساني في تفاصيله الغنيّة بالتناقض والتنافر . كل ذلك يجعلني شديد النفور من هذا النوع من الكتابة مفضلاً عليها الكتابة عن الموقف الأول الذي يتناول الثورة ذاتها باعتبارها اعظم انجاز تاريخي استهدف تحريك حالة الجمود الناتجة عن الغياب الكامل للشعب وبدون ذلك الانجاز العظيم ما كان لليمن أن تطأ قدمه العارية عتبة العصر الحديث ولا ان يستعر في صدور ابنائه كل هذا القدر من اشواق الحرية وأحلام الرحيل صوب المستقبل .

وإذا كان الحديث عن تاريخ الثورة يثير في نفسي كل هذا القدر من التردد فانه يصل الى حد النفور عندما يقتضي الأمر ان يكون الكاتب طرفاً في بعض الاحداث المتعلقة أو المرتبطة بالثورة من قريب أو بعيد ، وحينئذ لا يصبح الأمر أمر تاريخ او كتابة تاريخ

وحسب وإنما يصبح قضية شهادة . ويتصل بهذا الأمر الخطير غياب التوثيق ونشأة العمل السياسي في جو من الارهاب والاستبداد لم تشهد له الانسانية مثيلاً في عصورها المختلفة ، وحين بدأ المواطن في اليمن يتنسم عبير الحرية في عهد الثورة كان لا بد أن يمضي وقت طويل قبل أن يبدأ في ترتيب عقله والتخلص من الفوضى والاهمال ، سواء على المستوى العام أو على مستوى المسؤولية الشخصية . وإلى أن يتم ذلك سنظل نفتقد كثيراً من الحقائق الموضوعية وقد لا نعثر على كثير من الاجابات عن الاسئلة التي طرحتها وتطرحها بعض الكتابات إلا بعد حين .

وإذا كنت فيما قدمته من عرض عاجل لثلاثة كتب سبتمبرية قد لمست اهمية التوثيق وضرورة التأكد من الوقائع والحقائق التي ينبغي التوثيق لها فإن ذلك من باب الحرص على توافر الامانة التاريخية فالثورة ليست ملك شخص أو اشخاص ولا هي ملك هذا الجيل أو غيره من الاجيال لكنها ملك اليمن ، وملك كل الاجيال ، وأي تشويه متعمد أو غير متعمد سوف يترتب عليه اختلال في المسار التاريخي واهتزاز في ثقة المواطن في تاريخه .

وإنه لمن يمن الطالع حقاً ـ على حد تعبير الأخ المقدم صالح الأشول في رسالته التالية ان يظهر العدد الأول من « سبتمبر » حاملاً اهم وثائق الثورة وأخطرها على الاطلاق وهو بيان الثورة الاساسي والذي جاء رقمه الثاني من حيث الترتيب لا من حيث الاهمية والاحاطة ، ولولا الملابسات الصغيرة التي احاطت بقيام اخطر ثورة في اخطر مكان من العالم لما بدأت الاذاعة يومئذ ارسالها الا بهذا

البيـان الذي يحـدد هويـة الثورة والثـوار ويعكس الاهتمام الشـامل بالقضايا الرئيسية على مختلف الاصعدة ، المحلية والعربية والعالمية .

ولعل في الملاحظات التالية التي تضمنتهـا رسالـة الأخ المقدم صـالح الأشول ثم في الملاحظات التابعة لها من الأخ الاستاذ محمد عبد الله الفسيل لعل فيها ما يضيء بعض الخفايا ـ وليس كل الخفايـا ـ حول البيانين اللذين تم نشر الأول منهما في العدد الأول من سبتمبر وسوف ينشر الثاني في هذا العدد، ولعل ما قد يطمئن المواطن الحريص على وثـائق الثورة اكـثر واكثر ان يعلم أن في حـوزة مركـز الدراسات والبحوث اليمني مجموعة من الاشرطة الهامـة التي تسجل بوضوح تام البيانات والبلاغات العسكرية والبرقيات التي وردت إلى الاذاعـة في اليـوم الأول من ايـام الثـورة ـ وقــد اثبتت بعض هـذه التسجيـلات أن اخطاء طفيفـة قد حـدثت في طـريقـة اذاعـة بعض البلاغات وكأنها بيانات فالبلاغ الرابـع أو الخامس عـلى سبيل المثـال تمت اذاعتـه وكأنـه بيان صـادر عن القيادة العليـا للجيش ، كـما أن عبارة « الجمهورية اليمنية العربية » كانت تتردد بدلاً من (الجمهوريـة العربية اليمنية) ومثل هـذه الاخطاء الصغيـرة نـاتجة عن الانفعال والتـوتر وعن امتـزاج الدهشـة بالفـرح والآن إلى رسالتي الصـديقين العزيزين :

الرسالة الأولى :

الأخ الكريم الدكتور عبد العزيز المقالح رئيس مركز الدراسات والبحوث اليمني المحترم .

تحية تقدير واحترام .

وبعد

قرأت ما نشر في العدد الأول من صحيفة ٢٦ سبتمبر ص ١٥ حول بيان الثورة الأول والذي تم نشره تحت رقم ٢ مع انه في الحقيقة هو البيان الأول كما أوضحنا في كتاب « أسرار ووثائق الثورة اليمنية » وكما ألمحت انت في العدد الثالث من صحيفة سبتمبر بأن ذلك البيان هو الذي حدد مواقف دول العالم من الثورة اليمنية سلباً وإيجاباً وتضمن اهدافها على المستوى الوطني والعربي والدولي.

وبهذه المناسبة يسعدني أن أساهم معكم ومع الأخوة الاعزاء العاملين في صحيفة ٢٦ سبتمبر في توضيح الحقيقة واعطاء صورة دقيقة وأمينة عن قضية البيانات . فقد حدث صباح الثورة وكما يحدث عادة في كل ثورة وخاصة ظروف ثورتنا حيث يصعب تفادي المفاجآت والمشاكل الصغيرة التي تسبب بعض الارباكات . مما يجعل الخطأ امراً محتملاً جداً وخاصة في الأوقات الدقيقة والحاسمة . .

فالبيان الذي نشرته صحيفة ٢٦ سبتمبر في عددها الأول برقم

اثنين إنما هو البيان الاساسي وكانت إلى جانبه بيانات قصيرة سميت في حينه بالبلاغات . وهي موجودة ، ومسجلة .

والحقيقة أننا فوجئنا بعد فتح الاذاعة بحضوري وحضور الاستاذ عبد الوهاب جحاف والاستاذ عبد العزيز المقالح والاستاذ محمد عبد الله الفسيل فوجئنا بأن البيان السياسي الأول والذي تم الاتفاق عليه مع الوالد عبد السلام صبرة والعقيد حسن العمري لم يكن موجوداً فكان لا بد من وضع بيان سياسي أولي يعلن قيام الثورة والذي اعتبر أنه البيان الأول وقد قرأه الأخ الاستاذ محمد الفسيل . بينما كان من المفترض أن يعلن البيان السياسي الأول احد ضباط الثورة وهو الملازم علي قاسم المؤيد .

على أنك لم تنس ولم ننس جميعاً أن الأخ الاستاذ محمد عبد الله الفسيل قد أعاد صياغة البيان السياسي الأول في حينه وسلمه إليّ بحضورك وحضور الأخ الاستاذ احمد المروني ثم سلمته بدوري إلى الأخ الملازم علي قاسم المؤيد لقراءته قبل أن يذيعه على الشعب .

وقد أذيع هذا البيان دون أن يحمل أي رقم . وإذا كان أحد الأخوة قد وضع له رقماً معيناً في وقت لاحق فهذا لا يغير من حقيقة الأمر بأنه هو البيان السياسي الأول والأخير .

وفيما يتعلق بما أشرت إليه حول الوثائق المصريَّة والملحقة

بكتاب اسرار ووثائق الثورة أود التأكيد بأن الحاقها في هذا الكتاب لا يعني اطلاقاً أنها جزء منه وكان من المفروض أن توضع مقدمة خاصة تشير إلى هذا لأنها - أي الوثائق الملحقة - تمثل في الحقيقة وجهة نظر كاتبها وتقييمه الخاص للأوضاع في البلاد وما ورد في بعض الوثائق حول التنظيم إنما هو شهادة عربية مصرية تدعم ما نشرناه عن تنظيم الضباط الاحرار واستقلالية عمله .

وأذكر أن الأخ عبد الله عبد السلام صبرة الذي تولى الاشراف على نشر الطبعة الثانية لكنه كما يبدو لم يتابع الناشر الذي الغى المقدمة وربط الوثائق المشار إليها بالكتاب.

ولعل من يمن الطالع أن يصدر العدد الأول من صحيفة سبتمبر حاملاً صورة البيان السياسي الأول والأساسي للثورة وهذا يدل على أن الشعب القادر على حماية ثورته قادر كذلك على حماية وثائقها والحفاظ على ما يرتبط بها من ادبيات . ولا يسعني في هذه المناسبة إلا أن أحيي جهود الأخ العقيد علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة واهتمامه البالغ بثورة سبتمبر الخالدة ومبادئها انطلاقاً من إيمانه بهذه الثورة والذي تمثل في مشاركته المعروفة في أكثر من مواقع الدفاع المسلح عن الجمهورية والثورة . . ختاماً أرجو أن تتقبلوا تحياتي والله يوفقكم والسلام .

اخوكم

صالح الأشول

الرسالة الثانية :

الأخ العزيز الدكتور عبد العزيز المقالح المحترم

تحية الاخاء والوفاء

قد تستغرب وصول هذه الرسالة الشخصية التي اكتبها الآن إليك ، فنحن نلتقي ، ونتحدث في أي موضوع ، أو حدث أو فكرة . . ولكن ظهور جريدة ٢٦ سبتمبر قد بعثت في نفسي املاً في بداية جادة وصادقة لمسيرة الثورة السبتمبرية . . فاستمرار الاتجاه على طريق ٢٦ سبتمبر كان مؤشراً لعودة الوعي الوطني الى اصالته الثورية . .

وعندما تصفحت العدد الأول من جريدة ٢٦ سبتمبر تساءلت : « هل ترتفع الجريدة التي تحمل اسم ذلك اليوم التاريخي إلى مستوى وعظمة الحدث الذي حدث فيه قيام. الثورة ثورة الحرية ، والكرامة ، والديمقراطية ، بكل أبعادها ، وبكل ما احدثته من تغيير خلاق في جميع مجالات الحياة » . .

وفجأة وأنا أتصفح العدد ـ توقفت أمام الصورة الخطية لبيان الثورة الثاني الذي نشرته الجريدة وأحسست بقوة خارقة ـ بعثتها الذكريات ـ تنقلني نقلة زمنية لأعيش من جديد بكل احاسيسي ، ووجداني ، وأفكاري ، وانفعالاتي ـ تلك اللحظات الحاسمة التي عشتها قبل عشرين عاماً صبيحة يوم الثورة الخالدة يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م .

وإذا كانت ذكرياتنا معا مثيرة إلا أن تساؤل الجريدة : « أين البيان الأول للثورة ؟ » لم يثر في نفسي أي حماس للبحث عنه . .

وبرغم اعجابي بملاحظة الجريدة التي تؤكد « أن كتابة التاريخ ، ووقائع الاحداث مسؤولية لا تقبل سوى البحث عن الحقيقة » . .

وبرغم عمق المقال : « قراءة أولية في فكر الثورة السبتمبرية » الذي نشر في نفس الصفحة التي نشر بها صورة طبق الأصل لنص البيان الثاني للثورة ، وربط ذلك بالميثاق الوطني ، برغم ذلك فقد فضلت أن أنتظر قبل أن أحاول الاتصال بالجريدة . .

وقد سافرت عقب ذلك ، وعندما عدت قرأت الحلقة الثانية من مقالك : « قراءة . . في ثلاثة كتب سبتمبرية » .

وأحب أن أصحح ما جاء في آخر المقال حول البيان الأول ، والبيان الثاني للثورة . . فهل تسمح لي ؟

١ - هل تذكر أن البيان الأول قد كتب خلال تلاوة القرآن الكريم بعد افتتاح الاذاعة ، وأن البلاغات العسكرية الأولى قد كتبت امام مكرفون الاذاعة خلال فترة الاناشيد الوطنية ، وأذعتها بصوتي في حوالي الساعة السابعة من صباح يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م .

وبـرغم أن هذا البيـان الأول للثورة لم يشتمـل عـلى اهـداف الثـورة ، إلا أنـه لا يقـل اهميـة . فقـد اعلن القضـاء عـلى النظام الملكي ، وقيـام النظام الجمهـوري ، ووجه نـداء وطنياً إلى الشعب يبـرز بشـاعـة العهـد الامـامي المتخلف المتحجـر ، ويقـارنـه بعهد جمهوري جديد مشرق ومتحرر .

٢ ـ أما البيان الثاني للثورة ، وهو بلا شك ـ كما ذكرت ـ اهم بيان حدد اهداف ومبادىء الثورة فأنـا أعذرك إذا اشتبـه عليك امر الخط فيه ، فالتشابه بين خطي وبين خط كثير من ابناء جيلي مـوجود بسبب اشتراكنا في تعلم الخط على يد معلم واحـد ، أو عدد محدود من المعلمين ، ولكن يسهل تمييز الخط عند امعان النظر . .

والتشـابه بـين خطي وخط الأخ الاستـاذ أحمد حسـين المروني موجود فهو ليس زميلاً وصديقاً فحسب ، ولكنه أيضاً استاذي الذي احمل له كل تقديـر واحترام ، ولـو أعدت النـظر في الصورة الخـطية للبيان الثاني لتأكدت أن البيان كان كله بخطي .

ولكني بـدأت الكتـابـة بقلم ، ثم كتبت بقلم آخـر حتى لا أحتاج إلى استخدام أوراق متعددة . لقد كنت انت والاستاذ المروني بجـانبي عندمـا كنت أكتب البيـان من الـذاكـرة . ولـما فـرغت من الكتـابة اتصلت بـالأخ صالـح الاشول احـد ضبـاط الثـورة الـذين ساهموا في احتلال الاذاعة ، وطلبت منـه أن يذيـع البيان بصـوته ، فقـد رأيت أن يتولى احـد ضبـاط الثـورة اذاعـة بيـانها الـذي يحدد

اهداف ومبادىء الثورة ، وسياسة الحكم الجمهوري الجديد ، ولكن الأخ صالح الاشول استدعى الأخ علي المؤيد احد صباط الثورة الذين ساهموا أيضاً في احتلال الاذاعة ، وطلب منه اذاعة البيان . . وبعد أن قرأه عدة مرات صعدنا إلى استديو الاذاعة وقام باذاعته حوالي الساعة العاشرة من صباح يوم الثورة .

يا أخي :

انت تعرف أن هناك ذكريات كثيرة . . وملابسات كثيرة . . . وأسراراً كثيرة فهل حان وقت نشرها . . ؟

أعتقد أن هذا العهد هو الاكثر تقبلاً لنشر الحقائق فتجربتي معه قد اقنعتني بأن الأخ الرئيس القائد العقيد عبد الله صالح قد جاء إلى السلطة بنفسية بسيطة ، وعقلية متفتحة . . مما جعله قادراً على امتلاك الرؤ ية الواضحة والسليمة لطبيعة الترابط التاريخي في مسار الحركات الوطنية للشعب . .

وهذه الرؤ ية الواضحة والسليمة قد خلقت في نفسه مناعة ضد عقد الادعاء لبطولات لم يقم بها . . وضد عقد الشعور بالنقص التي يصاب بها بعض من ليس لهم جذور في حركة النضال الشعبي التي جاءت الثورة امتداداً طبيعياً ومنطقياً لها . .

ذلك أن الأخ الرئيس القائد لا يدعي أنه صانع الثورة

ومفجرها . . أو أنه مفكرها العبقري الملهم . . ولكنه ببساطة الانسان اليمني الاصيل ، وبتواضع الوطني الصادق يرى أنه مجرد جندي من جنود الثورة الذين ساهموا في حمايتها والدفاع عنها حتى تحقق لها النصر . .

وهو بتلك الرؤية الواضحة يرى أن النضال الوطني سلسلة تصنع الحياة حلقاتها حلقة في اثر حلقة ، وتحكم ربط كل حلقة بالأخرى . . وانطلاقاً من هذه الحقيقة البسيطة يرى الأخ الرئيس بأن عهده الآن هو مجرد حلقة جديدة مرتبطة بحلقات النضال الوطني التي سبقته . . وان هذا الارتباط يمثل الاصالة الثورية لهذا العهد ، وان مسؤولية تحويل اهداف الثورة وشعاراتها الى واقع معاش هو واجب هذا العهد ، بل هو قدره وقدر كل القوى والعناصر الوطنية التي يجب أن تتحمل معه عبء تلك المسؤولية .

من هنا فإني ارى أن هذا العهد هو الأكثر قدرة على تقبل حقائق التاريخ .

أتمنى أن تمد عدوى الرؤية الواضحة السليمة الصادقة إلى عقولنا وضمائرنا حتى نرى ، ونقول ونكتب حقائق التاريخ وأحداثه . . كما هي بدون تشويه ولا تزييف ، ولا تزويق ، ولا ادعاء ولا اختلاق ولا تحريف .

يا أخي :

كم يحز في النفس أن يصبح تشويه الحقائق والاحداث أمراً

مألوفاً ، يمارس بلا خجل ، وينتقل من عهد إلى عهد كما تنتقل الامراض الخبيثة بالوراثة . . ويمتد ليشوه الثورة نفسها . . ولا يزال مستمراً طبقاً لمخطط هدام خفي يتوارى خلف كل ستار . . وأخطر ستار يختفي وراءه الآن هو ستار المزايدة الثورية التي تحاول ان تشوه الحقائق ، وتزيف الاحداث ، وتحرف المبادىء . . وصولاً إلى تشويه الثورة نفسها .

هذا المخطط الخفي الهدام يتبناه الآن البقية الباقية من الأسرة المالكة المبادة ، ويعملون للوصول به إلى مداه المرسوم بكل الوسائل . . وأخطرها الوسائل التي تتستر وراء اقنعة ثورية تقدمية تزايد على أشد العناصر اليسارية تطرفاً . . ولكي نرى هذا الخطر بوضوح . . تعال معي لنزيح قناعاً واحداً من أقنعة المزايدة الثورية « الملكية » . .

هذا القناع يخفي هدفاً يريد الملكيون تحقيقه ، وهو إبراز صورة الإمام يحيى في هالة مشرقة بالبطولة الوطنية والدينية . . ووصولاً إلى ذلك يبدأ بالمزايدة الثورية فيعتبر حركة الاحرار التي قضت على الإمام يحيى حركة برجوازية . . لا فكر لها . . حركة لا صلة لها بالشعب . . حركة تضم لفيفاً متناقضاً متنافراً نصفه من الرجعيين العتاة ، والنصف الاخر من الخونة عملاء الاستعمار البريطاني . . وهكذا بكل الحماس (الثوري) « الملكي » يصلون بك إلى نتيجة منطقية بمقياس (الثورية الملكية) ، وهي أن الضحية لهذه الحركة الرجعية العملية الخائنة ، كان ذلك الإمام الذي بدأ

حياته مناضلاً ، وبطلاً قومياً حرر بـلاده من الاستعمار التـركي . .
وإذا كان حكمه متخلفاً ورجعياً ، ومتحجراً فله عذره فقـد فرضت
عليه ظروف بيئته وظروف شعبه ، وظروف مجتمعه ذلك ولم يكن في
مقدوره إلا أن يكون ابن بيئته وظروفه .

ويستمـر منطق المـزايـدة « الثـوري الملكي » ليؤكـد أن هـذه
البداية الرجعية العميلة الخائنة لحركة الاحرار يجب أن تدمغ بالعار ،
ولا يكون لها صلة بثورة ٢٦ سبتمبر سنـة ١٩٦٢م . . لأن ثورة ٢٦
سبتمبـر ثورة تقـدميـة لا صلة لهـا بتلك الحـركـة الـرجعيـة العميلة
الخـائنة . . وهكـذا نجد انفسنـا منساقـين بمنطق المـزايدة « الثـورية
الملكية » الى سؤال منطقي ، وهـو إذا كانت ثـورة سبتمبر مقـطوعة
الصلة بـالحركـة التي سبقتها فـلا بد أن يكـون لهـا صلة بـأي شيء
آخر ، فما هو ذلك الشيء ؟ فاللقيطة ليست بلا أب وأم . .

وهكـذا يحاول ذلـك المخـطط الخفي ـ تحت قنـاع « التـطرف
الثوري الملكي » أن يصل بنـا إلى قناعـة تؤكد ان ثـورة ٢٦ سبتمبر
(لقيطة) لا صلة لها باليمن ، فأبوها « جهاز مخابـرات » . . . وأمها
(نظرية) . . . وبهذا لا يبقى شيء مشرف في تاريخ اليمن الحديث
إلا وجه الإمام يحيى ، ولا يبقى شيء صالح إلا « الإمامة » .

هذا هو المخطط الخطير والخفي الذي ينفذه الحـالمون بـالعودة
إلى عرش الملك في اليمن . . ومع الأسف نرى أنه قد نجح في جر
بعض العنـاصر الـوطنية فـوقعت في أخـطبـوط « المـزايـدة الثـوريـة
الملكية » دون أن تدري . .

يا أخي .

نسيت أن أشير إلى أن هذا المخطط الخطير يتخـذ من مهاجمة الإمـام احمد وتحميله كـل الآثام قنـاعاً يسـتر بـه هـدفـه الحقيقي في الايحاء بأن نظام الامامة نظام سليم شوهه الإمام احمد بطغيانه .

اخيراً تقبل خالص التحية .

وشكراً

اخوك

محمد عبد الله الفسيل

تعقيب الدور المصري في اليمن

بقلم : احمد الشجني

على الرغم من الاتجاه العام لـدى كل القـوى الوطنيـة ، على اختلاف اتجاهاتها نحو تمجيد الـدور المصري في اليمن لنصـرة الثورة اليمنية ثورة الـ ٢٦ من سبتمبر والاشادة والتسليم بـأنه عمـل قومي يقف في مقدمة الاعمـال الايجابيـة القوميـة البارزة التي اضـطلع بها عهد البطل الـراحل عبـد النـاصـر . . إلا أن هـذا كله لا يجب أن يكـون عائقـاً أو مانعـاً من الرؤ يـة الصحيحـة للدوافـع والاهـداف والخلفيات التي دفعت القيادة النـاصريـة إلى المبادرة للقيـام بدورهـا البطولي المعروف إلى جانب الثورة اليمنية واتخاذها لقرار تـدخلها إلى جانب الثورة اليمنيـة ودعمها وهي لا تـزال في دور التكوين تتلمس طـريقهـا وتتلمس الـدعم والسنـد الـذي لم تجـده إلا لـدى القيـادة الناصرية الشجاعة .

كما أن التقدير والاعتراف بأهمية هذا الدور المصري إلى جانب الثورة لا يجوز بـأي حال أن يحجب أو يحـول دون الدراسـة الواعيـة لايجابيات وسلبيات هذا الحدث بموضوعية تامة وتجـرد صادق بعيـداً عن الحب الاعمى والكـراهيـة المـطلقـة وبمعـزل عن التـأثيـرات

الشخصية الضيقة وبمنأى عن الشوفينية إذا صح التعبير هنا وعلى الأصح الاقليمية أو الفردية المغالية التي نخشى أن تتحول لدينا إلى مرض خطير يفرض علينا بوعي أو بدون وعي رؤ ية خاصة واتجاهات ذاتية تبتعد بنا عن العقلانية والعلمية والموضوعية عند تناول أو دراسة كل موضوع يتصل بتراثنا الماضي أو واقعنا الحاضر سواء في المجالات السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية أو غير ذلك ويؤدي بنا الى الخطأ والزلل وتشويه الوقائع دون علم منا بذلك فنسيء إلى تاريخنا والى شعبنا من حيث قد يكون قصدنا هو العكس تماماً .

مثلما تعددت الآراء وتباينت لدى العديد من السياسيين والمؤ رخين والكتاب والصحفيين حول الاتجاه الناصري عربياً وحول الدعوة الناصرية للوحدة العربية والفكرة القومية والوحدة مع سورية تباينت وتعددت الآراء والتحليلات والتفسيرات للدور المصري في اليمن ووقوف مصر عبد الناصر إلى جانب ثورة الـ ٢٦ من سبتمبر الخالدة التي قامت في اليمن عام ١٩٦٢م وأطاحت بالنظام الملكي الاستبدادي الرجعي المتخلف وساعدت على دعم النظام الجمهوري واضطلعت بأكبر دور للدفاع عنه ضد كل الاعتداءات والمؤ امرات .

وقد أثار ظهور كتاب (الدور المصري في اليمن) للمؤلف المصري أحمد يوسف أحمد الذي تقدم به إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة لنيل درجة الدكتوراه عام ١٩٧٨م حيث قامت بطبعه ونشره احدى مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب بعضاً

من الاهتمامات وردود الافعال بازاء هذا الكتاب وما تضمنه من آراء وتحليلات تتعلق بالدور المصري في اليمن وبالثورة اليمنية نفسها .

وقد كانت المبادرة الأولى التي ظهرت حتى الآن حول هذا الكتاب هي للأخ الصديق الدكتور عبد العزيز المقالح الذي طلع علينا في العدد الخاص من جريدة (١٣ يونيو) الذي ظهر بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لثورة الـ ٢٦ من سبتمبر المجيدة بمناقشة نقدية لهذا الكتاب تحت عنوان (قراءة في كتاب الدور المصري في اليمن) ولما كان قد سبق لي قراءة هذا الكتاب في قريب جداً بل أن الكتاب نفسه كان ما يزال ضمن الكتب التي في متناول يدي والتي لا يزال بعضها يثير اهتمامي وأعود اليها لتصفح بعض مواضيعها من حين إلى آخر فقد أثارت كتابة الأخ الدكتور المقالح اهتماماً اكبر بهذا الكتاب وليس هذا فحسب بل دفعت بي إلى الخوض اكثر في هذا الموضوع الهام والى محاولة بلورة الرأي الموضوعي الذي يستند على الوقائع والنصوص الواضحة التي لا تقبل الشك أو تخضع للتأويلات والتحليلات البعيدة والتي توقفنا على حقيقة دوافع قرار التدخل المصري لمساندة الثورة اليمنية بل وعلاقة مصر (الجمهورية العربية المتحدة) حينذاك لتأييد ودعم الثورة اليمنية .

وقد اختلف مع الدكتور في بعض النقاط وفي طريقة التحليل وقد أتفق معه في بعض آخر ولكني على ثقة أن رائدنا جميعاً هو محاولة الوصول إلى الحقيقة والاقتراب منها بقدر الامكان على الأقل عن طريق الاعتماد على دراسة الوقائع والاستدلال بالنصوص

النزيهة الصادرة عن قادة وصانعي أحداث تلك الفترة التأريخية التي يتناولها الكتاب المصري والدراسة النقدية اليمنية والانطلاق من هذه الأرضية للتحليل والتفسير دون الابتعاد عنها بأي حال ودون اللجوء إلى الكتابات أو التحليلات المغرضة التي تعمدت أو تتعمد الاساءة والتشويه للثورة اليمنية وللدور المصري بالنسبة لها وهي الكتابات والتحليلات التي عناها الأخ المقالح في الفقرة التي وردت ضمن نقاشه للكتاب كالتالي : (لقد ظهرت كتابات كثيرة اجنبية وعربية وكلها تستهدف كيان الثورة اليمنية وتسعى إلى إظهار الدور المصري في اليمن كما لو أنه بداية مخطط الطموح الناصري لتكوين امبراطورية عربية تسعى للسيطرة على بترول المنطقة . وتبدأ من التحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر) .

والتضليل في هذه الكتابات واضح كما تقول هذه الفقرة وهو مرفوض جداً دون تحكيم الرغبات والاجتهادات الذاتية مهما كانت منطلقاتها جيدة وخيرة لأن الوقائع التاريخية لا يمكن اخضاعها للرغبات والاتجاهات ويمكن أيضاً عرض الآراء التي بين أيدينا حول (الدور المصري في اليمن) كالتالي:

أولاً - رأي المؤلف (احمد يوسف احمد) صاحب الكتاب الذي نحن بصدده .

لقد حاول المؤلف أن يوقف القارىء سواء كان مصرياً أو غير مصري على دوافع قرار التدخل العسكري المصري المباشر الى جانب الثورة اليمنية فخصص لهذا الباب الأول من كتابه وهو على

حق وصواب في هذا . . فالكتاب اساساً يهدف إلى توضيح الدوافع والمبـررات والأسبـاب لـذلـك العمـل التـاريخي الكبيـر الذي كانت له آثاره الايجابية العظيمة بالنسبة لليمن بشطريها وللمنطقة والذي كلف مصر والقيادة المصرية الشيء الكثير والكثير جداً مـادياً وسياسياً .

وموضوع الدوافع لاتخاذ ذلك القرار الخطير كان وسيظل محـل التساؤل الأول لدى المواطن المصري بصفة خاصـة أو لدى المـواطن العـربي والباحث السيـاسي بصفة عـامة . . ولادراك المؤلف لأهميـة هذا التساؤل الدائم الحضور فقـد كرس صفحـات لتناولـه ومتابعـة اسبابه ومصادره والتحقيق حول صانعيه الحقيقيـين وتوضيـح رؤاهم السياسية داخلياً وخارجياً .

ولم يكن بد للمؤلف وهو يتوخى الدراسـة الموضـوعية من أن يعود إلى الماضي لاستعراض العلاقات المصرية اليمنية عبـر التاريـخ المسجل والواضح فتعرض بايجاز لهـذه العلاقـات عبر بعض فتـرات التاريخ الإسلامي التي توطدت فيها هذه العلاقات وبرزت في اليمن مـظاهر عـديدة اهمهـا المظهـر العسكري والمـظهر السيـاسي وكـانت فترات الحكم الفاطمي في مصر وعلاقتـه باليمن مـع الاسماعيليـين والصليحيين وفترة الحكم الايـوبي وحكمه المبـاشر لليمن ثم عـلاقته مع الرسوليين وكـذا العصر المملوكي وعـلاقته بـالرسـوليين ومـروراً بعصر محمد علي ووصول الحملات المصرية التي قادها ابراهيم بـاشا الى اليمن والتي وقعت أجزاء منها تحت حكم محمد علي .

وقد ربط المؤلف كل هذه العلاقات التاريخية السياسية والعسكرية بما عبر عنه بالأمن القومي المصري والاستراتيجية المصرية باعتبار أن مصر واليمن جزءان من هذا الكيان العربي الذي يؤثر بعضه على بعض ايجاباً وسلباً في كل المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية كما تجلى ذلك بصورة واضحة عبر عصور التاريخ الإسلامي التي ليس عصر عبد الناصر غريباً أو شاذاً عنها .

وإذا كانت منطلقات الحضور أو النفوذ المصري في اليمن في العصور السابقة عقائدية مذهبية حينا كما كان الحال في العصر الفاطمي ودينية سياسية بحتة كما سجل ذلك العصر الأيوبي . . وسياسية توسعية في العصر المملوكي وعصر محمد علي كما يؤكد البعض على ذلك . . فإن المؤلف قد أوضح الدوافع العديدة لقرار التدخل المصري في العهد الناصري فشرح الدافع السياسي والايديولوجي القومي لدى عبد الناصر ورفاقه وأورد لنا هذا النص الذي ورد حينذاك على لسان السيد (كمال رفعت) امين الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكي العربي : « ان تدعيم ثورة اليمن سيحرر هذه المناطق من النفوذ الاستعماري ويجعل المناطق الجنوبية للبحر الأحمر تحت سيطرة القوى الثورية العربية الممثلة في ثورة اليمن وبذلك يصبح البحر الأحمر بحراً عربياً خالصاً لا أثر فيه لأي نفوذ استعماري » ص ٣٢ .

كما استشهد المؤلف بمنطلقات كتاب (فلسفة الثورة) لعبد الناصر وما ورد فيه من تركيز على البعد الجغرافي العربي كأحد الدوائر التي تهتم بها الثورة وتأخذ في اعتبارها الروابط الثقافية

الحضارية بينها وبين مصر كما أورد فقرات من خطابات وتصريحات لـ (عبد الحكيم عامر) القائد العام للقوات المسلحة ونائب عبد الناصر تركز على هذا الاتجاه « ص ٣١ من الكتاب » .

وقد ربط المؤلف بين هذا القرار وبين موقع اسرائيل وأولوية الاعتبار الثوري الذي يتضمنه هذا القرار في طريق التخلص من الصهيونية وتحرير فلسطين « ص ٣٦ » .

ولم يـر المؤلف أي تباين بين هذه المنطلقات ومنطلق الأمن القومي المصري فأمن القطر المصري سواء في العصور السالفة أو في عصر عبد الناصر أو العصور اللاحقة مرتبط ارتباطاً طبيعياً بأمن المنطقة العربية المحيطة به على امتداد الساحة العربية والتحرك العملي عسكرياً أو سياسياً في مختلف العهود لتحقيق هذا الأمن الشامل قد تعبر عنه القيادات عبارات مختلفة وتنطلق في سبيله إلى أبعاد متفاوتة كما هو واضح في مسيرة التاريخ .

وليس يضير مصر أو يشوه دورها كما لا يضير الثورة اليمنية ولا يسيء اليها أن تكون القيادة الناصرية الوطنية قد انطلقت وبادرت إلى تأييد الثورة اليمنية من منطلقات نبيلة مختلفة سواء كانت قومية أو اقليمية لأنه حتى المنطلق الاقليمي الذي يعتبر أمن مصر مرتبطاً بأمن المنطقة عربياً يصبح في حقيقة الأمر منطلقاً قومياً ما دام يقوم على إدراك الاستراتيجية الموحدة والايمان بوحدة المصير والالتحام الحضاري والثقافي والايمان بالمصلحة المشتركة ولا يهدف من وراء تدخله في أي بلد عربي سواء كانت اليمن أو غيرها إلى بناء

امبراطورية عربية تتبع مصر وتخضع لها كما كان الحال بالنسبة لتدخل عبد الناصر النبيل في اليمن وهذا المعنى هو ما أكد عليه المؤلف في الصفحات من ٢٦ إلى ٣٤ حيث استعرض كل التحليلات التي اتكأت على ما ورد في كتاب فلسفة الثورة أو في بعض خطابات عبد الناصر وحاولت تشويه طموحات عبد الناصر وأحلامه في تحرير العالم العربي من الاستعمار سياسياً واقتصادياً وانتفاعه بثرواته الغنية . . الخ وتوحده ان امكن . وكانت اليمن مدخلاً جيداً ومواتياً للتحرك نحو تحقيق هذاالطموح المشروع الذي مهما رافقه من ممارسات سلبية اساءت اليه فإنه قد حقق النصر للثورة اليمنية وتحرير الساحة اليمنية شمالاً وجنوباً من الاستبداد والاستعمار كما أدى إلى إنهاك مصر بفعل التآمر الامبريالي الرجعي الشرس وهمجيته العدوانية البربرية عام ١٩٦٧م بواسطة الاداة الصهيونية لاجهاض وايقاف الحلم العربي الكبير الذي كان يمثله ويعبر عنه عبد الناصر .

إننا على عكس الأخ المقالح لا نرى أي اساءة قد حواها هذا الكتاب لقرار مصر للتدخل في اليمن كما لا نرى في ذلك انتقاصاً للثورة اليمنية أو التجني عليها بل أننا نذهب إلى أبعد من ذلك في التحليلات التي وقف عندها المؤلف وأوردها كمبررات للتدخل وعالجها كلها بطريقة حذرة فنقول معتمدين على تصريحات عبد الناصر نفسه :

إن الانفصال السوري عن مصر قد كان له دوره القوي والمباشر في المبادرة بالاتصال بعد هذا بالثورة اليمنية وبذل التشجيع

والمساعدة لها وهي في دور التكوين وتقديم الوعود الرسمية بدعمها والوقوف الى جانبها إذا ما دخلت مرحلة التنفيذ ومن اجل ذلك تحركت مصر داخلياً وخارجياً لمؤازرة التحضير للثورة ففي الداخل كانت محاولات لضم صفوف المعارضة وأخيراً الاعتماد على البيضاني وفتح المجال لـه اعلامياً على كل المستويات وتمكينه من الاتصال بالداخل والاعتماد عليه في الاتصال ببعض العناصر المعادية للنظام الإمامي وتقديم المساعدة لها .

وفي الخارج ونقصد في اليمن قامت السفارة المصرية بتحركات واسعة حيث كان لها دور المشاركة والترشيد والتشجيع لقيام الثورة بعد اخذ كل التحريات عن اتجاهها ودوافعها واشخاصها وتنسيق الاتصال مع بعض قادتها وتقديم ما أمكن من مساعدة .

ثانياً ـ يكشف لنا كتاب الثورة اليمنية التي أعدته لجنة من تنظيم الضباط الأحرار أموراً كثيرة حيث تطلعنا الصفحات (١٠١ إلى ٣٠٢) من هذا الكتاب على العلاقة الوثيقة بين الضباط الاحرار والقيادة المصرية عن طريق سفارتها بصنعاء . . ويقدم لنا بعض فقرات الكتاب رغم تحفظه الشديد عن اعطاء تفاصيل عن هذه العلاقة وحجمها وتفاصيلها . فتقدم هذه الفقرات توضيحاً في ص ١٠١ فيقول بالحرف الواحد :

(وطالب القائم بالأعمال المصري (وهو محمد عبد الواحد والمطلوب منه الشهيد علي عبد المغني) أن يتصل بعد يومين حتى يتمكن من الاتصال بالقاهرة ويحصل على رأيها في الموضوع فاتصل

الأخ الشهيد الملازم علي عبد المغني مرة ثانية بالقائم بالأعمال للسفارة لكي يحصل منه على رد القاهرة . . وفي هذا اللقاء أكد القائم بالأعمال أن القيادة في مصر تريد تفصيلات اكثر عن طبيعة العمل الوطني وتوجهه وإمكانياته وأهدافه .

وتمضي هذه الفقرة التي تمتد إلى ص ١٠٢ لتقول بالحرف الواحد أيضاً :

(وحينما استعرضت القاعدة التأسيسية الموقف تبين أن القيادة المصرية لن تقدم أي عون أو تلتزم بتقديمه إلا إذا تأكدت من وجود العمل الوطني في اليمن وقدرته على التغيير خاصة وأنها ـ أي القيادة المصرية ـ كانت ما تزال تعاني آنذاك مؤامرة انفصال سورية عنها وكان موقفها السياسي حرجاً ولا يساعدها على القيام بدور ايجابي في أي منطقة عربية) .

وحين نستمر في نفس الصفحة نجدها توضح لنا أن القاعدة التأسيسية قد قررت اطلاع القاهرة من خلال القائم بأعمال سفارتها في صنعاء على وجود تنظيم عسكري وطني يعمل على تفجير ثورة للاطاحة بالنظام الإمامي وكلفت الشهيد الملازم علي عبد المغني بالقيام بابلاغ القائم بأعمال السفارة المصرية بالتفاصيل المطلوبة .

وإذا كانت هذه العبارة المتحفظة توضح مدى اعتماد تنظيم الضباط الاحرار على مساندة القيادة المصرية للقيام بالثورة كما تنطق بذلك كل الصفحات المشار اليها . . فإن العبارة القائلة حرفياً في السطر الثالث والرابع والخامس من صفحة ١٠٢ ما يلي :

(وإنها ـ أي القيادة المصرية ـ كانت ما تزال تعاني آنذاك من مؤامرة انفصال سورية عنها وكان موقفها السياسي حرجاً . . الخ) تقدم لنا دليلاً واقعياً ملموساً لا يدع مجالاً للشك وهو أن مصر قد بادرت للتناغم مع الثورة وتشجيعها بعد أن وثقت منها وإن ذلك تم في زمن قريب جداً من حدوث الانفصال السوري كما توضح لنا هذه الصفحة ذاتها أن الجواب قد جاء من عبد الناصر عبر سفارته بصنعاء سريعاً بعد أيام ويقول هذا الجواب الصريح العبارة :

(نفذوا وسأفي بكل التزاماتي) .

نبارك العمل الوطني ونحن على استعداد لتقديم العون في حينه حسب ظروف وامكانيات مصر وحيث يقتصر كتاب لجنة تنظيم الضباط الأحرار على هذه التوضيحات ويوردها كلها بتحفظ لا مبرر له فإن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر قد طرق هذا الموضوع ليوضح ويبرر موقف مصر داخلياً وقومياً بل وحتى دولياً المؤيد والمشجع لثورة اليمن بدون تحفظ أو تردد . . بل بكل صراحة وبصوت عال سمعته الدنيا فقد ورد في خطبته التي القاها في بعض المناسبات في الحديث عن ثورة اليمن وانتصارها ودور مصر إلى جانبها :

(كانت الرجعية تظن أنها بعد الانفصال قد عزلتنا في عقر دارنا وإذا بنا نفاجئها من تحت الأرض وندق عليها أبوابها) . ومن المعروف أن الثورة اليمنية التي قامت في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م كما هو معروف ليس بينها فاصل زمني عن انفصال سورية سوى عام واحد فقد وقع الانفصال في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١م .

ثالثاً : أما الوثائق التي ألحقتها لجنة الضباط الأحرار بكتابها المشار إليه تحت عنوان وثائق وأسرار الثورة فقد كشفت القناع عن أسرار ومعلومات وتفاصيل بل ومزاعم يكفي الاطلاع عليها ليقتنع كل قارىء متسرع بأن الثورة هي من صنع القيادة المصرية ومن صنع سفارتها بصنعاء . فهذه الوثائق تدعي أنها هي التي كانت توجه تنظيم الضباط الأحرار وتقدم لهم النصائح والتشجيع والعون المادي المطلوب الذي اختلف تحديده ونوعه من شخص لآخر طبقاً للعمل وللغرض الذي يريد أن يحققه من أجل الثورة وتوهم هذه الوثائق إذا صح إطلاق هذه التسمية عليها بأن المساعدات التي كانت تقدمها القيادة المصرية لعناصر الثورة سواء اسلحة أو اموالاً اكثر . . . مما ورد في الوثائق نفسها .

وليس هذا فحسب فقد ورد في هذه الوثائق أن السفارة كانت تعطي ما يشبه التعليمات فيما يخص خطوات تكوين الثورة ليس داخلياً في صنعاء فقط بل حتى في القاهرة حيث كانت تشير على القاهرة بكيفية التصرف إزاء اشخاص المعارضة وبازاء الضباط وكبار الشخصيات سواء حيثما كانوا لا يزالون في القاهرة أو بعد أن اصبحوا مسؤولين في صنعاء في النظام الجمهوري . يرجى الرجوع إلى الصفحات (٢٠٢ حتى ٢٠٩) .

كما أطلعتنا هذه الوثائق على نظام الضباط الأحرار بكل تركيبه ومن أجل العمل والأعداد والتنفيذ والحماية الخ .

كما اوردت أسماء الشخصيات التي قرر التنظيم حسب تقريره

المسلم للقائم بالأعمال أنه سيختارهم للتعاون معه لتشكيل اول حكومة للثورة عند قيامها وقد ورد اسم البيضاني في طليعة هذه الاسماء . انظر صفحة ٢٠١ .

والغريب ان هذه الوثائق التي يعترف بها كتاب لجنة تنظيم الضباط الأحرار وألحقها كوثائق عن الثورة تضمنت قضايا ومعلومات وتحليلات تتناقض مع ما ورد في صلب كتاب اللجنة نفسها وأقرب مثل لذلك التناقض : هو الرأي الوارد في هذين المصدرين حول البيضاني فالوثائق في ص ٢٠ تدرج اسمه ضمن القائمة التي شملها التقرير المقدم للسفارة عن التنظيم كأبرز المرشحين للقيام بأعباء الثورة بينما يؤكد كتاب لجنة التنظيم على انه شخص مدسوس على الثورة بل ومفروض عليها ويعدد مساوئه وسلبياته والأضرار التي ألحقها بالثورة .

ومهما يكن رأي المؤلف المصري وتحليلاته للدور المصري في اليمن وكيفما تناول كتاب لجنة الضباط الأحرار هذه القضية ومهما تكن فلسفة القيادة المصرية ودوافعها لاتخاذ قرار التدخل في اليمن فإن هذه الآراء والتحليلات وهذه المنطلقات لا تؤدي إلى ما تبادر إلى ذهن الأخ الدكتور المقالح الذي رفع عقيرته ناعياً على المؤلف المصري السيد احمد يوسف احمد انه عمد إلى تشويه الثورة اليمنية وتعمد الاساءة إلى دور مصر لكي يرضي الرأي العام المصري ويبرز تدخل مصر في اليمن بعد أن ثارت الأقاويل والافتراءات داخل مصر نفسها ضد هذا الدور بعد رحيل الزعيم العظيم عبد الناصر ومجيء حكم السادات . . فكل ما ورد في كتاب المؤلف لا يصل في

صراحته إلى ما ورد في كتاب لجنة تنظيم الضباط الأحرار ولا يصل بأي حال إلى دعاوى وفجاجة الوثائق المخابراتية المزعومة التي يفتقر كثير مما جاء فيها إلى الصدق ويصعب الاطمئنان اليها نظراً لأن القائم بالأعمال رحمه الله كان شخصاً غير متوازن في سلوكه السياسي ولا يملك الخبرة والمؤهلات اللازمة ولكن الظروف التي عاشها في اليمن بكل ما فيها من تخلف وفوضى ومستويات واحتياج مصر إلى منفذ للخروج من العزلة قد هيأ له الصعود والافتئات وخداع حكومته وخداع اليمنيين كما أن المعاصرين للثورة وما قبلها وما بعدها قد استغربوا الاعتماد على هذه الوثائق غير الموثوقة . . وتنفس الصعداء وحمد الله كل الوطنيين الصادقين على أن هذه الوثائق لم تنشر إلا في وقت متأخر جداً وقد انتهى الصراع العسكري والاعلامي الصريح بين الثورة وخصومها إذ لو تم لا سمح الله نشرها أبان ذلك الصراع المكشوف فإنها كانت ستستغل ابشع استغلال من قبل العناصر المعادية للثورة وكانت هذه الوثائق ستقدم لها مادة غنية للبرهنة على دعاواها ومزاعمها بأن الثورة اليمنية هي من صنع وتصدير مصر كما ظلت تردد بلا انقطاع ولكن الوثائق المشبوهة كانت وما تزال تقدم الفرصة لكل أعداء الثورة وتشجعهم على أن يرفعوا اصواتهم بالطعن فيها اكثر مما فعلوا في الماضي مستشهدين بالتعبير الشهير القائل : (من فمك أدينك) كما أن كل من يكتب عن الثورة أو يؤرخ لها ستفرض عليه الوثائق أن يعتمد عليها كمصدر وأن يقتنع بكل ما حوته من تشويهات وادعاءات وافتراءات وستحصل هذه الوثائق الثقة وتعد مصدراً لا سيما من

المثقفين اليمنيين الذين لم يعاصروا الثورة وأحداثها . أما من قبل الأجانب فستعد مرجعاً لا يتطرق اليه الشك .

وهكذا فإن محاولة الحصول على المعرفة الموضوعية لنشوء الاتجاه للثورة ولمسيرتها ولأحداثها اصبحت بمكانة من الصعوبة وتحتاج إلى جهد غير يسير للوقوف على حقائق الأمور بمعزل عن الاجتهادات والادعاءات التي يفند بعضها بعضاً ويناقض بعضها بعضاً انطلاقاً من كتاب الأخ المقدم (عبد الله جزيلان) اسرار الثورة . . ومروراً بكتاب « الثورة اليمنية » الذي اصدرته لجنة من تنظيم الضباط الأحرار والوثائق العجيبة التي ألحقت به . . ولذا فإن هذا الكتاب « الدور المصري في اليمن » هو أول دراسة جادة وموضوعية تعتمد على الوثائق والتحليل العلمي بنزاهة وتجرد واضحين وليس فيه ما يدعو إلى الهلع والقلق اللذين عبر عنهما الدكتور المقالح فليس مما يسيء الى الثورة تسجيل الحقائق بصورة ترضينا أو تغيظنا وهكذا الأمر بالنسبة للدور المصري ولكن الذي يثير القلق والهلع هو اغفال الحقائق أو إيرادها بصورة معكوسة بحيث تخدم رغباتنا وأهدافنا أو اتجاهنا أو تحليلها وتفسيرها بالطريقة التي تروق لنا مهما كان ذلك التحليل والتفسير قد ابتعد عن الحقائق نفسها .

رابعاً : هذا ولا نريد أن تحتوي هذه الصفحات على كل الآراء والدراسات السياسية التي كتبت عن الدور المصري في اليمن فقد كتب الكثير حولها من عرب وأجانب عن هذا الموضوع وعن الثورة اليمنية والكتابات حول الدور المصري والثورة اليمنية معبرة

عن الاتجاهات السياسية المختلفة والصراع الايديولوجي الدولي السائد سواء داخل مصر نفسها أو عربياً ودولياً فثمة من كتبوا عن الدور المصري في اليمن بكل صراحة ووضوح بأنه تحقيق للحلم المصري القديم في بناء امبراطورية مصرية وأن عبد الناصر قائد طموح ظل يتدخل ويعمل لتحقيق هذا الحلم حتى وجد المدخل لتحقيقه في اليمن ذات النظام المنهار الاسهل للهدم وللبدء في تحقيق الحلم .. وهذا الرأي تعبر عنه معظم الدراسات الغربية التي كانت وما تزال تعادي عبد الناصر وفكرة القومية العربية .. كما أن ثمة كتابات ودراسات عربية وغير عربية ذات اتجاه ماركسي ويساري نظرت إلى التدخل المصري في اليمن بأنه تعبير عن تطلعات البرجوازية المصرية إلى الخارج وتمثل خطوة للبحث عن مناطق للنفوذ والسيطرة الاقتصادية والحصول على المجال الأول والامتياز في السوق العربية .

ولا يستطيع أي كاتب أن يحجب عن الناس تفكيرهم وتعدد آرائهم وكل ما يستطيع أن يصل اليه الكاتب المثقف هو تحري الحقائق والبحث عنها وعن مصادرها الصحيحة ثم تحليلها وتفسيرها بطريقة علمية موضوعية بعيدة عن أي تعصب أو عواطف حب أو كراهية .. والتاريخ وحقائق التاريخ لا يمكن أن تسير طبق رغباتنا وطبق ما نتمناه وترسمه مخيلاتنا من تصورات جميلة وأحلام وردية .

وأحب في الختام ان أؤكد على الحقائق التالية وهي :

١ ـ ان التفكير اليمني في الثورة ضد النظام الملكي المتعفن قد

وجد في اليمن وقام بانتفاضات وحركات ثورية قبل قيام ثورة مصر وقبل الثورة السبتمبرية .

٢ ـ ان إتجاه المعارضين لحكم الإمام كان يتجه منذ البداية كما هو معروف لاتجاه الحركة الثورية عام ١٩٤٨م إلى الجامعة العربية واعتمادها عليها بطريقة فيها الكثير من السذاجة والغرابة . كما هو معروف صلة تلك الحركة بالاخوان المسلمين في مصر .

٣ ـ ظل توجه المعارضة اليمنية إلى نشدان العون والمساعدة من الخارج ضد الطغيان الإمامي ماثلاً وقائماً بعد فشل حركة ١٩٤٨م الثورية ويمكن الوقوف على هذه الرسائل ومذكرات الزبيري والحكيمي والنعمان وغيرهم .

٤ ـ اتجاه المعارضين اليمنيين للحكم الإمامي والثائرين عليه لا يسيء إلى مسار الفكر والعمل السياسي المعارض والثائر في اليمن حيث كانت الظروف المظلمة والرهيبة والمغرقة في التخلف التي يعيشها اليمني وعدم الكفاءة والخبرة بالعمل السياسي الثوري الجماهيري وصعوبة ذلك تبرر ذلك الاتجاه . . ولم تنفرد المعارضة أو الحركات الثورية في اليمن بهذا الاتجاه فثمة ثورات اكبر وأعمق في ثوريتها وأكثر مراساً وخبرة بالعمل الثوري قد استعانت بالخارج في الحدود التي رأتها ضرورة لمساعدة الثورة وهذا بحث يحتاج إلى شرح طويل لما تحتوي عليه الاستعانة بالخارج من مزالق في مقدمتها أصالة الثورة من عدمها . فأي ثورة لا تعتمد على الشعب وتنطلق من الداخل اساساً تفقد صفة الثورة كلية وهذا أقل ما يقال عنها .

٥ ـ ولذا فسيظل شعبنا يمجد ويثمن الدور المصري العظيم الذي أداه الشعب المصري بقيادة البطل الراحل عبد الناصر الى جانب ثورتنا وسيظل تقديس الشهداء وتثمين التضحيات المصرية الجسيمة التي بذلت من اجل انتصار الثورة اليمنية ونجاحها مهما كانت السلبيات .

٦ ـ سيظل الأمن القومي المصري والأمن القومي اليمني بل الأمن القومي العربي مرتبطاً لا يمكن أن تتحقق له الديمومة والضمانة إذا اعتمد على التجزئة والاقليمية وهذا ما يمليه علينا التاريخ .

ولذا فلا عيب ولا عار أن يكون من دوافع مصر أو في مقدمة دوافعها للتدخل إلى جانب الثورة اليمنية هو حماية أمنها القومي . . وعلينا ان نعي أنه حتى الفكر القومي ليس فكراً مجرداً لا يستند إلى المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة ، فهذه نظرة مثالية لا يؤيدها العلم ولا الواقع سواء في واقعنا العربي أو في واقع آخر عبر التاريخ . . .

رد على التعقيب

من أجل الفهم الحقيقي والموضوعي للدور المصري في اليمن

د. عبد العزيز المقالح

تـرددت ـ يعلم الله ـ كثيـراً قبـل الاقـدام عـلى كتـابـة هـذا التعقيب ، وذلك لأننا نعيش في زمن عجيب اسمه «زمن الصيد في المياه العكرة » فإذا حدث لسبب من الأسباب ان أعلنت انك تختلف مـع صـديقـك أو شقيقـك في وجهـة نـظر مـا ، رقص المغـرضـون والصائدون في المياه العكرة طـرباً وحـاولوا بكـل وسائلهم أن يجعلوا من الاختلاف في وجهة النظر خلافاً يأكـل الاخضر واليـابس ويفعل في القلوب والنفوس ما عملته حروب داحس والغبراء وفي مثل هـذا الزمن البائس القابل للاشتعال يكفي أن تقول مثلاً انني أختلف مـع « فلان » في نوع السجـائر التي يـدخنها كـل منا فهـو يدخن سجـائر « كنت » وأنا أدخن سجائـر « روثمان » يكفي ذلـك القول ليتحـول اختلاف المزاج الى خلاف حاد وإلى احاديث في المقايـل والتجمعات والى وفـود للصلح وأخرى لتعميق الخـلاف وهكذا لأن المجتمعـات الاستهـلاكية العـاطلة لا تكف عن الاستهـلاك ، ولا تستـطيـع أن تـترفع عن استهـلاك الأمور الصغيـرة والتافهـة لكي تغـالط نفسهـا وتـوهم ضميرهـا ـ أن كان قـد تبقى لها ضمـير ـ انها تكافـح الفراغ

وتقتل العطالة ولو بقتل كل رفيع ونقي وشريف .

أقول أنني ترددت كثيراً قبل كتابة هذا التعقيب لأنه يشير إلى اختلاف في وجهة النظر بيني وبين أخي الاستاذ احمد الشجني وأخشى أن يستغله العاطلون والمتصيدون في المياه العكرة ويتحول الحوار بيني وبين اخي احمد إلى مهاترات فقطيعة ، حتى أقطع الطريق على المتصيدين أود أن أعلن للمرة العاشرة بعد الألف إن الاختلاف في الأراء يؤكد سلامة الصداقة وصحة الأخوة واختلافي مع احمد الشجني حول كتاب (الدور المصري في اليمن) قد يكون مجالاً لنقاش وحوار طويل يمس اهم قضايانا وهي قضية الثورة .

وفي احد الاعداد من ملحق الثورة ذكر اخي الاستاذ احمد الشجني انه قرأ كتاب (الدور المصري في اليمن) وأنه يخالفني في بعض ما ذهبت اليه من تحليلات وقد أكد على أن رائدنا جميعاً هو (محاولة الوصول الى الحقيقة والاقتراب منها على الاقل) وفي البداية اتفق مع أخي وزميلي على صدق محاولته في البحث ثم اتفق معه في أنه قرأ الكتاب ـ موضوع النقاش ـ وقرأ ما كتبته عنه ولكنني أزعم أنه قد قرأ الكتاب قراءة غير متأنية . . أو قراءة قد تمت في ظروف نفسية وصحية غير مناسبة ، وأعترف انني كثيراً ما قرأت بعض الكتب في ظروف مشابهة ولذلك فإن كثيراً من الوقائع والقضايا تغيب عن الادراك وهذا ما أعتقد أنه قد حدث مع اخي العزيز احمد . . فضلاً عن أنه لم يقرأ إلا الجانب الأول مما كتبته عن الكتاب المذكور ودليلي على ذلك الحقائق التالية :

أولاً : زعم الأخ احمد انني فزعت من الكتاب ونعيت على مؤلفه المصري أنه عمد إلى تشويه الثورة اليمنية وتعمد الاساءة إلى دور مصر . ولأنني أعرف ما كتبته فلن أتردد في القول انني قد أشدت بالكتاب ولم أهلع منه أو أجزع وقلت عنه بالحرف الواحد (انه بداية الدراسات العلمية الناجحة في هذا المجال) أي مجال الثورة اليمنية والدور المصري المساند لارادتها الوطنية . .

وكتبت عن الكتاب ايضاً (ان اهم كتاب هو ذلك الذي يثير من المناقشة والحوار ما يغني موضوعه ويثريه . . وفي ظني أننا لو كنا نعيش في فترة صحية على المستوى القومي لأحدث ظهور مثل هذا الكتاب نقاشاً وحواراً طويلين ولكان من وراء ذلك معين لا ينضب من التعليقات والملاحظات والأفكار التفصيلية المتعلقة بطبيعة الموضوع الأساسي لكتاب (الدور المصري في اليمن) هذا قليل من كثير من الاشادة بالكتاب فأين الفزع والهلع ؟

ثانياً : إن الاعجاب بأي كتاب لا يبرر اغفال الاشارة الى بعض الهنات والاخطاء التي قل ان يسلم منها كتاب عربي أو غير عربي وقد قلت عربي لأن كتاباتنا ما تزال وستبقى الى ما شاء الله بعيداً عن الموضوعية والعلمية بمفهومها الكامل أو القريب من الكامل .

ثالثاً : لقد تجاهلت عامداً الاشارة إلى أن الأسم الأصلي للكتاب قد كان (التدخل المصري في اليمن) وهو تعبير سافر عن النوايا كما تغاضيت عن الاشارة إلى أن الاستاذ الذي اشرف على

اعداد الكتاب هو (بطرس بطرس غالي) وزير خارجية مصر . وقد اكتفيت بالاشارة العابرة إلى ان الكتاب قد اعتمد اعتماداً شبه كلي على الكتابات المعادية للثورة ومعظم الهوامش تشير إلى كتابات الصحفيين الاجانب الذين وقفوا في الصف المناوىء للثورة .

وقد جاءت ملاحظاتهم نابعة من مواقفهم المشحونة بالحقد والعداء للثورة والدور المساند معاً . . وقد اكتفيت بالاشارة الى هذا الموضوع اعتقاداً بأن الباحث العلمي لا بد وأن يأخذ بمختلف وجهات النظر ثم يحدد موقفه على ضوء ما تمليه .

رابعاً : لقد قرأت الفقرة التالية من الكتاب دون خوف ، وحاولت أن اجد لها مبرراً في الخطأ المطبعي ، والفقرة تحكم على نتائج الثورة والدور المصري ، وقد جاءت هكذا : (لقد دفعت اليمن ثمناً باهظاً من ارواح ابنائها ـ وكذلك مصر ـ ولكن البديل كان دون شك هو تكريس أوضاع تبرأ منها العصور الوسطى ، وأن القول بغير ذلك ليس سوى اغراق في مثاليات ترفضها أبسط قواعد المنطق السياسي !!) ص ٥٠١ . هل قرأ الأخ العزيز هذه الفقرة ، وهل حاول ان يتفهم لماذا جعلها المؤلف تخضع لهذا الخطأ الشنيع وهي خلاصة البحث ونقطة الوقوف ، لقد قلت أن خطأ مطبعياً حدث في هذه الفقرة جعل القضاء على أوضاع تبرأ منها العصور الوسطى تكريساً لها ، أليس كذلك ؟

خامساً : يحاول الأخ احمد الشجني ان يقنع نفسه أولاً بمنطق المؤلف الذي جعل الأمن المصري الاقليمي وليس الأمن القومي

العربي هو الدافع وراء قرار الدور المصري في اليمن ، وهي محاولة مرفوضة لأن الفكر القومي لعبد الناصر ونظام مصر في عهده يجعل أية محاولة لدوافع اخرى نوعاً من التشكيك في صدق التوجه القومي العربي لعبد الناصر ومن ثم تؤدي إلى تشويه الدور بأكمله لأن المصلحة القومية المشتركة - إن لم تكن مصلحة اليمن بالدرجة الأولى - هي منطلق الدور المصري وهدف القيادة الناصرية ، ولم يكن تعبير « الأمن القومي المصري » مستخدماً في عصر عبد الناصر وكان من التعبيرات الاقليمية المشبوهة ، ولأن عبد الناصر وفكره قد رحلا في عهد خليفته « المرحوم » فقد ظهرت مثل هذه التعبيرات وكانت اول فقرة من كتاب الدور المصري في اليمن في المبحث الأول منه بعد عنوان (الأمن القومي المصري) هي هذه الفقرة (يناقش هذا المبحث مسألة ما إذا كان من الممكن أن يستخدم مفهوم الأمن القومي المصري لتفسير قرار التدخل في اليمن .

ولما كان هذا المفهوم يثير بعض المشاكل المنهجية سواء عموماً أو فيما يتعلق بدراسات التدخل بصفة خاصة فسوف يبدأ البحث بمناقشة هذه المشكلات قبل التعرض لتحليل علاقة اليمن بالأمن القومي المصري وإدراك القرارات المصرية لهذه العلاقة) ص ١٢ .

أكتفي بهذا القدر من التعقيب وأنتقل إلى ملاحظة اخرى ما كنت أود الاشارة اليها وهي تهم الضباط الاحرار من رجال سبتمبر وزميلهم البعيد عن الوطن اللواء عبد الله جزيلان وقد حاول الأخ الاستاذ احمد الشجني ان يفتح باباً قد لا يغلق عن دور مصر في

التحضير للثورة اليمنية والاعداد لها ، وقد حاولت في تقديمي لكتاب (الدور المصري في اليمن) ومن خلال معلوماتي القليلة عن الثورة واقترابي البعيد من بعض قادتها أن أجزم بأنها كانت ثورة يمنية خالصة ، وأنها كانت يمنية الاعداد والتحضير ، يمنية الاهداف والمطامح ، يمنية ساعة الصفر وما قبل ساعة الصفر ، وإذا كانت الرياح بعد ذلك قد سارت بما لا تشتهي السفن فإن الأسباب معروفة ، ووصف الثورةباليمنية لا يعني انها لم تكن عربية انسانية وإنما القصد منه تأكيد هويتها المحلية الوطنية . وإذا كان الضباط الأحرار - كما يشير الأخ احمد - قد اتصلوا بالسفارة أو بعبد الناصر وأثبتوا ذلك في كتابهم فإن أي ثورة لا بد ان تجس نبض اصدقائها وحلفائها سلفاً وبخاصة إذا كانت ستنطلق في محيط من الاعداء والدخلاء .

وإتصال الضباط الأحرار الذي تم مرة واحدة قبل قيام الثورة ، وكانت له دوافعه وأسبابه قد كان - في تقديري - عملاً سياسياً ذكياً وبارعاً ، ولو أن العكس هو الذي حدث كأن تتصل السفارة بالضباط أو يتصل بهم عبد الناصر لكان في ذلك مغمز لقناة الثورة والثوار ، ثم إذا كان هناك أفراد قد حاولوا الاتصال بمصر قبل قيام الثورة أو حاولت مصر الاتصال بهم فإن تنظيم الضباط الأحرار وهو القاعدة التأسيسية للثورة وطليعة التنفيذ لم تزد صلته بالقاهرة عن جس النبض وعن استنفار الزعامة العزبية المصرية وعن إمكانية مساعدة الثورة إذا ما قامت.

وقد تلقى تنظيم الضباط ردين متتابعين ومختلفي الصيغة كان

الأول من البيضاني على لسان عبد الناصر يقول فيه « نفذوا وسأفي بكل التزاماتي » ص ١٠٢ . وكان الآخر من الرئيس جمال عبد الناصر نفسه يقول فيه (نبارك العمل الوطني ونحن على استعداد لتقديم العون في حينه حسب ظروف وامكانيات مصر) ص ١٠٢ . ويبدو أن الرد الأخير جاء بعد أن نقلت السفارة مشاعر القلق واسترابة الضباط من مجيء رد القيادة عن طريق البيضاني . وقد حدث خطأ مطبعي في كتاب تنظيم الضباط الاحرار عند الاشارة إلى تلك الواقعة .

وكتاب (الدور المصري في اليمن) يؤكد أن مصر قد دخلت إلى اليمن وهي لا تعرف عنها شيئاً ، ولا تعرف من ابنائها سوى البيضاني الذي ضللتها معلوماته ، والذي قال (أن قنبلة واحدة على قصر البدر كفيلة بالاطاحة بالعهد كله . وكان تقديره أن أسرة الإمام وأنصاره يعيشون في رعب وأن أقل هجوم بأقل تسليح كفيل بالقضاء عليهم) . والكتاب يورد كذلك رأياً لصلاح نصر مدير المخابرات العامة في ذلك الوقت يقول فيه أن اليمن قبل الثورة (كانت بالنسبة لنا مجاهل لا نعرف معالمها) ص ١١٤ .

ماذا يعني هذا الاعتراف ؟ هل يعني بحال ان مصر كانت تقود حركة التغيير في اليمن وأنها تؤمر فتطاع . وأن تنظيم الضباط الأحرار أو غيره من التنظيمات السياسية المدنية في جيب ضابط أو مدني من الذين كانوا على صلة ما بالقاهرة .

إن الدور المصري في اليمن لم يبدأ إلا بعد قيام الثورة ، وأي

قول يخرج عن هذه الحقيقة يتنافى مع الوقائع الثابتة ، ويسيء إلى الثورة وأبنائها . . اما اشارة الأخ الاستاذ احمد الشجني إلى الملاحق التي أثبتها الضباط في الطبعة الجديدة من كتابهم فأنا أتفق معه بأنها باستثناء رسالة المشير عبد الله السلال بشأن البيضاني لم تكن جديرة بأن تلحق بالكتاب وإن كانت لا تخلو من فائدة باعتبارها وثائق اخبارية ، ووثائق تعكس اهتمام المخابرات المصرية باليمن بعد الثورة ووقوعهم في خطأ التصنيفات وهي الاخطاء التي قادت إلى ما أسماه مؤلف كتاب (الدور المصري في اليمن) بانقسام الجمهوريين وبالتالي انقسام الجمهوريين والمصريين ، ولعل اصرار بعض الضباط على نشر تلك الوثائق الاخبارية المتعلقة بالمخابرات المصرية راجع إلى أنها تعلن بطريق غير مباشر الأسباب التي جعلت الضباط الأحرار يتخلون عن التنظيم ، وعن أدوارهم في القيادة السياسية .

ويتبقى بعد هذا كله تحية عميقة صادقة للأخ والزميل الاستاذ احمد الشجني الذي فتح بمناقشته الموضوعية باباً للحوار قد يتواصل ويكون هدفه الأول والأخير الفهم الحقيقي والموضوعي لا لموضوع الدور المصري في اليمن وحسب وإنما لقضايا الثورة بكل أبعادها .

الفهرست

الفصل الخامس

